رواية

الزمهرير

أباييل لا تُحكم بالعدل، بل تُحكم بالحديد والدم.

أحمد آل حمدان

ART_OF_BOOK

@ART_OF_BOOK

@ART_OF

الزمهرير

ملحمة الطين والنار

(٤)

@ART_OF_BOOK

الزمهرير

الطبعة الأولى
١٤٤٧ - ٢٠٢٦

@ART BOOK
717s

@ART_OF_BOOK

T_OF_BOOK

إنها لعنة التقدم في العُمر؛ فكلما كبُر المرء صار يتخذ قراراته الكُبرى لا من أجل نفسه بل من أجل من يُحبهم.

أعدك بألّا أموت.

ولكن قبل الدخول، يجب على كل واحدٍ منّا أن يخلع

أحقاده خلف الباب، ليسير الاجتماع كما ينبغي له أن يسير.

– تارا –

مملكـة أبابيل

ليلـــــة الزفـــاف

في تلك الليلة ..

وما إن أزاح الملك طاغين الغطاء عن وجه العروس وشاهد الجميع من تكون حتى انفجرت لحظة دهشة خرساء إنها: " جومانا ابنة جبّار الأباطرة " عمَّ الصمت أرجاء القاعة إلا من خفقات قلب عاصف التي تصاعدت داخل صدره كأنها خيول تتسابق في سهلٍ فسيح، وظلت عيناه تحدقان إلى وجه تلك المرأة الجميلة ذات العينين البندقيتين، وجه أمه الحنون الذي لطالما طارد أحلامه وكان قبلة لفؤاده وملاذًا لقلبه.

كانت جومانا تلك الليلة طاغية في الجمال، تخطف الأنظار إليها دون تكلف، كأنها نجمة هبطت من السماء لتلمع داخل تلك القاعة، وكانت سعيدة وهي توزع أنظارها بين الحضور، بينما وجهها يكشف عن ابتسامة أنيقة كأنها جزء من التاج المرصع الذي تضعه فوق رأسها، رفع الملك طاغين يده بإشارة محددة سرعان ما التقطها الخدم فبدأوا يطوفون لخدمة الضيوف، بينما فِرقة أخرى من الساحرات عند نهاية القاعة بدأن عزف لحنٍ شجي لمقطوعة سحرية قديمة يُقال بأنها لا تُعزف إلا في حضرة الملوك والأمراء وقد تمازجت أنغامها ما بين القيثارة وألحان الناي.

كانت القاعة الملكية - لقصر مملكة أبابيل - مُضاءة بواسطة شموع طويلة تتدلى من السقف المرتفع؛ فتبدو كما لو أنها قطرات نارٍ معلقة في الهواء .. وكانت مضاءة أيضًا بفوانيس نُحاسية مُثبتة على الحوائط لا ينبعث منها الضوء فقط بل ينبعث معها روائح العطور الملكية، وعلى الجانبين اصطف الجنود الضِخام بدروعهم الفولاذية السوداء يقفون متراصفين جنبًا إلى جنب من عند نهاية القاعة وصولًا إلى أقدام المنصة التي ينتصب فوقها العرش حيث يجلس الملك وزوجته وخلفهما يمتد حائطٌ عظيم نُقش عليه بخط محفور شعار مملكة أبابيل.

مملكـة أبابيل

ليلـــــة الزفـاف

(عاصـف، الحكيم، الشـمالي)

منذ أن انطلقت رحلتهم سويًا قبل أعوام، تعلم الشمالي أن يتوقع الأسوأ دائمًا ورغم ذلك إلا أنه لم يتوقع حتى في أشد لحظاته تشاؤمًا أن يختبر حدثًا خطيرًا كهذا؛ إنه لا يفهم هذا العبث الذي يحدث؛ هل هذه جومانا ابنة جبّار الأباطرة بالفعل ؟! .. أم أنها امرأة شبيهة لها ؟!

إنه لا يعلم،

ولا أحد في القاعة يستطيع أن يؤكد أو ينفي هذا الأمر !!

التفت الشمالي نحو صديقه عاصف .. ومن خلال نظرة واحدة أرسلها إليه استطاع أن يفهم كم هو غاضب وثائر؛ فمال برأسه ناحيته وهمس قائلًا:

- تذكر أننا في هدنة مع طاغين[1]، وعليك أن لا تتهور.

وبينما عاصف لا يزال واقفًا لا يُظهر أي ردة فعل على الرغم من الحرائق التي تشتعل بداخله، تسلق الحكيم جسده مقتربًا من أذنه وهمس قائلًا:

- أما أنا فلا بأس عندي في كسر الهُدنة، وإحراق القاعة بمن فيها ولكنني أفضل أن نؤجل الأمر إلى ما بعد أن نتناول وجبة العشاء؛ فأنا لم آكل شيئًا منذ أمس استعدادًا للوليمة المنتظرة !!

لم يلتفت عاصف إلى صديقيه أبدًا، وكأن حواسه جميعها انصبت عند العرش الذي تجلس فوقه تلك المرأة ذات العيون البُندقية ..

هل هذه أمه ؟! ..

قلبه يؤكد: نعم إنها هي بلا شك !!

وعقله يشده للخلف بقوة: لا، لا يمكن أن تكون هي !!

---

١ في رواية السِّجيل كان عاصف بحاجة إلى حليف من أجل استعادة سرابي التي كان يعتقد أنها محبوسة في الأرض السُفلية وتحديدًا في (مملكة الجن والبن)، فلم يجد أمامه خيار غير الاستعانة بطاغين الذي وافق على مساعدته بشرطين، الأول أن يتنازل عاصف له عن شرعية مُلك مملكة أبابيل، والشرط الثاني أن يعقد معه هُدنة مدتها أربعين ليلة.

كانت القاعة قد امتلأت بطاولات دائرية أنيقة يجلس كل ملكٍ من الملوك المدعوين وحاشيته عليها .. وقد اقتربت بعض الطاولات من منصة العرش أكثر من غيرها بينما ابتعدت طاولات أخرى إلى الأطراف في ترتيب سياسي مقصود حيث كل طاولة تقترب أو تبتعد حسب أهمية من عليها في ميزان المملكة.

ورغم اختلاف الضيوف إلا أنهم تلك الليلة جميعهم اتفقوا على شيء واحد وهو " الفضول " ذلك الشعور الذي لا يَليق بمقامهم أن يُعلن؛ فالتفت كل ملك إلى حاشيته، وراح يسأل بهمس خافت حتى لا يُضبط متلبسًا بتهمة الفضول .. في البدء كانت الأسئلة والتعليقات جميعها تنحصر حول هذه المحاور فقط:

أهذه نفسها جومانا ابنة جبّار الأباطرة ؟!!

مستحيل !! .. لقد ماتت منذ سنوات طويلة !!!

وإذا كانت هي فكيف عادت إلى الحياة بعد موتها ؟!

وكيف تتزوج من خالها طاغين ؟!!

@ART_OF_BOOK

كان الموقف يقتضي الحِكمة والتصرف وفقًا لما يقتضيه الظرف، لكن منذ متى كان عاصف يخضع للمنطق ؟! .. منذ متى كان يسمع لصوت عقله إذا ما تعارض مع صوت قلبه ؟! .. إنه لا يهتم بكونه في قصر طاغين، لا يهتم بكم الحرس الذي يُحيط به من كل اتجاه، ولا بالهدنة التي ما زالت مستمرة !!

ارتجفت يده أولًا ثم اشتد لحم ساعده كأن عروقًا سوداء بدأت تتحرك تحت جلده، ثم في لحظة ما: انشق طرف إصبعه السبابة ليخرج منه مخلب أسود، تلاه مخلب ثانٍ فثالث حتى اكتملت خمسة مخالب فولاذية في كل يد وكأنها خرجت لتوها من الجحيم، انتبه الشمالي لما يحدث فقال متدخلًا:

- أرجوك يا عاصف تمالك نفسك؛ إنك بتهورك تقتلنا وتقتل نفسك.

تدخل الحكيم:

- أرجوك تمهل؛ إنك بذلك تمنعنا من العشاء يا رجل !!

لقد استيقظ الوحش الكامن بداخله وفات أوان هذا الكلام،

اكتست عينه اليُسرى باللون الأحمر وكأن شُعلة من النار قُدحت هناك ..

لاحظ بعض الحرّاس ذلك التحول فبدأوا يتحركون في القاعة في اللحظة نفسها التي انطلق فيها عاصف بكل سرعته مشحوناً بمخزون الغضب، بينما الحكيم فوق كتفه يتشبث بيديه وأسنانه حتى لا يسقط من قوة الاندفاع .. شقَّ عاصف طريقه نحو العرش متجاوزًا بقوة النار الجنود الذين أخلوا مواقعهم واصطفوا أمامه فيما يشبه الحائط الأمني حتى وصل إلى طاغين، فأمسكه من ردائه بيد بينما استعد يسدد له ضربة بمخالب يده الأخرى ..

في تلك اللحظة الحساسة: وقفت القاعة على أقدامها؛ مزيج من الخوف والرهبة ارتسم على وجوه الحاضرين، بينما رمق بعض الملوك حرسهم الخاص كمن يستعد لهرب محتمل من هذا المكان الذي لا شك بأنه سوف يتحول بعد قليل إلى بحر من الدماء.

اندفع بعض الجنود لحماية الملك ولكنهم ما إن اقتربوا من عاصف حتى تبخرت أجسادهم وتحولت إلى رماد، وكان ذلك الهجين كان يُحيط نفسه بجدار من هواء ناري يمنع أي أحدٍ من الاقتراب من محيطه الخاص !!

**

المواجهة

هبطت المخالب – مخالب عاصف – الحادة نحو هدفها بسرعة وقوة، ولكنها قبل أن تصل إلى هدفها اصطدمت بمعدنٍ من الفولاذ كان عبارة عن سيفٍ طويل حاد يُشبه سيوف الساموراي .. لم يكن عاصف بحاجة لأن يلتفت إلى السيّاف الذي أوقفه؛ فلا أحد يعرفه الليلة في قاعة الزفاف كان قادرًا على اكتشاف نقطة ضعف جدار النار واختراقه بتلك السرعة إلا شخص واحد فقط:

صاحبه الشمالي.

الشـمالي

.. الحقـيقـة الدفـينة ..

لحظة الذهول التي سيطرت عليه - على عاصف - لحظة معرفة أن الشمالي هو من أوقفه عن تسديد ضربته تلك، كانت كفيلة لأن تكبِّل أطرافه عن الحركة وتمنع عقله عن التفكير؛ ما منح الجنود فرصة ذهبية ليندفعوا نحوه كأمواج مدججة بالدروع والسيوف ويطبقوا عليه الحصار من كل صوب وجانب ..

وما هي إلا لحظات حتى كانوا قد أطاحوا به وقيدوا قدميه ويديه بقيود خاصة ثم ساقوه معهم دون مقاومة .. كانت اللحظة أقوى حتى من لسان الحكيم الطويل الذي لم يفتح فمه وهو يُساق مع عاصف وعيناه مُعلقتان على وجه الشمالي الأكثر برودة من الجليد.

لم يكتفِ الشمالي بتلك الخيانة فقط بل إنه التفت نحو العرش، حيث تجلس الملكة جومانا والتي كانت نظراتها المضطربة ويداها المُنقبضتان فوق ركبتيها تُشير بوضوح إلى خوفها على زوجها الذي كاد ذلك المتوحش أن يؤذيه قبل قليل وقال يُطمئنها:

- لا داعي للقلق؛ فقد زال الخطر يا مولاتي الملكة.

استطاع بصوته ذاك أن يُطمئنها، فرفعت رأسها نحوه وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة ممتنة، نهضت بعدها من فوق العرش وخطت إليه حتى وقفت أمامه ثم قالت له بصوتٍ رقيق:

- ما اسمك أيها الشاب ؟

- جسَّار، ولكنكِ تستطيعين أن تُناديني بالشمالي.

ربتت على كتفه وكأنها تمنحه وسامًا تشريفيًا وهي تقول:

- لن أنسى لك ما حييت ما قدمته اليوم من الحماية لزوجي أيها الشمالي.

مكث يتأملها قليلًا: عيناها البُندقيتان اللتان تحملان بداخلهما أسرارًا متسربة، حبات النمش التي تنتشر على وجهها، ورائحة الياسمين المنبعثة منها؛ كل ذلك كان يُربكه ويجعله يعتقد بأنه يقف أمام امرأة لا تنتمي إلى الأرض؛ أحنى رأسه لها وكأنه يحترم تقديرها له، تراجعت الملكة جومانا لتجلس فوق عرشها، بينما التفت الشمالي نحو الجالس فوق العرش الآخر وقال بصوتٍ رصين:

- مولاي ..

أومأ له الملك طاغين برأسه كإشارة للسماح بالكلام؛ فقال الشمالي كلمات جعلت كل من في القاعة يتبادل النظرات غير مصدقٍ ما تسمعه أذناه:

- حان الوقت لأعلن لك ما كنتُ أكتمه؛ خدمتك أيها الملك طاغين شرفٌ لي إن قبلتَ بها ..

ارتسمت على ملامح طاغين ابتسامة المنتصر الذي ربح أكثر مما كان يطمح وهو يهمس " نعم، أقبل بها " ثم رفع يده في إشارة التقطها خدم القصر؛ فعادت إلى القاعة مظاهر الفرحة والاحتفال وكأن لا شيء حدث قبل قليل ..

فوق سـماء مملكة أبابيل

طائر العنقاء

في حُلكة الليل البهيم،

ومن ارتفاع شاهق يكاد يُلامس الغيوم الطافية،

كان يُحلق طائر أحمر كأنه ملك السماء، جناحاه الطويلان يَشقانِ الهواء بقوة وكُل خفقةٍ منهما تُحدث رجفة في الرياح، إنه طائر العنقاء إكليل الذي كانِ طوال الوقت يستقر فوق غصن شجرة موارية للقصر الملكي يشاهد بعينيه الحادتين كل ما يحدث في الداخل ..

وما إن بلغ إكليل تخوم قرية الجسَّاسة حتى راح يخفف من سرعته ويبدأ الهبوط في الوقت الذي بدأ يَميل بجناحيه ناحية الشرق - نحو الغابة المظلمة - ليخترق أجواءَها ويواصل الطيران فيها مناورًا جذوع أشجارها الكثيرة والتي تبدو وكأنها أفاعٍ ضخمة متشابكة ..

واصل إكليل تحليقه حتى إذا بلغ قلعة الأباطرة والتي كانت تنهض شامخة في قلب الغابة المظلمة راح يخفف من سرعته شيئًا فشيئًا وهو يبدأ بالهبوط نحو السور الخارجي، وفي اللحظة التي همَّ فيها بالاستقرار على حافته لمح في الأسفل حصانًا أبيض اللون ذا جناحين مطويين على جانبيه؛ إنه " سابح " حصان عاصف.

رفع الحصان رأسه فجأة وأدار عنقه حين سمع خفقة الأجنحة التي قطعت الهواء، ليشاهد إكليل وهو يهبط في صمت مشوب بالقلق، فقال بصوت متوتر:

- هل عدت من القصر وحدك ؟

أرسل إكليل إليه نظرة منكسرة؛ فأدرك سابح أن أمرًا خطيرًا قد حدث، وأن سيده عاصف والبقية في خطر .. بينما رفع إكليل رأسه وراح ينادي الحارسة:

- أين أنتِ يا تارا ؟!

وفي الحقيقة هو لم يكن بحاجة لأن يُنادي؛ فقد تم رصده منذ اللحظة التي وَلج فيها حدود الغابة ..

وما هي إلا لحظات حتى ظهرت له العينان الحادتان من وسط الظلام تلمعان كأنهما معدن مصقول، وصوت الفحيح الذي خرج من فم الأفعى يتسلل إلى عظامه وعِظام الحصان سابح محدثًا قشعريرة في جسد كل واحدٍ منهما:

- أي كارثة جئت تحملها لنا اليوم يا إكليل ؟

في مكان بعيد

الزمهرير

سور كبير ..

يمتد إلى الأفق كما لو أنه نهاية العالم ..

مكوّن من جليد لا يذوب ولا تعبره الرياح، وراءه تمتد مدينة تُعرف باسم "الأرض البيضاء" حيث لا تُرى فيها، ولا خَلق، ولا حياة، ولا تطؤها قدمٌ كائنٍ من كان إلا بعد إذن أصحاب المكان ..

لا شيء في تلك المدينة غير قصر وحيد شاهق الارتفاع، تُقيم فيه عائلة يحوكت حولها الكثير من الحكايات الغامضة والأسرار .. عائلة تُعرف باسم يخشى الكثير من نطقه، أو سماعه، أو حتى مجرد التفكير فيه، إنها:

عائلة الزمهرير.

**

داخل القصر كانت هنالك قاعة تتدلى من سقفها ثريات من ثلجٍ أزليّ، وتنهض على جنباتها أعمدة من بلورٍ متجمّد، تلمع كما لو أنها نجومٌ مُتلألئة في ليلٍ أبدي ..

في منتصف القاعة، توزّعت خمسة عروش جلست عليها كائنات تشبه الإنس وما هم من الإنس، ذوو بشراتٍ تميل إلى الزُرقة وعيون كأنها قُدّت من ألماس نقي، تحرك أكبرهم، رجلٌ يضع على رأسه التاج، يُطلقون عليه اسم: " السَرمد " فتح فمه ونطق بصوتٍ لا يكاد يُسمع:

- مِنداس.

وما إن لفظ الاسم حتى تكوّن في القاعة دخان كثيف تشكل وسطه رجل يتلفّع بثوبٍ من الحرير الأسود اسمه سِندان، قال وهو ينظر إلى موطئ قدم الشخص الذي استدعاه:

– رهن إشارتك أيها السَرمد.

– اذهب إلى هناك – قال السَرمد – وافعل كما أمرناك أن تفعل.

أومأ سِندان برأسه: " أمرك " ثم اختفى وسط هالة من الدخان.

عاصف، الحكيم ..

السجن

داخل زنزانة شُيدت أسفل القصر - قصر مملكة أبابيل - بعمق سحيق حيث لا ضوء يصل والهواء بالكاد يتسلل، رائحة العفن الثقيلة تفوح في المكان مختلطة برائحة دماء العُصاة وجثث المتمردين الذين أرسلهم الملك طاغين إلى حتفهم خلال السنوات الماضية ..

الحوطان – حوطان الزنزانة – كأنها ما تزال تحتفظ بصرخات التعذيب، إنها صرخات لا يُعرف إن كانت من الماضي أم أنها قادمة من أفواه من يُعذبون في هذه اللحظة من زنازين مجاورة، قال الحكيم ساخرًا وهو يتأمل السجن الذي وُضعا فيه:

– المكان جميل ولكن هل تظن أنَّ لديهم خدمة توصيل العشاء ؟

ظل عاصف صامتًا أصابع يديه ترتجف ..

لا ترتجف بسبب البرد بل من شيء أعمق، شيء لا اسم له ولكنه يحرقه ببطء.

انفرجت شفتاه عن سؤالٍ مكتوم:

– لقد ماتت، رأيتهم يدفنونها في مقابر قرية الجسَّاسة، رأيتهم بنفسي وهم يضعونها في قبرها، فكيف عادت من الموت ؟

الحكيم متنهدًا:

– لا أحد يذهب إلى الموت ويعود منه يا عاصف.

– وكيف تفسر ما رأيناه بالأعلى ؟

- حسنًا .. انظر .. انظر .. انا لا أنكر انها تشبه امك الى حد مخيف .. ولكن هل سبق قبل سنوات عندما جئتني ليلًا تطرق باب منزلي لتطلب مني الذهاب معك لفحص والدتك[٢] ؟ هل سبق أني جئتُ معك وفحصتها وأعلنتُ موتها بنفسي ؟!

ما حدث تلك الليلة لن ينساه الحكيم أبدًا؛ فبعد أن أعلن موت جومانا، غادر عاصف الحجرة وعاد بعد قليل وهو يحمل بين يديه نقودًا معدنية:

- خذ - قال وهو يمدها إلى الحكيم - هذه كل أموالنا.

لم يفهم الحكيم آنذاك السبب الذي دفع ذلك الصبي الغريب ذو العشرة أعوام إلى أن يجلب كل هذه الأموال ويقدمها إليه؛ فتساءل بدهشة المتعجب:

- وما الذي تريد مني أن أفعل بكل هذا المال ؟

كان الرد الذي جاءه هو ما لن ينساه أبدًا:

- اشفها من الموت.

---

٢ هذا الحدث مذكور برواية أبابيل، كان الحكيم حينها في هيأته البشرية قبل أن تسخطه تاج وتحوله إلى فأر، عندما جاءه عاصف ذو العشر سنوات وطلب منه أن يرافقه لفحص أمه.

التفت الحكيم نحو زاوية السجن التي يجلس فيها عاصف:

- كان قلبها صامتًا تلك الليلة، ووجهها شاحبًا، وقد لمستُ جسدها وكان باردًا .. وهذا لا يعني إلا شيئًا واحدًا فقط وهو أن المرأة التي رأيناها في ليلة الزفاف هذه ليست إلا امرأة تُشبه والدتك، أما جومانا فقد ماتت، وهذا أمر لا يمكن أن أُخطئ فيه !!

مرّت لحظات قبل أن يفتح عاصف فمه هامسًا بانكسار:

- أنت تملك الأدلة أيها الحكيم، بينما أنا لا أملك شيئًا، لكنني أعرف أمي، وأعرف أن تلك التي رأيناها في الأعلى لا يُمكن أن تكون غير جومانا ابنة جبَّار الأباطرة، وهذا أمر لا يمكن أن أُخطئ فيه.

الحكيم:

- كان لدى والدي حمار اسمه "مسمار" أتعرف سبب تسميته بهذا الاسم ؟ .. لأنه كان يتسمر مكانه ويرفض التحرك مهما تجلده أو تشتمه، إنه يذكرني بك.

- لا تحاول إقناعي، إنها أمي.

- حسنًا .. اسمع يا مسمار .. دعنا نفرض جدلًا أن والدتك عادت من الموت بطريقة خيالية .. هل نسيت من يكون طاغين بالنسبة إليها، إنه خالها !!

واصل الحكيم يقول:

- إننا نعرف كم هو خسيس هذا الطاغين، ولكنه مهما بلغ من الخسة والحقارة فإننا نعلم أنه لن ينحدر إلى هذا القاع؛ فليأخذك قلبك إلى حيث يشاء يا عاصف، ولكن لا تطلب مني أن أتبعك؛ لأني ما زلتُ أملك عقلي.

كم كان عاصف يتمنى أن يكون الحكيم محقًا في تحليله، ولكن رائحة الياسمين وشيئًا ما بداخله يُشبه اليقين يُخبره بأن تلك المرأة التي رآها في الأعلى ليست سوى أمه.

مدَّ عاصف قبضته في الهواء وكأنه يخنق شيئًا غائبًا وهو يقول بصوتٍ مبحوح:

- كان طاغين يجلس أمامي، كان يُمكنني أن أُسدد إليه طعنة أَنفذُ بها إلى جوفه وأُنهي كل شيء لو أن الشمالي الخائن لم يقف بوجهي !!

الحكيم بنبرة تخلو من السخرية:

- حتى أنا كنت في البداية أتمنى لو أنني أصل إلى مِقبض سيفه الطويل وأدخله في فتحة أنفه .. ولكنني الآن وبعد أن هدأت قليلًا أستطيع أن أقول بأن الشمالي ليس خائنًا.

- أتدافع عنه بعد أن فعل ما فعل ؟! .. ألسنا هُنا الآن بسببه ؟!

- أولًا نحن هنا بسبب تهورك أيها الأبله، ثانيًا أنا لا أدافع عن الشمالي بل أستخدم ما تبقى لي من عقل لأحاول فِهم الأمور بطريقتها الصحيحة.

- عن أيّ طريقة صحيحة تتحدث ؟!

- أظن بأن الشمالي أوقفك لأنه كان يعلم بأن طعنتك لم تكن لتقتل طاغين بل كانت ستقتلك أنت.

- لم أفهم ..

- وما الجديد بالله عليك ؟! .. أنت دائمًا لا تفهم، وتندفع وراء عواطفك بغباء .. أتعلم ؟! .. كان على جدتك تاج أن تُسميك عواطف بدلًا من عاصف !!

لولا الوضع الذي هُما فيه لكان عاصف يضحك الآن من أعماق قلبه، ليس على ما قاله الحكيم فقط بل على نبرة صوته وهو يَصيح بتلك الطريقة ..

- طاغين كائنٌ قوي وأنت تعرف ذلك - قال الحكيم - وطعنتك له اليوم لم تكن لتقتله، كانت سوف تجرحه فقط وكان هو هادئًا لا يُظهر أي ردة فعل وكأنه كان ينتظر هذا الجرح .. دماؤه السائلة كانت ستكون هي ما يبحث عنه ليكسر الهدنة ويقتلك وأنت في قصره أمام الملوك والأمراء دون أن يلومه أحد على ذلك .. لستُ متأكدًا ولكن قلبي يحدثني أن هذا هو السبب الذي جعل الشمالي يتحرك في تلك اللحظة معترضًا هجومك .. لا ليُنقذ طاغين بل لأجل أن يُنقذك.

لقد قدم الحكيم تحليلًا منطقيًا أقرب للصواب، ولكن ..

هل هذا ما حدث بالفعل ؟! .. هل تحرك الشمالي تلك اللحظة ليُنقذ الموقف ؟! .. أم أنه خانهما واختار الجهة الأقوى في اللحظة التي لم تعد فيها الموازين متساوية ؟!

- شخص واحد - قال الحكيم - هو من يجب أن تفكر بملاحقته ومعاقبته.

- من هو ؟

- إنه طائرك الأحمق !!

- وما دخل إكليل بما يحدث لنا الآن ؟!

- أتستطيع أن تخبرني لماذا لم يتدخل ويُنقذنا تلك اللحظة ؟

- أظن أنه ذهب ليأتي بالنجدة

- إنك تُعلق آمالًا كبيرة على تلك الدجاجة المُحمرة.

مكث عاصف يفكر قليلًا قبل أن يقول:

- أتعلم ؟! ..

- ماذا ؟!

- البقاء في هذا السجن لن يمنحنا الإجابات.

الحكيم مؤيدًا:

- يا سلاااام، لا أصدق أنك بدأت تشغل عقلك !!

- علينا أن نفكر بطريقة للهرب من السجن هذه الليلة.

الحكيم وهو يصفق بيديه القصيرتين:

- يا سلاااام !! .. ما تقوله يتجاوز حدود الابداع !! ..

- يجب أن نهرب من هنا ..

- عاصف إنك تعيد نفس الكلام ..

- سنهرب الليلة ..

- وهذه أيضًا مكررة !!!

كان من الواضح أن عاصف مشتت الذهن وهذا ما يجعله يُكرر كلامه دون وعي منه، وكأن عقله منشغل بالتفكير بينما لسانه يتحدث من تلقاء نفسه:

- البقاء في السجن لن يمنحنا ..

- أعرف أعرف .. لن يمنحنا الإجابات، ويجب أن نهرب الليلة، انتقل للجملة التي بعدها وخلصني !! .. هل لديك خطة ؟

- نعم

- قلها وريحني !!

- سوف نهرب من السجن ونصعد إلى القصر ..

- ثم يُلقى علينا القبض ونُعاد إلى السجن، فكرة رائعة !!

- لن نغادر جزيرة الأرباب دون أن تكون أمي معنا.

أطلق الحكيم صوتًا جعل عاصف يسأله:

- هل تضحك ؟

- بل أبكي على ما سوف يوصلنا إليه تهورك.

- أعلم أنني أطلب منك الكثير، ولذلك إذا هربنا من السجن تستطيع أن تُكمل طريقك إلى خارج القصر ثم تفكر بطريقة توصلك إلى بر الأمان، أما أنا فسوف أكمل الطريق وحدي.

- لا يا عاصف، لن أدعك وحدك وأنت تعلم ذلك جيدًا - ثم أضاف وهو يحرك ذيله ويُحدق في العتمة:

- والآن أخبرني بالخطة التي تدور برأسك للخروج من هنا ..

- الخطة هي ألَّا نفعل شيئًا

- خطة رائعة كيف توصلت إليها ؟

- ليس أمامنا إلا هذا الحل.

- وهي ألَّا نفعل شيئًا ؟

- نعم ألَّا نفعل شيئًا ..

- إن حدثت معجزة كُبرى وهربنا من هذا المكان، أريد منك شيئًا واحدًا.

- ما هو ؟

- ألَّا تفكر طيلة حياتك.

- يبدو أنك لم تفهمني أيها الحكيم

- معك حق؛ فأنا غبي لا أفهم .. وإلا ما كنت اخترتك صديقًا من بين مئات آلاف البشر الذين يسكنون عالمنا هذا ..

- اسمع خطتي ..

- قصر مملكة أبابيل -

.. اليوم التالي، قاعة التخطيط الحربي ..

قاعة واسعة ذات سقفٍ عالٍ،

يتدلى منه عدد من السلاسل المعدنية الغليظة والتي كانت في زمنٍ مضى تُستخدم لتعليق جُثث الخونة كتحذير بصري لكل من تسوّل له نفسه التآمر على الملك طاغين، أما الآن فقد استبدلت الجثث برايات سوداء كُتب عليها شعارات لتمجيد الملك ..

كانت القاعة مُضاءة بواسطة فوانيس ضخمة مُثبتة على الجدران الصخرية، بالإضافة إلى موقد دائري يتوسط طاولة الاجتماعات المربعة المنتصبة وسط القاعة ينبعث منه - من الموقد - وهجُ نار يجعل ظلال المجتمعين حول الطاولة تتحرك وراءهم وكأنها أشباح تراقبهم.

جلس الملك طاغين على رأس الطاولة فوق كرسي خشبي طويل الظهر بينما جلس الشمالي إلى يمينه بمسافة محسوبة فوق كرسي أبسط؛ كانت مسافة محسوبة بدقة: إنه بعيد بما يكفي حتى لا يُشكل اقترابه تهديدًا مباشرًا للملك، وفي الوقت ذاته قريب بما يكفي ليبدو كما لو أن الملك كان يمنحه الثقة ..

جلس القادة الآخرون على جانبي الطاولة وكل واحدٍ منهم يعتلي كرسيًا يحمل ختم الكتيبة التي يقودها .. التفت الملك طاغين نحو الشمالي وقد رصد بعض القلق على وجهه؛ فقال يسأله:

- أأنت قلق مما سيحدث لصديقيك، عاصف والحكيم ؟!

- بل مما سوف يفعلانه.

- ماذا تقصد ؟

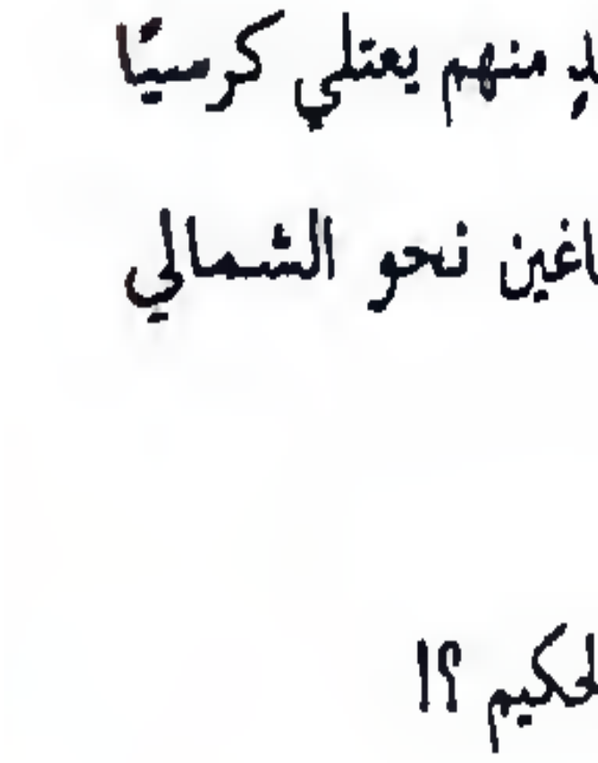

توقف الشمالي للحظة قبل أن يتكلم، مُهلة من الصمت يأخذها كعادته ليقيس كلماته قبل أن ينطق بها، بينما راح جميع من يجلس حوله فوق الطاولة يتأهبون لأي ردة فعلٍ مفاجئة قد تصدر منه حتى انفرجت شفتاه بصوته الهادئ الذي لا يُخطئه من يعرفه:

- المدة الطويلة التي قضيتها بصحبتهما تجعلني متأكدًا من أنهما الآن يضعان الخطط للهروب من السجن .. ويؤسفني أن أقول بأنه مهما كنتم تعتقدون بأن سجونكم حصينة إلا أنهما سوف يجدان طريقة للفرار منها والصعود إلى القصر من أجل جومانا والانتقام من الملك.

سرت همهمة بسيطة بين القادة، بينما ظل طاغين يحدق فيه دون أن يعلق .. في الحقيقة لقد كان هنالك ما فات الشمالي أن يقوله تلك اللحظة، تُرى هل خانه لسانه وكشف ما يخفيه قلبه ؟! .. أم أنها عثرة غير مقصودة ؟! ..

تكلم أحد القادة بسرعة صياد لمح فريسة ساهية:

- ماذا عنك ؟ .. ألن يسعى عاصف لقطع رأسك مقابل خيانتك، أم أنك افترضت في نفسك بأنه يعلم عن حقيقة ولائك له، وأن وقوفك ضده البارحة لم يكن سوى خطة أردت أن تُراوغنا بها.

ابتسامة صغيرة ارتسمت على شفتيه وهو ينظر نحو القائد الذي ظنّ أنه فريسة سهلة، إنها ابتسامة الواثق من موضع قدميه وسط بحر من الشكوك المتلاطمة.

قال يُبرر موقفه:

- الحكيم يثق بي، ولا بد أنه قد أقنع عاصف بأنني لم أنقلب عليه، وبأن ما قمتُ بفعله البارحة لم يكن إلا من أجل حمايتي له؛ لذلك أنا متأكد بأنني لن أكون ضمن قائمة حساباته إذا ما استطاع الفرار من السجن والصعود إلى القصر.

طاغين يبطء وهو ينقر بإصبعه على ذراع الكرسي:

- وما الذي تقترحه في هذه الحالة ؟

دون تردد،

دون أن ترمش عيناه قال الشمالي بصوت قاطع:

- يجب ألّا يُمنحا وقتًا أكثر، يجب أن يُقتلا الآن وفورًا.

@ART_OF_BOOK

**

لقد كانت الجملة التي قالها الشمالي مُربكة لكل القادة الذين كانوا يُشككون بمصداقيته؛ فقد أوصى بقتلهما صراحة .. ولم يذهب إلى المماطلة أو محاولة شِراء الوقت كما كان يراهن البعض منهم بأنه سوف يفعل .. أما طاغين الذي كان لا يثق بالولاءات المفاجئة؛ فقد كان يدرك أن الشمالي خطر .. إلا أنه خطر يمكن استخدامه بشرط واحد وهو أن يتم اختباره:

- لماذا اخترتنا ونبذت صديقيك ؟

- إنها سنوات عديدة تفصلني عن اللقاء الأول بعاصف والحكيم. في ذلك اليوم وقفتُ إلى جانبهما ضد القبيلة التي نشأتُ وكبرتُ فيها؛ الأمر الذي جعلهما يُلقيان عليَّ نفس السؤال الذي ألقيته بنفسك الآن يا جلالة الملك وهو " لماذا اخترت الانحياز إلى صفنا ضد قبيلتك " فقلتُ لهما بأنني أتبع الحق، ولا شيء غير الحق.

هنا باغته طاغين بسؤال محدد:

- وهل ترى أنني الأحق بالعرش ؟

- أما العروش فإنها لا تعترف بصِلة القرابة، إنها لا تعترف إلا بالقوة، وقد أخذتَ العرش بقوتك؛ ولذلك أنت ملك مملكة أبابيل، أما الشرعية فشأنها مختلف.

تكلم أحد القادة بنبرة متوعدة:

- انتبه لما تقوله أيها السيَّاف؛ فكلماتك القادمة ستحدد مصيرك.

لم يعر الشمالي انتباهًا بشأن ذلك التهديد، وواصل كلامه:

- الأباطرة هم العائلة الملكية الشرعية، وقد تنازل جبَّار الأباطرة بالمُلك قبل موته لحفيده عاصف، وهذا الحفيد بدوره تنازل بالشرعية إليك؛ ولذلك أنت الآن هو الملك الشرعي لهذه المملكة[٣].

شيء ما ابتسم داخل طاغين وهو يسمع ذلك الاعتراف الذي صدر من الشمالي، قال وهو يحرك رأسه في إيماءة تدل برغبته في الاستماع إلى المزيد:

- واصل ..

---

٣ تسلسل ملوك مملكة أبابيل وفق الأجزاء السابقة وحتى هذا الجزء:

جبَّار:
ورث المُلك عن سلالة الأباطرة، وحكم المملكة لحُكمًا شرعيًا.

طاغين:
استولى على عرش جبَّار بالمكر والخديعة

الحفيد عاصف: استرد العرش لاحقًا من طاغين، وقام برد العرش لجده جبَّار الذي أوصى قبل أن يموت بأن يكون حفيدة عاصف هو الوريث الشرعي لمملكة أبابيل من بعده.

طاغين:
عاد مرة أخرى ليستولي على العرش عبر انقلاب قام به ضد عاصف.

- أنا لم أكن أنوي الوقوف مع أحد ضد أحد أو الانحياز لصالح طرف ضد آخر؛ فقد كنت حتى اللحظة الأخيرة صديقًا مخلصًا صادقًا لعاصف، ولكنه ارتكب خطأ فادحًا حين قرر مهاجمتك .. فكان عليّ أن أتحرك بسرعة لأمنع ذلك .. ليس من أجل الوقوف معك أيها الملك بل من أجل الوقوف مع الحق؛ فأنت في نهاية المطاف هو الملك الشرعي للمملكة وما حدث ضدك هو اعتداء لا أقبل به.

ولما حانت لحظة اختبار الولاء قال طاغين يُلقي بسؤاله:

- وما ستفعل لو أنني طلبتُ منك قتل عاصف والحكيم بنفسك ؟

أمسك الشمالي سيفه ووضعه فوق الطاولة دون أن يخرجه من غِمده؛ فعل ذلك ببطء معقول حتى لا يثير بتصرفه ذاك حفيظة القادة ويجعل أحدهم يظن خطئًا أنه ينوي مهاجمة الملك:

- هذا السيف، وصاحبه طوع أمرك يا سيدي الملك.

٨

فجرًا،

- قصر مملكة أبابيل -

غرفة المشاورات بالغة السرية

غرفة صغيرة نسبيًا، الضوء فيها خافت يَنبعثُ من شمعدانات مُعلقة .. سَقفها - سقف الغرفة - منخفض ويَغلب عليها الطابع الحجري المتشقق الذي يعكس قِدم المكان .. في الصدر جلس طاغين وأمامه مستشاره " آشور " وهو رجل بدين أصلع، وإلى جانب الجدار المقابل كان يقف أمين السر منحنيًا على دفاتر من أوراق البردي يُسجل عليها كل ما يُقال.

كان في الغرفة ثلاثة أشخاص - طاغين، آشور، أمين السر - بالإضافة إلى ظلٍ رابع لا يتحرك، لا يتكلم، لا أحد يلتفت إليه أو يُشير نحوه، كما لو أنه ليس معهم، ولكنه كان يجلس صامتًا يُراقب بهدوء ما سيُقال ..

- لا حاجة للتفكير أكثر يا آشور - قال طاغين - أفضل ما يُمكن فعله الآن هو قتله فورًا.

- يجب ألَّا ننسى من هو جد ذلك الفتى يا سيدي.

صرخ عليه بنبرة متشنجة تضخمت معها عروق رقبته:

- عليه وعلى جده اللعنة !!

واصل آشور وكأنما لم يسمع شيئًا:

- رغم أن جبَّار الأباطرة مات منذ سنوات إلا أننا يجب أن نعترف بأن أثره لم يَمت .. هنالك ملوك وأمراء في العالم لا يزالون يحملون له الولاء، وقتلنا لحفيده قد يُثير تحفظهم .. والأسوأ من ذلك أن بعض القُرى والإقطاعات والقبائل داخل المملكة ما تزال توالي سُلالة الأباطرة رُغم الشرعية التي تنازل عاصف لك بها.

بنبرة ساخرة قال طاغين:

- ما رأيك أن نعرض عليه المُلك أيها البدين الأصلع لكي يرضى عني الآخرون ؟!

هنا تدخل أمين السر الذي لم تكن عادته أن يتدخل، ولكنه رأى في ذلك الاقتراح فرصة سانحة لتحقيق الغاية التي تخدم المصلحة:

- لم يعنِ ذلك يا جلالة الملك، وإنما قصد آشور أن نقتله بطريقة مشروعة.

التفت طاغين نحو الأمين وسأله:

- طريقة مشروعة ؟!

- أجل يا سيدي، نُحاكمه أولًا لكي نُظهره بلباس المجرم الذي كسر الهدنة وحاول قتلك. فنكون بذلك قد حجمنا أثر الغضب الذي قد يعود إلينا ممن لا يزالون يحتفظون بالولاء لعائلة الأباطرة. ونُظهر حِلمك وعدلك لعامة الشعب.

هنا بدا أن الملك طاغين قد أُعجب بالفكرة؛ مما شجع آشور على التقدم خطوة أخرى نحو التأثير عليه ودفعه إلى الموافقة:

- إننا بهذه الطريقة لا نقتله بطريقة شرعية فقط، بل نكسره أمام أُناس يعرفونه .. وفي وسط مكانٍ يشعر فيه بالهزيمة قبل موته؛ عاصف يجب أن يَسقط رأسه في قرية الجسَّاسة يا سيدي.

بدت الفكرة بهذه الطريقة أكثر جاذبية لدى طاغين الذي تراجع متكئًا على ظهر المقعد كاشفًا عن ابتسامة خبيثة وهو يُتمتم كمن يتذوق بفمه حلوى لذيذة:

- فليكن موته هناك: حيثُ مَسقطُ رأسه، نُسقط رأسه.

ثوانٍ مشدودة مرّت قبل أن يتحرك الظل الرابع في الغرفة، ويخرج من العتمة صوتٌ مشبع بالجدية يقول:

- قبل كل شيء، هنالك ما يجب أن نحسب حِسابه ..

استدار الجميع نحو مصدر الصوت الأنثوي الذي خطت صاحبته خارج العتمة وهي تقول:

- لماذا نكتفي بقتل حشرة واحدة في الوقت الذي نستطيع فيه بذات الحذاء أن نقتل كل الحشرات المختبئة في جحورها.

لم يفهم أحد منهم إلى ماذا كانت ترمي صاحبة الصوت، فقال طاغين يسألها:

- اشرحي لنا أكثر ما تفكرين به يا عزيزتي جومانا

السجن

الخطة

@ART_OF_BOOK

في أعلى الزنزانة كانا معلَّقين، عاصف يُمسك أعمدة السقف المحرية، يقاوم اهتزاز عضلاته بصمت بينما الحكيم يجلس على كنه ويقول بصوت متشكك:

- هل أنت متأكد من نجاح الخطة المسمارية ؟

- مسمارية ؟

- نعم؛ نسبة إلى حمار العائلة "مسمار"

عاصف منزعجًا:

- لماذا لم تقترح غيرها إن كنت غير راضٍ عنها ؟

- أخبرتك بالخطة ولم تقتنع أيها الأحمق !!

- لقد شرحت لك الأمر أكثر من مرة أيها الحكيم: هذه الزنزانة مشيدة من صخور عليها تعاويذ تمنع الأشخاص الذي يمتلكون قوى غير طبيعية من استخدامها

- ليس هذا ما أتحدث عنه، بل الخطة الأخرى ..

- أخبرتك بأن تخرج فكرة الرشوة من رأسك !!

- اقنعني

- لأسباب كثيرة، أحدها بأننا لا نملك المال !!

- المال ليس كل شيء، هنالك ما هو أكثر قيمة من المال

- وكيف ستقنع الحرّاس بهذه الحكمة أيها العبقري ؟

مكث الحكيم يفكر للحظات قبل أن يقول:

- آخ لو أنهم حارسات وليسوا حراسًا.

- وما الذي كان سيفرق حينها ؟

إلى متى سأشرح لك يا عواطف ؟!! .. أنت تملك مخالب القطة عندما تغضب، الشمالي يتحول إلى سمكة كنعد[٤] حين يُلامس جسده الماء، أما أنا فقوتي الخاصة تكمن في جاذبيتي التي لا تستطيع أي امرأة على وجه الأرض مقاومتها.

عاصف وهو يضغط على أنفاسه:

- أيها الحكيم .. ألا تلاحظ أننا في وضع لا يحتمل مثل هذه الحوارات ؟!

- لاحظت ..

- إذًا احتفظ بلسانك داخل فمك .. ودعني أحاول احتمال هذا الألم الفظيع الذي يكاد يُفتت ظهري وأنا أحاول التمسك بالجدران وعدم السقوط ..

في تلك اللحظة بدأت تتعالى أصوات تحركات غريبة لحراس السجن وكأنهم يستعدون لفعل شيء ما؛ الأمر الذي دفع بالحكيم لينظر ناحية عاصف وهو يقول:

- إنها فرصتنا الأخيرة، أأنت متأكد من الخطة ؟

- نعم؛ فطاغين لن يُفوت على نفسه فرصة أن يحطمني أمام الجميع، وهذه الأقدام التي نسمعها الآن تشير إلى أنهم يقتربون من إخراجنا من السجن ونقلنا إلى العربة التي سوف تنقلنا إلى ساحة الإعدام.

---

٤ الكنعد: هو نوع من السمك ينحدر من سلالة التونة.

- إذًا سوف نُعدم إن فشلت الخطة صحيح ؟

- لا ..

- كنت أعلم أنك قد جهزت خطة أخرى ..

- ليست خطة إنما أمل

- وهل هي جميلة ؟

- من هي ؟!

- أمل هذه التي تتحدث عنها !

عاصف وقد فاض صبره: يبدو أن هذه الحيطان المسحورة لديها القدرة أيضًا على منع الفئران من استخدام عقولها .. الأمل الذي أقصده هو إكليل والنجدة التي سيأتي بها.

- أأنت جاد في ثقتك بطائر الدجاجة المحمرة الذي هرب وتركنا معلقين هنا مثل أسياخ الشِواء ؟

- أكثر من نفسي

- أتعلم شيئًا ؟! ..

- ماذا ؟!

- أصبحت الآن أتمنى أن تفشل هذه الخطة.

- لماذا ؟

-لأنظر في عينيك قبل أن يعدموك وأسألك عن أمل.

- ألن يعدموك أنت أيضًا معي ؟

- بلى، ولكن المهم أن أُثبت لك قبل أن نموت بأنني كنت محقًا في كلامي !!

وهنا تعالت أصوات الأقدام أكثر وهي تقترب من الزنزانة، فكتم الاثنان أنفاسهما بينما كانا يتعلقان أسفل السقف مثل عنكبوتين ليس لديهما إلا أمنية وحيدة وهي ألا ينتبه عليهما أحد، وقبل أن يدخل الحرس سمعا قائد الكتيبة وهو يُعطي التعليمات لمن معه:

- احذروا من الهجين .. أما الفأر فأمره هيّن !!

في موقف آخر كان الحكيم بالتأكيد سوف يقذف ذلك القائد بسلسلة من الشتائم التي يصل مداها إلى جده الأخير، ولكن لخطورة الموقف اختار أن يصمت.

- استعدوا - قال القائد ثم أضاف: والآن افتحوا الزنزانة !!

في الأعلى: كان عاصف والحكيم يكتمان أنفاسهما ويُغلقان أعينهما بحركة لا شعورية وكأنهما يعتقدان بأن إغلاق أعينهما سوف يُساعدهما على الاختباء حتى وإن رفع أحد الجنود رأسه ونظر إلى الأعلى.

فتح الزنزانة

- الهروب -

لحسن الحظ كانت الربكة التي عليها الجنود في الأسفل من اعتقادهم أن السجينين هربا هي ما جعلتهم يغفلون عن رفع رؤوسهم والنظر إلى السقف؛ فغادروا الزنزانة بأقصى سرعة وصوت قائدهم يتردد في الممرات وهم يركضون مبتعدين:

- فتشوا المكان بعناية، لا تتركوا حجرًا إلا ونظرتم تحته !!

وما إن تأكد عاصف من ابتعادهم بالقدر الكافي، حتى انزلق بخفة

من السقف:

- ألم أقل لك بأنها ستنجح ؟

الحكيم وقد بدا أنه غاضب لنجاح الخطة:

- نجحت لأنهم أغبياء وليس لأنك عبقري زمانك.

كان عاصف يُدرك السبب الذي يجعل الحكيم غاضبًا إلى هذا الحد؛ فالحكيم لا يحب أن يكون مخطئًا، وهذا ما يجعله يُفضل أن تفشل الخطة حتى يتسنى له النظر إلى عينيه شامتًا ويقول شيئًا من قبيل

" أرأيت إلى أين أوصلتنا أفكارك الغبية ؟! "

أو ربما شيئًا مثل: " هل رأيت عاقبة من لا يستشير الحكيم أيها المتهور ؟! "

وهذا السبب هو ما جعل عاصف على الرغم من أنه يعرف الخطوة التالية جيدًا، إلا أنه يلتفت ليسأل الحكيم حتى يُشركه في التخطيط؛ فيخفف بذلك من غضبه:

- ماذا تقترح أن نفعل الآن أيها الحكيم ؟

ابتسامة عريضة ترتسم على وجه الحكيم وهو يقول:

- أرأيت يا عواطف ؟! .. إنك لا تعرف كيف تصنع شيئًا بدون مشورتي .. .. ماذا سنفعل ؟! .. .. سنهرب بالطبع قبل أن يكتشفوا أمر خدعتك التافهة !!

**

شق الاثنان طريقهما عبر ممر جانبي حتى انتهى بهما المطاف إلى مفترق طرق مظلم يؤدي إلى جهتين: إحداهما ينحدر جهة اليمين والآخر إلى اليسار، توقف عاصف وقد أدرك الحيلة:

- أحد الطريقين سيؤدي إلى النجاة، والآخر إلى فخ مُحكم.

قال الحكيم بصوت جاد يخلو من نبرته الساخرة:

- افعل ما تجيده دومًا يا عاصف.

- ما أجيده دومًا ؟

- نعم؛ اتبع إحساسك؛ إنه أملنا الوحيد هنا.

- إنها ثقة كبيرة

- وأنت تستحقها بجدارة.

@ART_OF_BOOK

تنهد عاصف بضيق؛ بعد أن وجد نفسه أمام مفترق طرق صعب وقد ألقى الحكيم على عاتقه تلك المسؤولية الصعبة، عليه الآن أن يُحسن الاختيار لكي لا يقع الاثنان في مأزق آخر:

- يخبرني احساسي أن الطريق الصحيح هو النفق الأيسر ..

- رااائع - قال الحكيم - إذًا سوف نسلك النفق الآخر !!

- ماذا ؟! .. ولماذا سألتني إذًا ؟!!

- لأنني منذ عرفتك وأحاسيسك لا تجلب لنا غير المصائب، وقد كنت بحاجة لأن أعرف الطريق الذي سوف يختاره احساسك حتى نسلك الطريق المخالف له.

- إنها المرة الأولى التي تقول فيها شيئًا حقيقيًا.

**

واصل عاصف ركضه في النفق الطويل حتى بدا له ضوء خافت يسطع عند النهاية؛ ما جعل الحكيم المتشبث فوق كتفه يقول:

- إنه طريق الخروج، كنت أعلم أن مخالفة إحساسك هو الخيار الذكي.

عاصف لم يرد، كان يواصل ركضه نحو بقعة الضوء التي تُبشر بنهاية النفق، يريد الخروج من هنا والصعود إلى القصر من أجل جومانا ..

لكن ما إن اقتربا من نهاية النفق حتى حدث ما لم يتوقع حدوثه، صوت احتكاك خافت، خطير، سريع، وقاتل .. لم يكن سهمًا بل كان جسدًا بشريًا انطلق بسرعة البرق نحو عاصف الذي انتبه عليه وحاول أن يتفاداه ولكن الجدران التي شُيد منها السجن والمطلية بطبقة من تعاويذ ماروت[٥] هي ما كانت تمنعه من استخدام قوة النار الكامنة بجسده مما أبطأ سرعته في المناورة وجعله يسقط متأثرًا بضربة الجسد المهاجم والحكيم يتدحرج من فوق كتفه ..

وفي اللحظة التالية انقض الجنود عليه كما تنقض الضِباع على الطريدة، أطبقوا عليه الحِصار، وشدوا حول معصميه أصفادًا مسحورة بتعاويذ ماروت .. ثم قبضوا على الحكيم وسط ركلاته العشوائية وهو يتلفظ بشيء غريب، إذ كان يُصدر هذه الأصوات الغير مفهومة:

- فُررر .. فُرررر .. فُررر !!

---

٥ تعاويذ قادرة على منع أي شخص لديه قُدرة خارقة من استخدام قوته.

نظرات صامتة أرسلها كلٌ من عاصف والحكيم نحو ذلك الجندي الذي أفشل خطتهما، بينما كانت أيادي الحراس تقودهما نحو عربة النقل إلى ساحة الإعدام ..

**

الجندي الذي أوقفهما

بعد رحيلهما ظل ذلك الجندي واقفًا هناك وكأنه مُقيد بمئات الأسئلة التي تمنعه من الحركة .. ظل واقفًا مكانه حتى أتاه صوتٌ من الخلف يقول:

- ما الذي حدث هنا ؟

الجندي وهو يلتفت نحو القائد "جَلمود" الذي نزل من القصر بسبب الجلبة:

- لقد حاول الحكيم وعاصف الهرب، ولكننا سيطرنا على الأمر.

رمقه القائد جَلمود بنظرة فاحصة قبل أن يسأله:

- وهل أوقفتهما بنفسك ؟

- نعم.

ابتسامة صغيرة ارتسمت على ملامحه وهو يقول:

- أحسنت - ثم أضاف جلمود يقول وهو يبتعد من هناك: موكب الملك يستعد للتحرك، وعليك أن تكون هناك لتنفذ حكم الإعدام بحق عاصف والحكيم وتُثبت للملك والجميع من سوف يكون خائنًا في قلبه الجسّاسة ولاءك أيها الشمالي.

الجسّاسة

كانت الشمس قد بلغت كبد السماء وتُلقي بأشعتها الذهبية فوق أرض القرية حيث انشغل أهالي الجسّاسة بنمط حياتهم المعتاد: بعضهم في الحقول، وآخرون في الحوانيت، والنساء يملأن الجِرار من الآبار أو يَبعن السِلال في الطرقات .. كل شيء بدا طبيعيًا ذلك النهار حتى أتت تلك اللحظة التي خيَّم فيها الصمت ..

صمت غريب ..

لم يعتد أهل قرية الجسّاسة عليه ..

في البدء لم يفهم أحد ما الذي يحدث، ثم فجأة ..

جاء الصوت: دقّة طبل

ثانية ..

ثم ثالثة ..

لقد كانت ثلاث دقات متباعدة،

ثقيلة، قوية، واضحة، كما لو أن أحدهم كان يطرق بابًا في السماء.

**

الموكب

تحركت الرؤوس ناحية الجنوب الغربي حيث الطريق الطويل القادم من جزيرة الأرباب - عاصمة مملكة أبابيل - فشاهدوا شيئًا مَهيبًا يقترب، مما حدا بأحد سكان القرية لأن يقول بنبرة داهشة:

- إنه هو ألبس كذلك ؟!

تمتم صوت آخر: نعم؛ إنه موكب الملك.

وقالت امرأة: هذا يُفسر قدوم أولئك العمال يوم البارحة !!

كان الموكب الملكي يتقدم ببطء وقوة مثل السيل، مدججًا بالخيل والدروع وصرير العجلات والنحاس المتلألئ أسفل أصيل الشمس، خرج الناس من البيوت، من الأسواق والحوانيت ومن الأزقة الضيقة، ووقفوا على جنبات الطريق في ذهول صامت يُحدقون: خيول مُقنّعة، وجنودٌ ضخام بمدرعات لامعة يضربون الأرض بخطواتٍ ثقيلة فيُحدثون بذلك على الأرض هزَّة قوية ..كانت هنالك عربة ملكية تتوسط الموكب، مُحاطة بدروع بشرية من جنود النُخبة .. تجرها أربعة خيول سوداء من سلالة الحرب .. قُمرة العربة الداخلية مُغطاة بسقف مقوس ومزخرف بنقوش ذهبية، يفصل بينها وبين الخارج ستائر داكنة لا يظهر من وراءها شيء غير ظل رجلٍ يجلس وفوق رأسه تاجٌ يلمع بين تذبذات الضوء؛ فأدرك كل من في القرية أن الملك جاء بنفسه !!

في نهاية الموكب كان هنالك قفص حديدي يتم سحبه فوق عجلات صلبة.

داخل القفص: وقف عاصف وهو مقيَّد اليدين وقد استخدموا ساقه ليربطوا فيها الحكيم الذي كان بين الحين والآخر يكرر ذات الصوت الغريب:

- قُرررر .. قُرررر ..

الأمر الذي جعل عاصف بسأله وقد استفزه الأمر:

- ما هذه الأصوات بحق الرب أيها الحكيم ؟!

- احاول أن أقنعهم بانني فار.

- ومن أخبرك بأن هذا صوت الفأر ؟

- اسمه فأر، كيف سيكون صوته غير فُرور، فُرور !!

- يا إلهي الرحمة !!

- لا تتحدث؛ أخرج مخالبك وقل مياو !!

في تلك اللحظة التفت إليهما أحد الجنود وهو يضرب قضبان القفص برمحه:

- التزما الصمت أنتما الاثنان !!!

الحكيم وهو يهز رأسه بالموافقة ويُتمتم: فُرور، فُررر.

وما إن تقدم القفص الحديدي ودخل منطقة الرؤية الواضحة حتى تبيّن للناس وجه الأسير: (إنه عاصف ابن قريتهم !!) الفتى الذي نُصب قبل أعوام ملكًا على مملكة أبابيل بأسرها .. ذلك الخبر الذي غمر الجسّاسة حينها بفخر لم تعرف له مثيلًا من قبل بعد أن أحس أهلها أن واحدًا منهم ارتقى فوق الجميع ورفع مكانتهم فوق سائر بقية القرى المجاورة ..

لكنها الأقدار تتقلب، فينتهي زمن الفخر ويبدأ الزمن الذي يُنكس فيه أهالي القرية رؤوسهم وهم يشاهدون ابنهم كخائن يُساق إلى ساحة إعدامه.

**

ساحة الإعدام

كانت الساحة الجانبية للقرية عبارة عن ساحة ترابية واسعة، تُستخدم عادة لتجمع الأهالي في الاحتفالات الموسمية والمناسبات العامة، لكنها اليوم كانت على موعد مع مشهد مختلف تمامًا .. فقبل يوم واحد فقط وصل إلى الجسَّاسة مجموعة من عمال رسميين، يحملون أختامًا ملكية ويأتمرون بتوجيهات غامضة. بدأ حينها العمال على الفور – وقد كانوا من الجن - بتشييد منصة خشبية مرتفعة في قلب الساحة، وعلى الرغم من قِصر الوقت إلا أنها كانت متقنة البناء متينة القوام رُبطت أطرافها بالحبال الغليظة وشُدت إلى الأوتاد بإحكام وقد أثار هذا العمل المفاجئ تساؤلات الناس في القرية، لكن العمَّال لم يُجيبوا على أسئلتهم المتكررة إلا بجواب واحد:

- إنها أوامر عُليا.

عند حافة منصة الاعدام:

توقفت العربة التي تجر القفص الحديدي،

تقدَّم أحد الحراس ليفتح الباب ويشير لمن فيها بالخروج.

ورغم أن عاصف كان يُساق إلى موضع الإعدام إلا أن رأسه كانت مرفوعة، يصعد الدرجات بخطوات واثقة غير مبالية بشيء، ما دفع الحكيم ليسأله:

- ما بالك تسير وكأنك تصعد إلى عروستك ؟

- لا يوجد سبب يجعلني أخاف، أنا واثق من أن إكليل سيصل بالنجدة في الوقت المناسب.

- سنموت أيها الأبله، سنموت وأنت لا تفكر إلا في طائر الدجاجة المحمَّرة !!

- إحساسي يُخبرني أن شيئًا جميلًا سيحدث بعد قليل.

- طالما دخل إحساسك في الموضوع فقد قُضي علينا !!

- احساسي لا يخيب.

- وهل أوصلنا شيء إلى هنا غير إحساسك ؟!

على الزاوية البعيدة من الساحة كانت العربة الملكية قد استقرت وقد فُتحت ستائرها الداكنة الثقيلة ليظهر من ورائها وجه طاغين وهو يتنقل بعينيه ما بين الساحة، والناس، والمنصة كأنه يشاهد مسرحية يعرف سلفًا كيف ستكون نهايتها.

إلى جانب العربة بمسافة قصيرة وقف الشمالي ممتطيًا حصانه، صامتًا كعادته يتابع المشهد بصمت بارد كالثلج .. اقترب منه القائد جلمود ليسأله:

- سيُطلب منك التنفيذ بعد قليل، فهل أنت جاهز ؟

الشمالي وهو يُلقي نظرة إلى عربة الملك ويؤدي تحية بسيطة برأسه وكأنه يؤكد ولاءه:

- دائمًا جاهز.

**

في منتصف المنصة - وكما خُطط له من قِبل القصر - وقف رجل وقور، هو أحد رجال الملك طاغين ممسكًا بيده البيان الذي سوف يتلوه على الحشود:

- يا أهل قرية الجسَّاسة، اصغوا إليَّ !!

وحين صمت الناس وتعلقت أبصارهم به، قال:

- لقد ارتكب المدعو عاصف مع صاحبه الفأر جُـ ..

توقف الرجل الوقور عن الكلام بسبب صوتٍ معترض انبعث من ورائه:

- أنت أيها الرجل الأبله، أنت يا وجه العنز !!

التفت الرجل الوقور إلى مصدر الصوت وهو متعجب من أن لكلامه أحد بكل تلك الصفاقة؛ فقال كما ليتأكد:

- هذا الحديث موجهٌ إلي ؟!

- هل ترى وجهًا كالعنز هنا غيرك ؟!

- ماذا تريد ؟!

- لا تقل فأر !! .. انطق اسمي .. قُل الحكيم !!

التفت الرجل الوقور نحو أحد الجنود وقال له:

- اغلق فم هذا الفأر !!

- فأر يدخل في .. ..

كاد الحكيم أن يُكمل جملته لو لم يتدخل الجندي ويُغلق فمه في اللحظة الأخيرة، بينما عاد الرجل الوقور يُكمل تلاوة الخطاب إلى الحشود:

- لقد ارتكب المدعو عاصف ومعه صاحبه الفأر جُرمًا لا يُغتفر، إذ تجرأا على نقض الهدنة ليلة الزفاف، وباشرا الخيانة في قلب القصر؛ بعد أن سعيا لاغتيال جلالة الملك طاغين !!

تنهيدة طويلة ثم نظرة جادة أرسلها الرجل الوقور نحو الجند وهو يقول:

- وبناء على ما ثبت وباسم العدالة الملكية فقد حُكم عليهما بالإعدام.

••

كان ينبغي الآن - ووفقًا لما هو مُخطط له من القصر - أن يتقدم الشمالي لينفذ الاعدام، لكن في تلك اللحظة خيَّم صمت مفاجئ على الأجواء، صمتٌ من النوع الذي يُمهد لقدوم الكارثة ..

رفع عاصف رأسه إلى السماء ..

لم تكن هناك سوى بضع سحابات متناثرة هنا وهناك،

وبرغم ذلك ابتسم وهو يلتفت إلى الحكيم ويقول:

- ألم أقل لك بأنني أثق به ؟

في الحقيقة: لم يفهم الحكيم شيئًا مما يحدث، لم يفهم السبب الذي جعل عاصف يقول تلك العبارة، ولكن طاغين داخل عربته بدا كمن شهق سرًا، يده انكمشت فوق مسند المقعد وعيناه صارتا تبحثان في الأفق، جنود النخبة حول العربة أيضًا استعدوا وقد أدركوا ما يحدث؛ فهناك صمت لا يدرك معناه إلا أهل الحرب.

وفجأة بدأ الصوت يَعلو شيئًا فشيئًا ..

لم يكن قرع الطبول هذه المرة بل رفرفة أجنحة، أتت قادمة من الجهة الغربية، ثم جاء صوت الصهيل، صهيلٌ أدرك كل من سمعه أنه ليس صهيل خيولٍ عادية

**

الأشاوس

كان أهالي قرية الجسَّاسة قد سمعوا بالقناطير .. سمعوا عنها في الحكايات والقصص، ولكن القليل منهم فقط من استطاع أن يشاهد كائنًا منها على أرض الواقع ..

في ذلك النهار رفع أهالي القرية رؤوسهم وشاهدوا منظرًا لن يتزحزح من ذاكرتهم أبدًا، المنظر الذي سيظلون يقصونه لأبنائهم وللأجيال من بعدهم: إنها ظلال ضخمة تعبر السماء لمخلوقات ذات جذوع بشرية من الأعلى، وأجساد خيول مجنحة من الأسفل، تحمل سيوفًا طويلة ورماحًا ودروعًا ثقيلة ولديها ملامح أكثر حِدة من رؤوس السِهام المميتة.

قال جَلمود قائد الحرس وهو يأمر الجنود:

- استعدوا، إنهم قبيلة الأشاوس.

**

كانت الأميرة آشاس - أميرة قبائل الأشاوس - تتقدم كتائب القبيلة وهي تلبس درعًا فضيًا، وتقود الجميع خلفها بينما تشق الهواء بجناحيها الطويلين، وعلى متنها تجلس امرأة محاربة، عيناها تتوهجان بقوة غريبة وكأن المعارك لعبة بالنسبة لها .. ورغم هيئتها البشرية إلا أن منظرها كان يُثير في النفوس شعورًا غامضًا لا يُشبه الشعور الذي يُثيره النظر تجاه أي إنسي آخر: بؤبؤاها مشقوقان بالطول كعيون الأفاعي، يلمعان كحد سكينة مصقولة، ولديها ثلاثة خطوط طولية تنحدر من تحت عينيها كأنها قشور خفية، وكان لون جلدها يتبدل أحيانًا أسفل ضوء الشمس ليكشف عن تموجات حرشفية ..

فوق رؤوس الكتائب مباشرة طائرٌ أحمر يُحلق فاردًا جناحيه ويزأر، كان صوته المرعب القوي بالإضافة لمنظر الأشاوس هو ما جعل سكان القرية ينكمشون إلى الوراء ويفرون إلى بيوتهم .. رفعت الأميرة آشاس رمحها الطويل وأشارت به نحو منصة الاعدام وصاحت بعلو صوتها الذي تردد في الأفق:

- لا تتركوا لهم متسعًا لالتقاط أنفاسهم !!!!

أوشك الاشتباك أن يقع،

غير أن هنالك شيئًا ما كان يستعد للظهور من باطن الأرض، شيء لم تحسب الأميرة آشاس، ولا المحاربة السوداء التي تمتطي ظهرها حسابًا له ..

إنه شيءٌ خطير،

سوف يُغير كل شيء حين يظهر ..

the best

أبواب الجحيم

تحت السماء التي بدأت تتلبد بالغيوم الثقيلة أشارت الأميرة آشاس بيدها، فأطلقت قبائل الأشاوس رماحها التي سقطت على أطراف ساحة الإعدام وكأنما السماء تمطر حديدًا .. ومعها دوى صوت رهيب انبعث من فم المرأة السوداء المحاربة التي تُدرك كم تحترم قبائل الأشاوس اسم "بحر وأيوب" وتعلم أن كل مقاتل فيهم يحمل في قلبه لهذا الاسم قداسة عظيمة:

- من أجل عاصف ابن بحر وصديق أيوب !!!

تجمد الجالس داخل العربة مكانه وقد عرف صاحبة تلك الصرخة، كما عرفه كل من حوله من جنود النخبة الملكية، إنه بلا شك صوت كوبرا أفعى الجن تارا التي جاءت إلى الساحة متمثلة بهيئة بشرية !!

**

الشيء الذي سوف يظهر

هجمت قبائل الأشاوس من الأعلى بأجنحتها القوية يتبعهم إكليل في انقضاضة واحدة قاصمة .. ولكن قبل أن يحدث الاشتباك: اهتزت الأرض وانشقت، وخرج من جوفها كائن أول ضخم الجثة رأسه مليء بالقرون ووجهه كأنه صُب من لحم يغلي .. أعقبه ثانٍ وثالث ثم جيش من الشياطين المعروفة باسم "الغِيلان المَردة " جعلت تصعد من أسفل الأرض تباعًا ورائحتهم تملأ الساحة كبريتًا ودخان !!!

هنا أدركت كوبرا أفعى الجن وهي تشاهد الخصم الجديد بأن ما كانت تظنه غارة سريعة لإنقاذ عاصف والحكيم سوف يستحيل إلى حربٍ غير محمودة العواقب ..

**

الاشتباك

بدأ صوت الحرب يعلو، صوت الحوافر، قرع السيوف، شهقات أرواح تُزهق، كان كل شيء يحوم في فلك معركة مجنونة، ولا أحد حتى اللحظة يعرف كيف وصل ذلك الفصيل المرعب - الغِيلان المردة - ولا من جاء بهم إلى هنا لقتال قبيلة الأشاوس .. وفي وسط هذه الفوضى العبثية، جاءت اللحظة التي اختار فيها الشمالي أن ينزع عن وجهه قناع الخيانة ويتحرك؛ فأرخى يده اليمنى عن لجام حصانه، أغمض عينيه لجزء من الثانية كأنما يستدعي كلامًا داخليًا وسط العاصفة ثم همس لنفسه وهو يفتح عينيه:

- الآن !!!!

ثم انقض بكل قوته ..

حيث قفز من على حصانه كذئب يهاجم وكر العدو،

تسلل عبر جنود النخبة الملكية الذين تشتتوا بسبب الهجوم الجوي، وانطلق كالضوء الساطع يركض نحو العربة التي يجلس بداخلها طاغين، انطلق بخطوات محسوبة دون أن يُظهر أي تردد وكأنه ينفذ أمرًا طال انتظاره.

حين اقترب من هدفه زاد من سرعته حتى كاد أن يختفي لفرط ه

ثم قفز نحو العربة بسيفه الطويل الأشبه بسيوف الساموراي مخترقًا إ

في لمح البصر، وصوت الطعنة يخترق الهتافات والصراخ ليخرج الشف

من الجهة الأخرى للعربة وجسده متوشح بالدم وعلى طرف سيفه رأ

مقطوعة مكللة بالتاج ..

إنه رأس طاغين ..

@ART_OF_BOOK

وداعًا

ولكن ..

لم يصرخ أحد،

لم يركض خلفه أحد،

لم يُرفع ضده رُمح ولم يُوجه نحوه سهم،

الجميع - جميع جنود النخبة الملكية - كانوا مشغولين باتجاه آخر، باتجاه منصة الاعدام؛ الأمر الذي جعله يتساءل عن السبب الذي جعلهم غير مهتمين لمقتل الملك في حين أن حدثًا كهذا يفترض أن يقضي على أرواحهم القتالية .. ولكن ها هم - غير مكترثين بما حدث - يندفعون نحو عاصف والحكيم وكأنهم ينفذون خطة مدروسة، فأخفض الشمالي بصره نحو الرأس المقطوع وأدرك الحقيقة: هذه الرأس المقطوعة ليست لطاغين بل هو شبيهٌ له !!

وهنا أدرك الشمالي الفخ الذي أعده طاغين بذكاء ليصطاد ثلاثة طرائد في وقت واحد: فهو لم يأتِ بعاصف إلى الجسَّاسة من أجل أن يعدمه أمام أهل قريته كما كان قد أدعى .. بل جاء به إلى هنا ليستخدمه طُعمًا يستدرج به قبائل الأشاوس ويُغريهم بالقدوم - إنه يعلم بأنهم يأتون دومًا لإنقاذه بسبب وفائهم لوالده بحر وصديقه أيوب - ثم يُفاجئهم بجيش من الغيلان المَردة - والذي غالبًا كان قد استدعاهم بعد أن دفع لهم أموالًا طائلة ليشاركوا في المعركة - وبذلك يستطيع بواسطتهم أن يقضي على قبائل الأشاوس ويُنهي تمردهم ثم يقتل عاصف والحكيم، ويكشف حقيقة ولاء الشمالي الذي لم يخن صديقيه بل كان يحاول طيلة المدة الماضية شراء الوقت في انتظار اللحظة المناسبة ليُنقذهما: لقد كان طاغين أذكى منهم جميعًا !!

رفع الشمالي عينيه باتجاه المنصة، رأى عاصف والحكيم وهما محاطان بجنود النخبة والسيوف مشرعة نحوهما .. لقد فات أوان التدخل ورغم ذلك إلا أنه حين نظر إليهما وجدهما ينظران إليه بحب وهما يتذكران تلك اللحظة التي اعترض فيها طريقهما في النفق وأسقطهما أرضًا قبل بلوغهما النهاية .. حينها استغل الشمالي انفراده بهما وهمس إليهما في لحظة سريعة ودون أن ينتبه إليه أحدٌ من الحرس:

- كل شيء مُخطط له، ثقا بي !!

لقد خطط الثلاثة – عاصف والحكيم والشمالي – لأن يعيشوا لمدة
أطول، ولكن الموت كان إلى بعضهم أقرب، صاح الشمالي وهو يبكي
لأنه لم يكن على قدر الثقة:

- وداعًا!!!

الباب الثاني

ممالك التنين

الطـــريق إلى القـصر

.. غيّاث، نورس، ريحانة فرخ التنين رعد ..

داخل إحدى العربات المكسوة أرائكها بالجلد الأسود الفاخر، أسندت نورس رأسها على ذراع والدها " غيّاث " وجلست تُحدق من خلال نافذتها نحو الأشجار التي تسرع بالخلف بينما كان التنين الصغير "رعد" ملتفًا عند قدميها، قالت ريحانة – الجالسة على الأريكة أمامها – في محاولة للتخفيف عنها:

– كل ما في الأمر هو أننا ذاهبون إلى القصر الملكي في زيارة تشريفية ولا يوجد داعٍ لكل هذا القلق الذي تشعرين به يا نورس

تحدثت نورس أخيراً بعد صمت طويل تخبرها بما يُقلقها:

- في المرة الماضية التي طلب الملك يَمان فيها والدي واستدعاه إلى القصر .. كان يستدعيه لأجل إرساله في حرب كُبرى ضد اللعين عاصف، فما الذي يضمن لنا اليوم بأنه لا يطلبه من أجل تكليفه بمهمة جديدة [٦] ؟!

- ما كان الملك يَمان سوف يسمح له بإحضارنا معه لو أنه كان يريد تكليفه بمهمة جديدة، أليس كذلك ؟

- ربما تكونين محقة، ولكن لماذا يستدعيه اليوم ؟

- لا تنسي أن والدك أحسن تنفيذ المهمة الماضية، وربما يدعوه الملك اليوم لأجله تكريمه.

نورس وهي تلتفت وتنظر إلى غيّاث وتناديه:

- أبي ..

ما إن نظر إليها غيّاث حتى أدرك بأنها تريد أن تستأذنه في أمر متهور، فقال بنبرة حادة وكأنه يريد أن يقطع عليها الطريق:

- ماذا تريدين ؟!

---

٦ في رواية السِّجيل: قام الملك يَمان باستدعاء غيّاث إلى القصر من أجل تكليفه بمهمة قيادة الجيش إلى المعركة، وقتال عاصف وحلفائه.

ترددت قليلًا قبل أن تكشف له عن رغبتها:

- أتسمح لي أن أصفع الملك يَمان في حال تبين لنا أنه يُخطط لشيء سيئ ؟

يعرف غيَّاث أنها تعني ما تقول؛ لذلك لم يتهاون وقال يحذرها:

- لو صدر منكِ أمام الملك ما يُسيء، فسأغضب منكِ !!

وهي ترفع إصبعيها السبابة والإبهام وتومئ له:

- صفعة صغيرة بهذا الحجم فقط.

- سأغضب منكِ !!

- تغضب كثيرًا أم قليلًا ؟

- كثيرًا

- كثيرًا كثيرًا، أم كثيرًا قليلًا ؟

- كثيرًا كثيرًا.

- حسنًا لن أفعل - ثم همست - ولكن لا أضمن كيف سيتصرف رعد حين يراني غاضبة.

- أما هذه السحلية فسوف أشويها إن صدر منها ما يُسيء !!

نورس وهي تلتقط تنينها من عند قدميها وتحتضنه:

- هذا فرخ تنين وليس سُحلية !!

قال وقد عرف من أين عليه أن يضغط:

- إن كان أمر هذا الكائن يهمك فالتزمي الأدب يا نورس !!

- حسنًا، أعدك بأنني سألتزم أمامهم بالأدب.

- أحسنتِ يا ابنتي

- ولكن ما ذا عن الشتم ؟! ..

- الشتم ؟

- نعم، أأستطيع أن أشتمه بدلًا من أن أصفعه ؟!

- نورس !!!

- سوف أشتمه في قلبي فقط !!

وهو يرفع إصبعيه السبابة والإبهام ويومئ لها:

- شتيمة صغيرة بهذا الحجم فقط ؟!

وهي ترفع اصبعيها:

- نعم بهذا الحجم فقط !!

- حسنًا، لا بأس.

**

مضى وقتٌ عليهم داخل القُمرة، بينما العربة تواصل شق طريقها نحو القصر، واثناء ذلك الوقت غفت نورس على ذراع والدها، بينما استغلت ريحانة ذلك وهمست:

- ما الذي يشغل بالك يا سيدي غيَّاث[٧] ؟

- كم مرة طلبت منك بأن تنزعي الألقاب بيننا يا ريحانة ؟

- آسفة – قالت – لقد جرت الكلمة على لساني.

- لا حاجة للتكلف، تستطيعين أن تناديني " سيدي " فقط.

ضحكت ريحانة، كانت تعلم أن هنالك ما يشغل باله ولكنه يُجيد قَمع القلق وتحجيمه حتى لا ينتقل لمن هم معه، وكانت تحب هذه الصفة فيه.

- ما الذي يشغل بالك يا غيَّاث ؟

- لقد خدمتُ في البلاط الملكي طويلًا .. وأعلم جيدًا أن الملك يَمان لا يتحرك دون غاية؛ وهذه الدعوة المفاجئة تترك أثرًا مباشرًا داخلي لا يجعلني أشعر بالطمأنينة.

---

٧ تناديه سيدي؛ لأنه كان المسؤول عن تدريبها عندما كانت فارسة في فرقة حماية الملك. المصدر: رواية السِّجيل.

- ربما يرغب الملك في تكريمك بعد أن ..

قاطعها غيَّاث مبتسمًا قبل أن تتم جملتها قائلًا:

- حتى سُحلية نورس لا تصدق هذه الحجة يا ريحانة.

**

توقفت العربة أخيرًا، وفُتح الباب لتندفع إلى داخل القُمرة نسمة هواء محملة برائحة حدائق قصر ممالك التنين المترعة بالأشجار والأزهار وأصوات بلابل الطيور .. ومع اهتزاز العربة الخفيفة أثناء التوقف استيقظت نورس من نومها، رمشت بعينيها مرتين كأنها تحاول استيعاب المكان الذي وجدت نفسها فيه ثم اعتدلت ببطء وهي ترى خادم القصر يرحب بوالدها:

- أهلًا بك سيدي غيَّاث، وأهلًا بضيوفك.

قالت ريحانة توصي نورس قبل أن يترجلوا من قُمرة العربة:

- لا تحدقي كثيرًا إلى أحد، لا تتكلمي إن لم يُطلب منك، وتذكري أن أي تصرف غير محسوب في الداخل سوف يدفع والدك ثمنه.

نورس وهي تنزل من العربة خلف والدها:

- لا تقلقي، سوف أُبهركم.

ريحانة تتنهد بقلق وهي تحمل بين يديها فرخ التنين رعد، وتستعد لمغادرة القُمرة:

- ليكن الرب معنا.

**

داخل القصر

كانت قاعة القصر الملكي في ممالك التنين واسعة، جدرانها مكسوة بأحجار براكينٍ حمراء غامقة تحمل شمعداناتٍ نحاسية عتيقة تُرسل ضوءًا ناعمًا على أرضية الرخام المصقول

دخل غيَّاث أولًا،

هيبة جسده كانت تسبقه، كتفاه مشدودتان، وخطاه محسوبة، عيناه تتحركان في هدوء بين الزوايا، يقرأ المكان حوله كما يقرأ ساحة المعركة، فلقد علمته الحياة أن السلام قد يُخفي بين ثناياه نصلًا غادرًا ينتظر اللحظة المناسبة .. إلى جواره دخلت نورس بخطوات رصينة وخلفها ريحانة بثوبٍ رماديٍ بسيط وعلى كتفيها فرخ التنين الصغير يلتف كوشاح حي وعيناه تتقافزان في كل اتجاه.

على العرش الملكي المَهيب والمصنوع من حجارة البراكين ذي الظهر المرتفع والمتصل بسقف القاعة، جلس الأمير - أركان - والذي كان فتًا في بداية العشرينات من عمره، وسيم، يلف كتفيه بعباءة ملكية ثقيلة تنسدل بأناقة، وإلى يساره امرأة ذات وقار، شعرها الأبيض مصفف بعناية، يعلو رأسها تاج صغير منقوش عليه رمز التنين إنها الملكة " أنورا " زوجة الملك يَمان ووالدة الأمير .. وخلفهما مباشرة كان يقف رجل طويل القامة مفتول العضلات اسمه " سحاب "

ما إن أصبح غيَّاث بالقرب من العرش حتى أدى برأسه انحناءة بسيطة وهو يقول:

- السلام على الملكة أنورا، والأمير أركان.

ردت الملكة عليه التحية من مكانها، وفي حين اقتضت مراسم البلاط أن يرد الأمير عليه بالتحية من مكانه، إلا أنه خالف العرف، فنهض من مجلسه وهو يقول:

- غيَّاث .. الظل القديم لوالدي - ثم وهو يقترب منه فاتحًا ذراعيه ويُضيف:

- مرحبًا بك في قصرنا من جديد.[٨]

---

٨ الظل هو الاسم الرسمي لحارس الملك في ممالك التنين. المصدر: "رواية التَنجيل"

على العرش الملكي المَهيب والمصنوع من حجارة البراكين ذي الظهر المرتفع والمتصل بسقف القاعة، جلس الأمير - أركان - والذي كان فتًا في بداية العشرينات من عمره، وسيم، يلف كتفيه بعباءة ملكية ثقيلة تنسدل بأناقة، وإلى يساره امرأة ذات وقار، شعرها الأبيض مصفف بعناية، يعلو رأسها تاج صغير منقوش عليه رمز التنين إنها الملكة " أنورا " زوجة الملك يَمان ووالدة الأمير .. وخلفهما مباشرة كان يقف رجل طويل القامة مفتول العضلات اسمه " سحاب "

ما إن أصبح غيَّاث بالقرب من العرش حتى أدى برأسه انحناءة بسيطة وهو يقول:

- السلام على الملكة أنورا، والأمير أركان.

ردت الملكة عليه التحية من مكانها، وفي حين اقتضت مراسم البلاط أن يرد الأمير عليه بالتحية من مكانه، إلا أنه خالف العرف، فنهض من مجلسه وهو يقول:

- غيَّاث .. الظل القديم لوالدي - ثم وهو يقترب منه فاتحًا ذراعيه ويُضيف:

- مرحبًا بك في قصرنا من جديد.[٨]

---

٨ الظل هو الاسم الرسمي لحارس الملك في ممالك التنين. المصدر: "رواية التَنجيل"

مدَّ غيّاث ذراعيه وحيا الأمير بنفس حميمية الترحيب:

- شكرًا على حفاوة الاستقبال أيها الأمير.

تبادل الاثنان نظرات المودة، قبل أن يحول الأمير أركان بصره نحو مرافقيه ويقول:

- ألن تعرفنا بمن جاء برفقتك يا غيَّاث ؟

قال غيَّاث وقد أنساه حسه الأمني واجب اللباقة:

- هذه ريحانة، كنت أشرف على تدريبها قديمًا في فرقة حماية الملك، وقد انفصلت عن الفرقة مؤخرًا وأصبحت صديقة مقربة لنا - ثم وهو يشير ناحية ابنته ويقول: وهذه ابنتي نورس.

تنحنحت نورس وهي تشير بعينيها نحو فرخ التنين، ما جعل غيَّاث يكمل وقد فهم قصدها:

- وهذا فرخ تنينها الخاص واسمه رعد.

كان لدى أفراد شعب ممالك التنين - ولا سيما العائلة المالكة - حبًا خاصًا للتنانين؛ ولذلك فقد اندفع الأمير بطريقة لا شعورية نحو الفرخ ليتفحصه، لكن ما إن مد يده نحوه حتى فتح رعد فمه فجأة محاولًا عضه، فما كان من الأمير إلا أن يتراجع بحركة لا إرادية وهو يقول في حدة:

- ما بال هذا الشيء الأحمق ؟!!

حاولت نورس أن تغض الطرف عن تلك الإهانة ولكن لسانها انفلت رغمًا عنها:

- انتبه لما تقول أيها الأمير الأحمق !!

رمقها أركان بنظرة غضب قبل أن يقول: ألمثلي يُقال أحمق ؟!!

هنا أدرك غيَّاث أن عليه التدخل فورًا، قبل أن يخرج الأمر عن السيطرة:

- نعتذر لك أيها الأمير؛ فهي ما تزال صغيرة ولا تعي ما تقول.

مكث الأمير يحدق بنورس لبعض الوقت قبل أن يقول:

- لولا والدك، لجعلتكِ تدفعين ثمن قِلة أدبك.

حاولت مجددًا أن تصمت ولكن التهور الذي بداخلها، والذي بدا وكأنه أشبه بجينات موروثة لا تستطيع التحكم بها، هو ما جعلها تفشل في ضبط أعصابها وترد:

- ولولا والدي واحترامي له لأعطيتك درسًا في الرجولة، لتعرف كيف تخاطب ضيوفك بالمرة القادمة.

عند تلك الكلمات تحرك الظل " سحاب " ليعاقب تلك الفتاة على طولة لسانها، فاستعد غيَّاث للتصدي له .. ولكن قبل أن يتطور الأمر أكثر وتحدث مجزرة فوق بلاط القاعة، تدخلت الملكة على الفور:

- إن للضيوف حق الخطأ، ولنا واجب الحِلم، مرحبًا بكم هذا النهار في ضيافتنا.

بهيبتها وحدها أُغلق الموقف.

ثم قالت وهي تشير بيدها ناحية جماعة من أهل القصر:

- سوف يأخذكم الخدم إلى جناح الضيافة لتستريحوا فيه من عناء الطريق.

انحنى غيَّاث ممتنًا، وهو يقول بأدب يَليق بجلالتها:

- شكرًا لكم يا جلالة الملكة، ولكن .. ألا يفترض أن نلتقي بجلالة الملك قبل أن نذهب للراحة ؟

- الملك يَمان يعاني من وعكة صحية، ولن يكون في وضع يسمح له باستقبال أحد، ابني الأمير أركان هو المفوَّض عنه بواجب ضيافتكم، واستقبالكم في قاعة المأدبة ..

ما إن سمع غيّاث ذلك حتى تعاظم الشك بداخله، وبدأ يميل أ
إلى الظن بأن أمرًا ما يُدبر في الخفاء داخل القصر، وما غياب العما
يمان - الذي جاءتهم الدعوة الملكية باسمه - إلا دليل أكبر على
ذلك.

لكنه لم يتكلم ولم يقل شيئًا يفضح قلقه .. بل استدار بهدوء وسار
نحو جماعة الخدم تتبعه ريحانة التي انعقدت على نورس معاتبة:

- أهذا ما اتفقنا عليه في العربة ؟!

نورس وهي تسير بمحاذاتها وتقول بصوت نادم:

- آسفة.

بدا أن غيّاث لم ينتبه أبدًا إلى المحادثة الجانبية بين ريحانة ونورس؛
إذ كان غارقًا في دوامة أفكاره، يتقصى ما يدور بذهنه من ظنون وشك
ولو أنه فقط التفت إلى الملكة والأمير قبل مغادرته .. وتأمّل تلك النظرة
التي ارتسمت على ملامح كل واحدٍ منهما، لأدرك أن ما كان يظنه شكًا
لم يكن إلا حقيقة واقعة ولكان سيعرف أن هنالك بالفعل أمرًا يُدبر لهم
في القصر ..

القصر الملكي لممالك التنين

قاعة المأدبة

@ART_OF_BOOK

كانت قاعة المأدبة فاخرة التفاصيل، سقفها العالي تنحدر منه ثريات نحاسية تتراقص أنوارها فوق الجدران المزينة بنقوش لتنانين تتصارع داخل حلقة النار .. تمتد وسط القاعة طاولة من الخشب الداكن محفوفة بمقاعد حجرية مفروشة بالمخمل .. فوق الطاولة تتوزع كؤوس من الكريستال إلى جانب أطباق دائرية مغطاة بأغطية ذهبية تفوح منها روائح الأكل الشهي، كل شيء يبدو طبيعيًا هناك إلا شيءٌ واحد وهو عدد الجنود الذين يصطفون على جانبي القاعة ..

دخل غيَّاث أولًا وهو يسير بثبات ..

نظراته الحادة تلتقط التفاصيل وتقدر المسافات بين المداخل والنوافذ، وتقيس عدد الجنود غير المألوف في المكان: صفان من الحرس المدرع يقفان على جانبي القاعة، لا يتبادلون النظرات وكل واحد منهم يضع يده على مقبض سيفه في إشارة أيقظت بداخله القلق ..

دخلت من بعده نورس ثم ريحانة تتبعهما في صمت بينما يستقر فرخ التنين بين كتفيها، يراقب المكان بنظرات تشي بأنه هو الآخر غير مرتاح لهذه الأجواء .. سارت ريحانة ونورس خلف غيَّاث وهما لا تزالان تتذكران وصيته لهما قبل أن يغادروا جناح الضيافة:

- لا تأكلا إلا حين أُشير إليكما بذلك.

- لماذا - قالت نورس حينها - أتظن بأنهم سوف ..

- لستُ متأكدًا، ولكن إن كان هنالك سُم فسوف استطعمه.

قالت ريحانة تحذره:

- ألا تخشى أن يفتك بك قبل أن تكتشفه ؟

قال غيَّاث:

- ليس هنالك حلٌ آخر .. يجب أن يُضحي أحدنا ليعيش البقية، أما إن امتنع جميعنا عن الأكل بدون دليل فسوف يُعتبر إهانة لن تغفرها لنا الملكة ولا القصر - وأردف قائلًا كما ليقطع دابر الجدل حول هذه النقطة:

- سآكل أنا أولًا ثم أُشير إليكما بالأكل !!

**

اختار الخدم لهم المقاعد الثلاثة المقابلة للأمير أركان ووالدته الملكة، وما إن جلسوا في المقاعد المخصصة حتى مدَّ الخدم أيديهم ليحركوا الأغطية من الأطباق في حركة موحّدة، انبعث معها بخار دافئ تفوح منه روائح اللحم المتبل، والعسل الذائب، والخبز المحمص تتمازج في تناغم واحد مع رائحة مشروب التفاح الذهبي الطازج المسكوب في كؤوس الكريستال ..

مدَّ غيّاث يده أولًا، وبدأ يأكل

دون أن يعلم ما الذي كان ينتظره في الطعام ..

**

وبعد ثالث لقمة توقف غيَّاث عن المضغ، وبدأت ملامحه تتغير تدريجيًا بعد أن استطعم في الأكل مرارة شاذة، لم تكن تلك المرارة بسبب السُم الذي ميز طعمه، بل بسبب مرارة الحقيقة التي اكتشفها متأخرًا؛ فعندما أهانت ابنته نورس الأمير بقولها (لو لا والدي لأعطيتك درسًا في الرجولة) تدخلت الملكة فورًا وأنهت الخلاف مما جعل غيَّاث يشكرها حينها لاحتوائها الأزمة، ولكنه الآن اكتشف بأنها لم تفعل ذلك احترامًا للضيوف؛ إنما لإتمام خطة كانت قد أعدتها لهم في قاعة المأدبة وهي: دس السُم في الطعام.

السُـــم

رفع رأسه وقال وهو يُحدق نحو الملكة وقد بدا على صوته الاختناق والقهر:

- لقد دسستم السُم في الطعام، وفي شراب التفاح !!

حاول النهوض لكن ركبتاه خانتاه، ترنَّح ثم سقط على الطاولة، صدره يعلو ويهبط، ويداه تمتدان إلى عنقه كمن يصارع الموت، ثم أُغلقت عيناه وسكت فجأة ..

هنا صرخت نورس بأعلى صوتها وهي تنهض:

- آآآآبي !!!!!!!

لكن ريحانة أمسكت بها لتمنعها من إبداء أي حركة متهورة، بينما ابتسمت الملكة أنورا حينها وهي ترفع يدها فجأة وتأمر الحرس المتأهبين:

- هذه فرصتكم، اقتلوه الآن !!

كان ظل التنين " سحاب " هو أول من تحرك لتنفيذ أمر الملكة تلاه بعد ذلك الجنود المتأهبون، ولكن في اللحظة التي رفعوا فيها أقدامهم ليتقدموا نحوه تجمدوا في أماكنهم وكأن لعنة ما قد أصابتهم بالشلل دفعة واحدة .. مرّت لحظة صامتة ثم بدأت بعد ذلك ضحكة شيطانة خافتة تتصاعد من فم غيَّاث الذي رفع رأسه وهو ينظر نحو ابنته ويسألها قائلًا:

- ما رأيكِ بهذا الأداء يا نورس ؟!

- جيد نوعًا ما، ولكن كان ينقصك أن تُخرج لسانك !!

ثم نظرت تجاه الملكة والأمير وهي تمد يديها إلى عنقها وتؤدي نفس الدور التمثيلي الذي أداه والدها قبل لحظات، ولكن بالطريقة التي ترى بأنها أكثر احترافية؛ فقالت وهي تسقط على الطاولة وتخرج طرف لسانها:

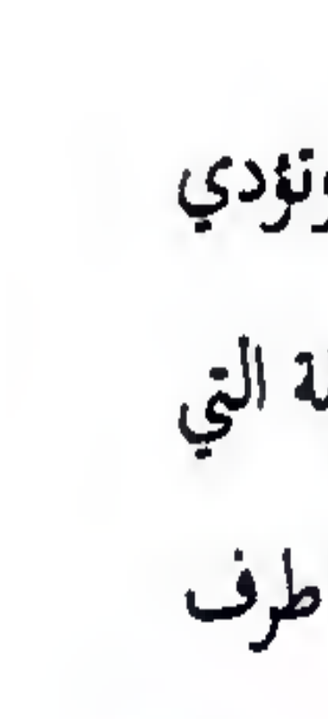

- لقد دثثتم الثُم في الطعام، وفي ثرااااب الثفاااااااخ !!!

كان أداؤها مبالغًا فيه إلى حدّ جعل من يراقب فرخ التنين تلك اللحظة يظن أنه على وشك أن يضحك .. كل ذلك يحدث والملكة والأمير يحدقان في تلك العائلة غريبة الأطوار بدهشة لا تخلو من الحذر بينما صفق غيَّاث لابنته:

- أداء رائع يا ابنتي .. سوف آخذ بملاحظتك في المرة القادمة.

قال ذلك ثم نظر نحو الملكة أنورا وابنها الأمير أركان، وحدّق إليهما لبعض الوقت قبل أن يمد يده نحو كأس العصير ويقربه من فمه ويحتسي ما تبقى منه دفعة واحدة وهو يقول:

- إضافة السُم إلى العصير كانت فكرة مبدعة؛ فقد أعطت له مرارة لذيذة.

ثم نهض من مكانه وسار بخطى ثابتة وموجات من الهالة السوداء تنبعث من حول قدميه، وكأن بلاط القصر كان ينحني عند خطواته حتى وصل إلى حيث يجلسان وخلفهما يقف الظل " سحاب " مثل حيوان متجمد، انحنى غيَّاث برأسه بينهما ثم قال وهو يلتفت يمينًا حيث تجلس الملكة:

- كنت أعلم أن هنالك من يسترق السمع علينا داخل الجناح الذي خصصه القصر لنا؛ ولذلك فقد جعلتُ مسترقي السمع ينقلون إليكِ الشيء الذي كنت أريدكِ أن تسمعيه .. فاتكِ يا جلالة الملكة أن تتذكري بأن جبابرة الأرض التسعة لا يموتون بهذه السهولة.

ومد يده ليأخذ قطعة من اللحم، غمسها بالعسل، ثم أضاف وهو يمضغها:

- وقد كان من حُسن حظك بأنني انتبهت لأمر السُم، وإلا كنتُ سوف أهدم القصر على من فيه لو أن السُم قد أصاب أيًا من ابنتي نورس أو ريحانة أو حتى السحلية رعد.

لم تتكلم الملكة وظلت تحدق إلى الأمام وفي قلبها شيء من الغيظ، بينما أدار غيّاث رأسه إلى اليسار - حيث يجلس الأمير أركان - وقال وهو ينظر إليه:

- كان لدى نورس بُعد نظر حين قالت بأنك بحاجة للتعلم لتصبح رجلًا.

ثم اعتدل في وقفته وعاد يجلس فوق مقعده، ويقول وهو يوزع نظره عليهما بالتساوي ويُحدثهما بفوقية لا تليق بمقامهما وكأنه معلم يستجوب تلميذيه المخطئين:

- والآن عليكما أن تخبراني عن السبب الحقيقي وراء رغبتكما في التخلص مني.

ساد الصمت لبرهة قبل أن تقول الملكة بصوتٍ هادئ يشبه الندم، هي ليست نادمة على المحاولة، بل لأنها لم تجتهد أكثر في التخلص منه:

- أعلم أنك قوي يا غيَّاث، وأنك من أولئك الذين لا يُقترب من حدودهم دون إذن .. وأعلم أنك أكثر أدبًا من أن تحدثنا بقلة الاحترام هذه وتُسيء لأفراد العائلة الملكية التي خدمتها لسنوات طويلة، لكنني أتفهم الأمر جيدًا؛ فهذه القسوة في الخطاب ما كانت لتخرج منك لو أن التهديد كان يخصك وحدك، ولكن التهديد هذه المرة كان يستهدف من نحب.

لم يعلق، فكان صمته ذاك دليلًا على إصابتها الحقيقة؛ فغيَّاث كان سيكون أقل حِدة لو أن ذلك التهديد كان يخصه وحده .. نهضت الملكة من مكانها يتبعها ابنها الأمير وقالت وهي تهم بمغادرة قاعة المأدبة:

- خلِّص الجنود من لعنتك، واتبعني لأخبرك بالحقيقة كاملة ..

**

كان في القاعة التي انتقلا إليها من العزلة ما يكفي لقول الأسرار، وقفت الملكة عند النافذة العالية تتأمل حديقة القصر بينما غيّاث ظل واقفًا خلفها عاقد اليدين ينتظر.

- الملك يَمان يحتضر يا غيَّاث ..

لم يندهش؛ فقد أحس بشيء كهذا منذ أن رأى الظل "سحاب" يقف مع الملكة وابنها الأمير في حين تقتضي واجباته الأمنية ألّا يفارق الملك قيد أُنملة.

تابعت الملكة أنورا دون أن تلتفت إليه قائلة:

- في الأيام القادمة سوف يبدأ مجلس العائلة بجمع الأصوات من الفروع الكبرى لاختيار وريث العرش، ونحن نعمل الآن بكل صمت على أن يكون ابني أركان هو المختار.

استدارت الملكة ببطء ونظرت إليه .. لم يكن في القاعة غيرهما حيث أنها أمرت بأن يظل ابنها في الخارج مع نورس وريحانة، وأمرت بأن لا يقترب أحد من الباب.

- وما علاقتي أنا بجمع الأصوات ؟

- الأمر متعلق بجومانا ابنة جبَّار الأباطرة

ما إن ذُكر ذلك الاسم أمامه حتى انقبض صدره، وكأن طيفًا من لحنين عبر بين ضلوعه.

- يبدو أن هنالك سوء فهم أيتها الملـ ..

رفعت يدها في إشارة منها لتجنيبه محاولة المراوغة:

- ما يحدث هذه الأيام يجبر بعض الأسرار على الخروج من جحورها، أنا أعلم الحقيقة .. أعلم أن اسم غيَّاث ما هو إلا غطاء تُخفي تحته اسمك الحقيقي يا أساطير .. أساطير بن جبَّار الأباطرة الذي اختفى في ظروف غامضة قبل سنوات طويلة ولا أحد إلا القليل من هذا العالم يعرف سره الحقيقي.

عرف غيَّاث حينها أن الملك يَمان هو من أخبرها؛ ولا بد أن الأمر الذي يجري الآن خطير بالفعل، خطير بما يكفي ليُفصح لها الملك عن سرٍ كهذا.

قال دون مراوغة:

- وما بها أختي جومانا ؟

- لقد رآها شهود، وأكدوا بأنها عادت إلى الحياة.

الشيء الذي لم يكن أحد يعرفه هو أن أساطير كان حاضرًا يوم دُفنت أخته جومانا، فما إن وصله خبر موتها - وهو في ممالك التنين - حتى ترك خدمة الملك بطريقة غير رسمية، وانتقل إلى مقابر قرية الجسَّاسة، كان يعلم أنه يجب ألَّا يراه أحد هناك حتى لا تحدث كارثة لا تُحمد عقباها، لكنه أحسن إخفاء هويته مستدعيًا من أعماقه قوة التخفي ليُلقي عليها تحية الوداع قبل أن يدفنوها.

- لقد ماتت، وما تقولينه يستحيل تصديقه.

- إلا إن كان والدك قد ألقى عليها تعويذة نصف البرزخ[٩]

- انتبهي إلى ما تقولين أيتها الملكة؛ فوالدي جبَّار الأباطرة ما كان ليخرق قانونًا كهذا !!

- بعد غيابك المفاجئ ما عاد جبَّار الأباطرة ذلك القوي الذي كنت تعرفه؛ لقد أصبح ضعيفًا من الداخل، أقل قدرة على تحمل فقدان ابنٍ آخر؛ لهذا استعان بشخص ما من أجل إلقاء تعويذة تحفظ ابنته من الموت الكامل، حتى يستطيع استعادتها في حال أنه خسرها يومًا.

---

٩ تعويذة في الأرض القديمة تُعزز الجسد بروح أخرى.

مكث غيَّاث يفكر قليلًا قبل أن يقول:

- لكنها ماتت ووالدي كان لا يزال حيًا، لو كانت هنالك تعويذة مُلقاة عليها كما تقولين، لكان قد قام بتفعيلها؛ ليعيدها إلى الحياة مجددًا.

- للوهلة الأولى قد يبدو كلامك منطقيًا ولكن دعنا نعيد ترتيب الأحداث بتسلسلها الزمني الصحيح لنفهم ما حدث: كل شيء بدأ عندما اكتشف والدك أن ابنته جومانا تتسلل من الغابة المظلمة سرًا لتخالط البشر في قرية الجسَّاسة، كان يدرك أن اقترابها من عالمهم لن يعود عليها إلا بالضرر؛ ولذلك استعان بشخص يُلقي عليها تعويذة نصف البرزخ[10] .. وهنا يجب أن تتذكر يا أساطير أن كل ذلك حدث وجومانا ما تزال تنتمي إلى الأباطرة.

توقفت الملكة عن الكلام قليلًا ثم تابعت:

- لكنها لاحقًا تزوجت من ذلك الإنسي وبزواجها كما تعلم نُفيت أختك من عائلة الأباطرة؛ ولهذا السبب لم يقم والدك بتفعيل التعويذة عندما ماتت.

ساد الصمت،

لم يكن صمت التسليم،

بل صمت من لا يدري إن كان عليه أن يُصدق أم يُكذب.

@ART_OF_BOOK

---

١٠ هذا الحدث مذكور بالتفصيل في رواية جومانا، حيث قام جبَّار بالاستعانة بكوبرا لمعي الجن تارا لتلقي على ابنته جومانا تعويذة نصف البرزخ.

قال وكأنه يحاول الخروج من حيرته:

- حتى الآن لا أفهم سبب رغبة القصر في التخلص مني.

قالت الملكة وهي تحدق إلى عينيه مباشرة كمن تريد أن تختبر أثر قولها عليه:

- إن صحت الأقاويل وعادت جومانا إلى الحياة؛ فهذا يعني أن قانونًا قد كُسر؛ الأمر الذي سوف يدفع بالزمهرير إلى التحرك.

ما إن سمع بذلك الاسم - الزمهرير - حتى ارتجف شيءٌ عميق بداخله، وسرت قشعريرة باردة على امتداد عموده الفقري؛ فحتى وإن كان أساطير أحد جبابرة الأرض التسعة إلا أن سماعه لذلك الاسم فقط كان كفيلًا بأن يثير الرعب بداخله.

تقدمت الملكة نحو النافذة وأخذت تطالع السماء الصافية وتقول بصوتٍ مفعم بالقلق:

- نحن نُتابع ما يحدث من بعيد، وكل الدلائل تُشير إلى أن تحرك عائلة الزمهرير بات وشيكًا .. وإن صحت أخبار عودة أختك جومانا إلى الحياة فلا أحد يستطيع التنبؤ بما سوف تقرره تلك العائلة بهذا الشأن، لكننا لا نملك رفاهية الانتظار.

ثم التفتت الملكة إليه ونظراتها تحمل ما يشبه التحذير:

- علينا أن نتخذ كل الاحتياطات لحماية مصالحنا، وضمان وصول ابني أركان إلى عرش ممالك التنين، مهما كان الثمن.

هنا ربط غيَّاث الخيوط كلها ببعض وقال وقد أدرك السبب:

- أنتم تخافون من أن تتحرك عائلة الزمهرير للتحقيق في شائعة خبر عودة أختي جومانا إلى الحياة؛ فيقودهم هذا التحقيق عن طريق الخطأ إلى الاصطدام بحقيقة أخرى .. بالحقيقة التي أخفيتموها عن العالم بأسره وهي بأنكم الجهة التي احتوتني، وساعدتني على البقاء حيًّا طوال هذه المدة.

قالت الملكة تؤكد له ما توصل إليه:

- أنت تُدرك أن قُلوبهم أشدُّ صقيعًا من الثلج؛ ولذلك سُموا بالزمهرير، وتُدرك أيضًا إلى أيِّ حد قد تكون عقوباتهم قاسية إن اكتشفوا بأن الملك يَمان هو من احتواك وأبقى سرك محفوظًا طوال هذه السنوات الماضية .. إن وصلوا إلى الحقيقة يا غيَّاث فإننا لا نستبعد أن يُفرض علينا حكم صارم قد يجعل الفروع الكُبرى للعائلة ترفض التصويت لنا .. وفي تلك الحالة سوف يُنتزع التاج من فوق رأس ابني ليُمنح إلى وريث آخر من دماء عائلة التنين.

اقترب غيَّاث منها حتى غدت أنفاسه تلامس وجهها، وقال ببرود وهو ينظر بثبات إلى صورته المنعكسة في حدقتيها:

– لقد انفصلت عنكم منذ مدة طويلة يا أنورا .. وشؤونكم الملكية لم تعد تعنيني بأي شيء .. ولا أرى ما يُبرر محاولتك قتلي، أو قتل من معي.

لم يحدث من قبل أن خاطبها أحد بهذه اللهجة:

– التزم حدود الأدب يا غيَّاث، وتذكر الخدمة التي قدمها زوجي لك عندما جئت إليه هاربًا من العالم الذي كان يطاردك بسبب المصيبة التي أقحمت نفسك فيها، وكنت بأمس الحاجة لمن يقف إلى جوارك ويساعدك.

– الخدمة التي قدمها زوجك إلي دفعتُ ثمنها بالكامل حين وهبتُ إليه نفسي حارسًا لعرشه طيلة تلك السنوات، والآن انتهيت من تسديد آخر ما تبقَّى لكم عندي من دَين؛ وذلك عندما قررت التغاضي عما حدث في قاعة المأدبة .. وهكذا تنتهي المسألة بالتعادل، لا أَدين لكم بشيء، ولا أنتم تُدينون لي بشيء .. فإذا حاول أحد من القصر أذيتي أو أذية أحدٍ من آل بيتي يا أنورا؛ فإن تاجك الجميل هذا المرصع بما لذ وطاب من الأحجار والجواهر لن يجد رأسًا يستقر عليها، هل اتفقنا ؟

صمتت وهي تحدق إليه بغيظ، فقال مكررًا:

– أريد أن اسمعها منكِ، هل اتفقنا ؟

– اتفقنا.

وما إن سمع تلك الكلمة تخرج من فمها حتى استدار وسار مبتعدًا، لكنه توقف قبل أن يفتح الباب ويغادر، التفت إليها وكأنه تذكر شيئًا في غاية الأهمية:

- بالمناسبة ما هو نوع السُم الذي وضعتموه في الطعام ؟

- لماذا تسأل ؟

- لأن طعمه كان لذيذًا وأتساءل إن كان لديكم المزيد منه.

صمتت الملكة وقد طفح كيلها من استهزائه وقررت ألَّا تجيب، أما هو فقد ابتسم في وجهها وغادر المكان حاملًا في قلبه قلقًا حقيقيًا من ذلك الاسم " الزمهرير "

**

العودة إلى المنزل

سار الثلاثة - غيَّاث ونورس وريحانة - ومعهم فرخ التنين حتى وصلوا إلى باحة القصر .. هناك توقفت نورس مكانها وهي تنظر حولها بارتباك قبل أن ترفع رأسها لتنظر نحو والدها وتسأله:

- أبي .. أين العربة التي أتت بنا ؟

- يبدو أن القصر غضب علينا يا ابنتي، لأننا لم نمت كما خططوا؛ فقرروا عقابنا.

- وكيف سنعود إلى المنزل ؟

- لديّ فكرة رائعة ..

تحمست نورس وهي تسأله: ما هي ؟

وهو يخطو نحو بوابة المغادرة: أن نستخدم أقدامنا !!

علّقت ريحانة ساخرة:

- يا لها من فكرة عظيمة !!

غير أن نورس قالت بتذمر طفولي:

- لكن المسافة بعيدة، ألا توجد فكرة أفضل ؟!

غيّاث وهو يسير متقدمًا:

- ليس أمامنا إلا أن نستخدم أقدامنا أو أن ننتظر سحليتك حتى تكبر

فنمتطيها ونحلق بنا إلى المنزل

قطبت نورس حاجبيها وهي تُتمتم:

- إنك لا تفوّت فرصة للسخرية من رعد !!

ضحكت ريحانة وهي تُمسك بيد نورس برفق وتقول:

- لا بأس .. سوف نستمتع في الطريق ..

@ART_OF_BOOK

وأثناء ما كانوا يبتعدون شيئًا فشيئًا، كان غيَّاث يشعر بأن هنالك عيونًا من خلف نوافذ القصر تراقبهم .. لكنه واصل المشي غير مكترث إلا بشيء واحد فقط: بتلك اللحظة الدافئة التي تجمعه بمن يُحب .. وفي الحقيقة كان يستطيع استخدام قوته في الانتقال اللحظي بهم إلى المنزل ولكنه كان يريد قضاء وقت ممتع معهم في المشي ..

**

القصر

العيون خلف النافذة ..

من داخل القصر، كانت هنالك يد امرأة تُمسك طرف الستارة العالية للنافذة، وتنظر بثبات إليه - إلى غيَّاث - وهو يبتعد، بينما جاءها الصوت المبحوح المرهق من خلفها يقول:

- أخبرتكِ أنه لن يموت بهذه السهولة، لكنكِ أردتِ تجربة الأمر بنفسك.

الملكة أنورا وهي تنظر نحوه باهتمام:

- ما الذي جعلك تغادر فراشك وأنت بهذه الحالة يا يَمان ؟!

تقدم الملك المتعب نحوها متكئًا على عصاة يُسند بها جسده الواهن وهو يقول من بين أنفاسه:

- جئتُ لأطمئن عليكِ بعد فشل الخطة.

- كان علينا أن نُباغته لحظة وصوله القصر؛ فلا نعطيه فرصة لأن يلتقط أنفاسه.

وهو ينظر إلى غيَّاث من خلال النافذة: سوف تحتاجين إلى كتائب مدرّبة من الجنود الأقوياء، والفرسان الشجعان يا أنورا من أجل أن تُسقطي محاربًا عظيمًا مثل أساطير.

- تتحدث عنه وكأنك تحبه، وأنت الذي سمح لنا بتسميمه.

- لا أحد يعرف أساطير عن قرب ولا يقع في حبه .. ولكن العروش يا أنورا لا تعترف بالعاطفة، نعم سمحتُ لكم بخوض محاولة تسميمه ولكنني - ثم أخذ نفسًا عميقًا وتردد؛ كأنما الحيرة التي بداخله جعلته لا يعرف كيف يعبر عما بخاطره؛ مما جعل الملكة تتدخل:

- أتقصد أن تقول بأنك سمحت لنا بقتله، وفي ذات الوقت أردتنا أن نفشل ؟

- جزء مني كان يُريد للخطة أن تنجح فنقضي على أي احتمال يُهدد صمود أركان، ونُبقي المُلك في نسلي، بينما هنالك جزء آخر يا أنورا، وربما يكون هو الجزء الذي ما يزال يتذكر كم خدمني أساطير وكم أنقذ حياتي من محاولات الاغتيالات .. ذلك الجزء كان يتمنى أن تفشلوا في تسميمه.

قالت بنبرة حادة تعكس مدى إصرارها:

- سوف نُرسل إليه من يتكفل بأمره، وهذه المرة لن ينجو.

- لدي خطة أفضل.

- ما هي ؟!

- أن ندعه وشأنه

- ولكن ..

قطعها قبل أن تكمل: هذا أمر يا أنورا.

ساد الصمت للحظة والملك المتعب يُحدق إليها منتظرًا سماع تأكيدها لتنفيذ أمرها، أخفضت أنورا رأسها وهي تقول الشيء الذي كان ينتظر سماعه:

- أمرك مطاع يا سيدي الملك.

هنا استدار الملك مغادرًا الغرفة والملكة خلفه تحدق إليه وهو يبتعد وعيناها تومضان بمكر قاتل؛ فهي لن تُطيعه في هذا الأمر وسوف تفعل كل ما يلزم لموت أساطير وضمان صعود ابنها إلى العرش دون عوائق محتملة حتى لو اضطرها الأمر في النهاية إلى قتل زوجها الملك بنفسها؛ فالعرش كما قال بنفسه قبل قليل: لا يعترف بالعاطفة.

@ART_OF_BOOK

قصر مملكة أبابيل

قاعة المُلك

طاغين

كان عرش الملك طاغين ينتصب مرتفعًا،

يعلو أرض القاعة بدرجات مصقولة من الحجر الأسود، لم تكن تلك عادة من سبقوه من ملوك الأباطرة، ولكنه اختار أن يكون عرشه مرتفعًا وكأنه كان يريد بذلك أن يجعل الجميع يشعرون أنه يفوقهم مقامًا وسُلطة، في ذلك النهار: جلس طاغين فوق عرشه واضعًا قدمًا على قدم بينما أفراد حاشيته من أمراء ووزراء وأعيان للمملكة كانوا يتوزعون في أرائك فاخرة أسفل المنصة.

وبينما القاعة تضج بالهمس والهرج ساد الصمت فجأة؛ إذ فُتح باب القاعة، ودخل منه مخلوق بشع: شيطان مسترق أعرج .. وجهه دائري مثل قرص خبز متعفن، له عينٌ وحيدة بارزة تكاد لفرط جحوظها أن تسقط إلى الخارج .. كان يجث خطاه وهو يجر خلفه حقيبة جلدية سوداء منتفخة .. تتسرب من أطرافها دماء ترسم خطًا متعرجًا على بلاط القاعة يمتد من عند عتبة الباب حتى أسفل درجات العرش.

توقف المسترق عند الدرجة الأولى .. وضع الحقيبة أرضًا ثم رفع رأسه إلى الأعلى وهو يشابك ذراعيه في علامة واضحة للخوف، وأخذ ينتظر الإذن ..

لكن الملك طاغين لم يأذن له بالحديث،

ونهض من فوق عرشه ثم سار خطوات بطيئة حتى وقف على حافة المنصة وأخذ يتأمل خيط الدم المتعرج فوق البلاط .. يتأمله بفخر من ينظر إلى خريطة انتصاره ..

قال وهو يرفع ذراعيه ورأسه شامخًا:

- أبابيل، لا تُحكم بالعدل، بل تُحكم بالحديد والدم !!!!

ورددت جدران القاعة الصدى في همهمة خشنة كأنها تُبارك تلك الكلمات.

أشار الملك نحو خط الدم المتعرج وهو يقول:

- هذا الخط الأحمر الذي تشاهدونه ليس دمًا فقط، إنما هو حِبر لأوراق التاريخ. هذا الخط الأحمر هو دماء أعدائنا وإيذان بانتهاء الفتنة وبداية عهد السلام.

كل أنظار الحاشية كانت تتطلع إليه، مشدوهة، مأخوذة، مُعجبة، وحده الشيطان المسترق الواقف أسفل المنصة كان يرفع يده ثم يُخفضها كمن يرغب بأن يقول شيئًا ولكنه في ذات الوقت يخاف من عقوبة مقاطعة الملك.

واصل طاغين خطابه:

- لماذا نكتفي بقتل حشرة واحدة في الوقت الذي نستطيع فيه بذات الحذاء أن نقتل كل الحشرات المختبئة في جحورها، كانت هذه القاعدة التي استخدمناها في الخطة؛ لذلك أرسلنا عاصف ليُعدم في قرية الجسَّاسة، كنا نعلم يقينًا بأن تلك الجماعة الخارجة عن القانون، وعدوتنا اللدودة قبيلة الأشاوس سوف تتحرك للدفاع عنه فنصطادهم جميعًا في ضربة واحدة قاصمة قاضية، ونكشف معهم حقيقة ذلك الأحمق الشمالي الذي كان يظن نفسه ذكيًا حين هجم على العربة معتقدًا أنه سوف يقتلني؛ فإذ به يقطع رأس أحد أشباهي.

غَمامة من الإعجاب اعتلت وجوه أفراد الحاشية وهم يُصغون لتلك الخطة التي كُشفت لهم .. وفي تلك اللحظة الحاسمة التفت الملك طاغين نحو المسترق وصاح عليه:

- افتح الحقيبة !!

هنا فتح الشيطان المسترق فمه ليقول:

- جلالة الملك .. هناك أمر بسيط فقط أود أن أقو ..

- افتحها

- لكني أود أن ..

- أقول لك افتحها قبل أن افتح لك قبرك !!

عاد يشابك يديه في ذل وطاعة وهو يقول:

- كما تأمرون جلالتكم ..

انحنى المسترق وفك عقدة الحقيبة بأصابع مرتعشة ثم أمالها بحذر، فخرج منها الرأس الأول ثم الثاني والثالث .. تدحرجت الرؤوس الثلاثة على البلاط حتى اصطدمت بالدرجة الأولى لمنصة لعرش وتكدست هناك.

تجمدت القاعة للحظة، وأحد أفراد الحاشية يهمس مبهوتًا:

- هذه رأس " جَلمود " قائد حرس النخبة الملكية !!!

وقال آخر بصوت مختنق:

- والثانية إنها .. إنها رأس شبيه الملك !!

أما الثالثة فلم يتبيَّن أحد ملامحها؛ إذ اختلطت بالدم واللحم.

لم يتكلم طاغين لثوانٍ معدودة كما لو أن ذهنه لم يعد قادرًا على فِهم المشهد.

صاح أخيرًا وهو يُشير بإصبعه:

- ما هذه الرؤوس ؟!

@ART_OF_BOOK

رفع المسترق يديه بسرعة كمن يتبرأ من ذنب ليس له يدٌ فيه:

- جلالة الملك !! .. هذه الرؤوس وُضعت في الحقيبة كما هي، لم أُضف شيئًا ولم أُبدّل شيئًا .. أنا فقط أديت المهمة كما أُمرت !!

قاطعته صرخة طاغين:

- من قتلهم ؟! .. ماذا حدث ؟! .. هل هُزمنا ؟!

فتح المسترق فمه ليُجيب ولكن الكلمات بدت وكأنها خائفة لا تريد الخروج من فمه:

- تكلم أيها المسترق قبل أن يُصبح عدد الرؤوس أربعة !!

- سأحكي لك كل شيء كما حدث يا جلالة الملك.

قال المسترق ذلك ثم ابتلع ريقه وبدأ:

- بعد أن انقضَّ الشمالي على العربة التي يجلس فيها الشبيه، انطلقت فرقة الإعدام نحو عاصف كما تم التخطيط له .. في تلك الأثناء لم يكن بوسع الشمالي التدخل؛ فالفرقة كانت أقرب إلى منصة الإعدام، والأشاوس غارقون في قِتال الغِيلان المردة، وهنا صاح الشمالي من مكانه بكلمة واحدة " وداعًاااا " ثم حدثت المفاجأة !!

طاغين وهو يزم شفتيه:

- ماذا حدث ؟!

- كُرة من لهب انفجرت بالقرب من عاصف كأنها ثورة بركان .. النيران كانت هائلة يا سيدي حتى أن الصف الأول من فرقة الإعدام قُتلوا بسبب الحرارة الشديدة.

طاغين يسأل:

- أهو طائر العنقاء إكليل ؟!

- لا يا سيدي؛ فقد كان هو الآخر منشغلًا بمساندة الأشاوس في قِتال الغِيلان.

- من إذًا عليك اللعنة !!

– انكشفت كرة اللهب عن شخص مجهول يرتدي زيّ الفرسان، وجهه مغطّى باللثام .. لم يستطع أحد مع وهج النور أن يُميز ملامحه ولكننا استطعنا أن نرى يده وهي تمتد من وسط الوهج وتلمس عاصف والحكيم، ومع تلك اللمسة ذابت قيودهما فجأة ثم اختفوا جميعًا من هناك ومعهم الشمالي.

– وأين كان سحرة الجيش ؟!!

– لم يستطيعوا إيقافه؛ لقد كان ذلك الشخص كشيء لم يسبق لهم أن شاهدوا مثله من قبل.

هنا تراجع طاغين وجلس ببطء على عرشه وقد تحولت ملامحه من الصدمة إلى الغَليان، كان يشعر بقلق لا يُطاق يضغط على صدره، إنه ضغط الفشل وضغط نظرات أفراد الحاشية وهم ينظرون إليه بشفقة، قال وهو لم يعد قادرًا على احتمال أن ينظر إليه أحد وهو مَهزوم:

– انصرفوا جميعًا.

نهض الجميع وسارعوا بالابتعاد دون أن يتجرأ أحدٌ منهم للنظر إلى الخلف، أما المسترق فرغم علمه بأن الأمر لا يشمله إلا أنه حاول أن يندس بينهم في هروب جماعي يَقيه من المواجهة المنفردة؛ فمال بخطوات جانبية نحو المخرج، لكنه لم يكد يقترب من الباب حتى سمع الصوت الآمر يقول:

- أنت، ابقَ.

توقف المسترق مكانه ثم استدار بخوف:

- ظننت بأنني مشمول معهم في أمر الانصرا!

- من أعطاك هذه الرؤوس الثلاثة ووضعها لك داخل الحقيبة ؟

- لقد أُرسلت إلى حيث كنت أسترق النظر .. لقد أرسلها شخص غامض، وكانت هنالك ورقة مُثبتة على الحقيبة، كُتب عليها " إذا سأل جلالة الملك عن الشخص صاحب الحقيبة .. فأخبروه أن الإجابة في أحد الرؤوس "

نظر طاغين إلى الرؤوس الثلاثة المقطوعة، كانت إحداها مُغطاة بالدم بالكامل فمد يده وجذب الرأس بقوة سحره، ليرتفع الرأس في الهواء ويطير إليه كما لو كان خوذة فارغة .. مد أصابعه ومسح الدم عن الوجه ليظهر على الجبين نقش واضح:

"كوبرا أفعى الجن نارا، تُلقي عليك تحيتها "

زمجر طاغين لفرط غيظه والبلاط كله يرتجف من تحت قدميه وهو يُتمتم بحقد " لا أحد يجرؤ على هذه الفعلة غيرها " ثم قبض على الرأس بين كفيه وهشمه في لحظة واحدة حتى تفتت كالصخر المهترئة وتناثرت أشلاؤه على الأرض .. أحس المسترق أن رأسه سوف تكون التالية وهذا ما جعله يُبادر:

- اسمح لي بالانصراف يا سيدي.

لم يجبه طاغين ومد يده إلى الأمام فجأة؛ واجتذبه إليه بقوة سحره، ليرتفع المسترق في الهواء وينجذب إليه حتى أصبحت عنقه في قبضته ويسمع صوته الغاضب من تحت أسنانه يقول:

- هذه المرة الثانية التي تجلب لي فيها خبرًا قبيحًا مثل وجهك[11] !

- آسف يا جلالة الملك.

- لو كان للنحس وجه فلن يكون بعيدًا عن وجهك، تُراني لو تخلصت منك الآن هل يتوقف سوء الطالع عن ملاحقتي ؟

- الرحمة يا سيدي !!

- وأنا من يرحمني من غباء من يعملون معي ؟!!

- ولكنني لا أخترع الأخبار؛ أنا فقط أنقلها دون زيادة أو نقصان.

---

١١ المرة الأولى كانت في رواية السِّجيل حين جاءه المسترق ينقل إليه خبر فشل خطته في الإطاحة بعاصف وأصدقائه.

قرّبه طاغين من وجهه حتى كاد وجهاهما أن يتلامسا وقال:

- بينك وبين الموت مسافة خبر سيء ثالث، هل تفهمني ؟

- مفهوم !! .. كل الأخبار القادمة ستكون سعيدة !!

أفلته الملك أخيرًا:

- سنرى يا مسترق النحس.

**

عاد طاغين للجلوس فوق عرشه، أسند ظهره وأغمض عينيه،

رأسه يضج بأسئلة لا تنتهي، غضب، خيبة، ريبة، كلها تَنفث دخانها في عقله .. وفي أثناء تلك الفوضى لم يشعر بالخطوات الهادئة التي كانت تصعد درجات السلم حتى أحس بيدٍ أنثوية ناعمة تحط فوق يده مثل حمامة تحط فوق صخرة ساكنة.

فتح عينيه فجأة فوجدها أمامه،

تنظر إليه بعينيها البُندقيتين وهي تقول بصوت هادئ:

- لقد ناقشنا كل الاحتمالات .. وكان من المفترض أننا الآن نحتفل بمقتل عاصف وأصدقائه ولكنهم نجوا هذه المرة.

لقد كانت تلك خطة جومانا - حيث إنها من خطط لقتل عاصف والتخلص من الأشاوس، وكشف ولاء الشمالي - قالت وهي تجلس إلى جانبه على مسند العرش وتلف ذراعيها حوله بعناق بريء يُشبه عِناق الزوجة لزوجها المتعب:

- في المرة القادمة لن ينجو أحد، سنقتل عاصف ومن معه، أعدك بذلك.

لم يقل طاغين شيئًا،

لم يحرك يديه ليبادلها العِناق،

فقط استسلم لرائحة الياسمين المنبعثة من جسدها وهو يُغمض عينيه في ارتياح.

@ART_OF_BOOK

سلسلة الجبال المحرمة،

.. العلامة ..

كان الليل قد بدأ يهبط على سماء المملكة حين وصل محاربو قبيلة الأشاوس إلى معقلهم في سلسلة الجبال المحرمة .. ذلك المكان الذي يبدو من الخارج وكأنه مجرد جدار هائل من الجبال الرمادية لكنه في الداخل كان مدينة كاملة تنبض بالحياة حيث تعيش قبائل الأشاوس منذ قرون طويلة ..

هبط المحاربون أمام فوهة الكهف الذي يشكل الممر الرئيسي للدخول إلى المدينة .. تقدم الجرحى على أقدامهم الأربعة يتكئون على أكتاف رفاقهم الأقوياء فيما تسير الأميرة آشاس بينهم بخطوات ثابتة وغبار المعركة ما يزال يعلو جلدها .. قالت وعيناها تمسحان الصفوف بصرامة القائد وحنان الأميرة التي تتفقد رعيتها:

- أولئك الجرحى .. إلى دُور العلاج فورًا !!

صاحت مساعدتها وهي تشير بيدها للكتيبة بالدخول إلى الكهف، بينما وقفت تارا في الخارج بهيئتها الفعلية: كوبرا أفعى جن سوداء ضخمة تُحدق إلى السماء وكأنها تنتظر من النجوم علامة محددة .. إلى جانبها كان إكليل يستقر فوق قمة صخرة بارزة، جناحاه مضمومان إلى جسده وعيناه تراقبان تارا بينما قلبه يشعر بقلق غامض .. اقتربت الأميرة آشاس وهي توجه سؤالها إلى تارا:

- من كان ذلك الشخص ذو القوة الهائلة الذي ظهر من العدم وأنقذ معه عاصف والحكيم والشمالي ؟

في تلك اللحظة - وقبل أن تُجيبها تارا - هبت نسمة هواء باردة على نحو غير طبيعي وكأنها محمَّلة بأشواك ثلجية انغرست دفعة واحدة أسفل الجلد، ما جعل جسدها الضخم يرتجف وهي تقول:

- أخشى أن تكون هذه هي العلامة ..

في تلك اللحظة تكونت دوامة هوائية انبثق منها شيء اخترق المكان، كانت امرأة طويلة ملتفة بعباءة داكنة تُخفي وجهها تحت غِطاء ثقيل، توقفت المرأة على مقربة منهم ثم رفعت كفها ببطء لتزيح الغطاء عن رأسها كاشفة عن ملامحها الحادة، إنها - سُندس - واحدة من كُبراء الأباطرة، إنها المرأة التي وبحسب التراتبية الملكية كانت الأحق بحكم مملكة أبابيل لو لم يسلم جبَّار العرش لحفيده عاصف قبل وفاته .. كان حضورها الآن وفي هذا التوقيت يؤكد على أن هنالك شيئًا كبيرًا قد حدث، أو أنه على وشك الحدوث:

- معكِ حق يا تارا - قالت سُندس - إنها العلامة، وقد بدأت تلك الجماعة بالتحرك.

بالرغم من أن كوبرا أفعى الجن تارا كانت قد أحست بالعلامة قبل لحظات .. إلا أن سماعها الآن التأكيد من فم سُندس هو ما جعل الدم يجمد في عروقها .. في الجهة المقابلة: لم تكن الأميرة آشاس بحاجة للسؤال عن تلك الجماعة؛ فهي كأميرة لقبائل الأشاوس كانت قد سمعت بالأسطورة القديمة التي تقول: **عندما تهب أشواك البرد في هواء ساكن؛ فهذا يعني تحرك الزمهرير.**

تكلمت سُندس:

- كُبراء الأباطرة ينتظرون قدومك في الغابة المظلمة.

تعلم تارا أنهم سوف يطلبون منها التحدث، وحينها ستكون مجبرة على قول الحقيقة، وعندما تقول الحقيقة يجب أن يكون عاصف هناك ليسمعها فالأمر كله متعلق بأمه.

التفتت تارا يمينًا نحو الصخرة البارزة وقالت:

- إكليل .. يجب أن تجد عاصف الآن ..

- لكنني لا أعرف أين هو

- استخدم الربط

- لا أفهم ما تعنين بالضبط ..

زحفت إلى ناحيته مقتربة:

- هل تذكر ما قالته تاج عندما قامت بربطك مع عاصف وتفعيل قوة النار بداخله ؟ .. لقد قالت حينها إن مصيركما صار واحدًا، هذا الربط الذي وقع بينكما يعني أن بإمكان قلبك أن يأخذك إليه[١٢].

---

١٢ هذا الحدث وقع في رواية أبابيل؛ عندما أيقظت تاج قوة النار الكامنة في عاصف، حينها قالت بأن عاصف وإكليل أصبحا مرتبطين ببعض إلى الأبد.

هزّ رأسه ببطء كمن استوعب، ثم فجأة ارتفع سريعًا في الهواء حتى صار نقطة داكنة في العتمة لكن وهجًا ناريًا كان يلمع في صدره مع كل رجفة جناح وكأن قلبه صار منارة تهديه إلى الطريق ..

حلق إكليل ناحية الغرب أولًا،

لكن ما إن مضى في ذلك الاتجاه حتى شعر بوخزة تخترق قلبه؛ فأدرك أنه أخطأ، ما جعله يغير مساره، فجرب الشرق ثم الشمال، وفي كل مرة كانت الوخزة ذاتها تلسعه في صدره وكأن قلبه كان يرفض الطريق، حتى إذا اتخذ اتجاهًا خامسًا أحس بحرارة لطيفة تنتشر من قلبه وتصل إلى أطراف جناحيه .. هنا فقط أدرك أنه وجد الطريق الصحيح؛ فاندفع بكل ما أوتي من قوة نحو عاصف، التفتت الأميرة آشاس نحو مساعدتها وقالت:

- جَهيمة، اتبعيه ..

- أمركِ

وقبل أن تنطلق جاءها صوت سُندس آمرًا:

- إذا وجدتما عاصف؛ خذاه إلى الغابة المظلمة حيث سنكون في انتظاركم هناك ..

لم تكن جهينة تعرف تلك المرأة "سُنْدُس" لتتلقى منها الأمر، وهذا ما جعلها تلتفت نحو أمينتها آشاس بصمت، وكأنها بذلك تنتظر منها النفي أو التأكيد:

- نفذي الأمر - قالت الأميرة - خذيهم إلى الغابة المظلمة.

٦

عاصف، الحكيم، الشمالي

كان المكان الذي وجدوا أنفسهم فيه موحشًا، محاطًا بضباب ثقيل، ورغم انعدام الرؤية لديهم إلا أنهم كانوا يشعرون بأنه مكانٌ معزول لا أثر للحياة فيه، جلس عاصف والشمالي والحكيم يلتقطون أنفاسهم وما زالت آثار الانتقال المفاجئ تلتصق بعقولهم منتجة أثر دوخة ثقيلة، كسر الشمالي حاجز الصمت أخيرًا بأن قال:

- من يكون ذلك الشخص الذي أنقذنا في اللحظة الأخيرة ؟!

عاصف بعد تردد:

- لم أحدد ملامحه؛ كان الضوء المنبعث منه شديدًا حتى كاد أن يعمي بصري.

الحكيم معلقًا:

- أعتقد أنها امرأة.

التفت إليه الشمالي مستفهمًا:

- وكيف عرفت ؟

- أنا أعرف كل شيء.

- أقصد هل رأيت من ذلك الشخص ما يوحي لك بأنها امرأة وليست رجلًا ؟

- لا؛ ولكنه ضحى بنفسه ليُنقذني؛ فلا بد أنها معجبة.

هنا انبعث من بين الضباب صوت أنثوي ساخر هو صوت جَهيمة وهي تقول:

- وما الذي فيك يغري يا كرة الفرو، ليُعجب بك أحدهم ؟

بدا الحكيم سعيدًا وهو يتبين هوية القادمة:

- مضى زمنٌ طويل لم ألتقِ فيه بك يا بَهيمة !!

- بَهيمة تنطحك يا ذا اللسان الطويل !!

كانت تلك هي المرة الأولى التي تلتقي فيها جَهيمة بعاصف وجهًا لوجه، وهذا ما جعلها تُحني إليه رأسها في احترام وتقدير وتقول بأدب:

- مرحبًا سيدي ابن بحر، خادمتك جَهيمة؛ وقد أرسلتني إليك الأميرة آشاس لأصحبك نحو الغابة المظلمة من أجل أمر طارئ.

- ولكن كيف عرفتِ مكاننا بهذه السرعة ؟

أشارت بإصبعها نحو الأعلى؛ فرفع الثلاثة رؤوسهم ليشاهدوا الوهج الناري الخفيف في الضباب، وإكليل بجناحيه الطويلين يحوم في الأعالي عبر دوائر واسعة.

الشمالي مبتسمًا وهو يُتمتم:

- آه، كم أحبك يا إكليل.

الحكيم وهو يُحدق نحو الأعلى:

- وستحبه أكثر عندما نطبخه على العشاء.

جَهيمة وهي تنحني لهم:

- اصعدوا على ظهري؛ فالوقت ليس في صالحنا.

ما إن صعد الجميع على ظهرها وبدأت تحلق بهم مبتعدة، حتى ارتقى الحكيم إلى كتفها جالسًا بالقرب من أذنها متعلقًا بشعرها الطويل لكي لا يقع:

- أتعلمين ؟

- ماذا أيها الحكيم ؟

- بَهيمة اسم رائع؛ إنه يَليق بكِ أكثر من جَهيمة .. هاها .. كما يقولون اسم على مسمى.

نظرة حارقة أرسلتها إليه؛ فأدرك الحكيم من خلالها أنها سوف تجعله يدفع ثمن كلامه .. ضربت جَهيمة الهواء بجناحيها الطويلين لتندفع بسرعة أكبر بينما صوته يختفي في الأفق:

- أمزح أمزح، كنت أمززززززح !!!

٧

..الغابة الـمظلمة، قلعة الأباطرة ..

حفلة للموت

كان الليل قد انتصف حين اخترق طائر العنقاء إكليل والقنطورة جَهيمة منبة الغابة المظلمة .. يَهبطان بخط مائل وسط الضباب والأشجار الهائلة والتي كلما تقدما في عُمقها غاصا في ظلامها أكثر .. جَيهمة التي لم تكن تملك القدرة على الطيران في هذه العتمة، اعتمدت على وهج إكليل الناري حتى أوصلها إلى الساحة المكشوفة التي تنهض عليها قلعة الأباطرة، واستقر فوق أحد أسوارها الحجرية المُنارة بواسطة ضوء القمر المكتمل في كبد السماء، بينما هبطت جَهيمة ببطء في ساحة دائرية أمام بوابة القلعة حيث كوبرا أفعى الجن تارا والأميرة آشاس تقفان جنبًا إلى جنب مع بعض أفراد كُبراء عائلة الأباطرة.

انحنت جَهيمة قليلًا؛ فترجل الشمالي من فوقها ثم عاصف يَليه الحكيم الذي بدا كما لو أنه غير قادر على إسناد نفسه وهو يقول بنبرة صوت مخمورة:

- لن أمزح معك مرة أخرى ما حييت يا بَهيمة.

تقدم عاصف خطوة، عيناه معلقتان بتارا:

- هل تلك المرأة التي رأيناها في القصر ليلة الزفاف كانت أمي ؟!!!!

كادت أن تُجيب ولكن - مجددًا - هبت نسمة باردة قوية تسللت تحت الجلد إلى العظم، ما جعل الحكيم يتساءل وهو يُحيط جسده بذراعيه:

- تبًا، ما هذا الصقيع المفاجئ ؟

رفع الشمالي رأسه نحو الأعلى، وعيناه تلتقطان حبيبات ثلج رقيقة بدأت تتطاير في الهواء، أما كوبرا أفعى الجن تارا فإن عينيها انكمشتا وكأنها رأت ما لا يُرى وهي تقول بفحيح مرتجف:

- لقد وصلوا.

عاصف:

- من هم ؟!

لم يجبه أحد مما جعله يكرر: هل نحن في انتظار أحد ؟!

الحكيم:

- تارا لا تترك مفاجأتها !! .. يبدو بأنها قد أعدت لنا حفلة صغيرة بمناسبة نجاتنا من الإعدام؛ وقد جلبت لنا بعض الفتيات للترويح عن أنفسنا !!

تمتمت سُندس بكلمات لها وقع مرعب:

- صدقت أيها الحكيم، إنها حفلة .. ولكن ليست للترويح عن النفس إنما حفلة للموت.

قال "بُركام" وهو أحد الكُبراء يُعطي تعليماته للجميع:

- كونوا حذرين؛ فهؤلاء لن يسمحوا بالغلط في حضرتهم.

زاد التوتر عند الجميع وقد تبادلوا النظرات القلقة، شيء ما في نبرة سُندس وبُركام أوحى بأن هنالك خطرًا حقيقيًا يقترب، وفجأة خيم الصمت وكأنما الغابة كانت تحبس أنفاسها، ثم انبعث صوت خطوات بطيئة .. دارت الرؤوس نحو الجهة التي كان ينبعث منها وقع الخطوات، ليظهر من بين الأشجار مبعوث عائلة الزمهرير، ومع وصوله زادت نُدف الثلج حتى اكتست مساحة الأرض الأمامية لقلعة الأباطرة بطبقة رقيقة من الثلج.

كان رجلًا مهيبًا ضخم الجثة، يَميل لونه إلى الزُرقة، بشرته بِرَّاقة وكأنما تغطيها طبقة رقيقة من الصقيع، اسمه - سِندان - له عينان كأنهما قُدّتا من ألماس مضيء .. لكن ما شدّ الأنظار إليه لم يكن حجمه، ولا بريق بشرته المائلة إلى الزرقة بل لحيته، فقد كانت له لحية كثيفة بيضاء تمتد حتى خصره، ولكن وسط شعراتها المتشابكة كانت هنالك عيون حقيقية تومض، وترمش، وكأنها ترصد كل شيء وتعي كل ما يحدث، ولذلك كان ذلك الرجل أيضًا معروفًا باسم " الرجل ذو اللحية المُبصرة "

ثبت ذلك الكائن نظراته على شخص واحد دون أن يتكلم، فتحولت الأنظار بشكل تلقائي نحو تارا التي بقيت صامتة، لم يكن صمت من لا يملك الكلام،

بل كان صمت الخوف.

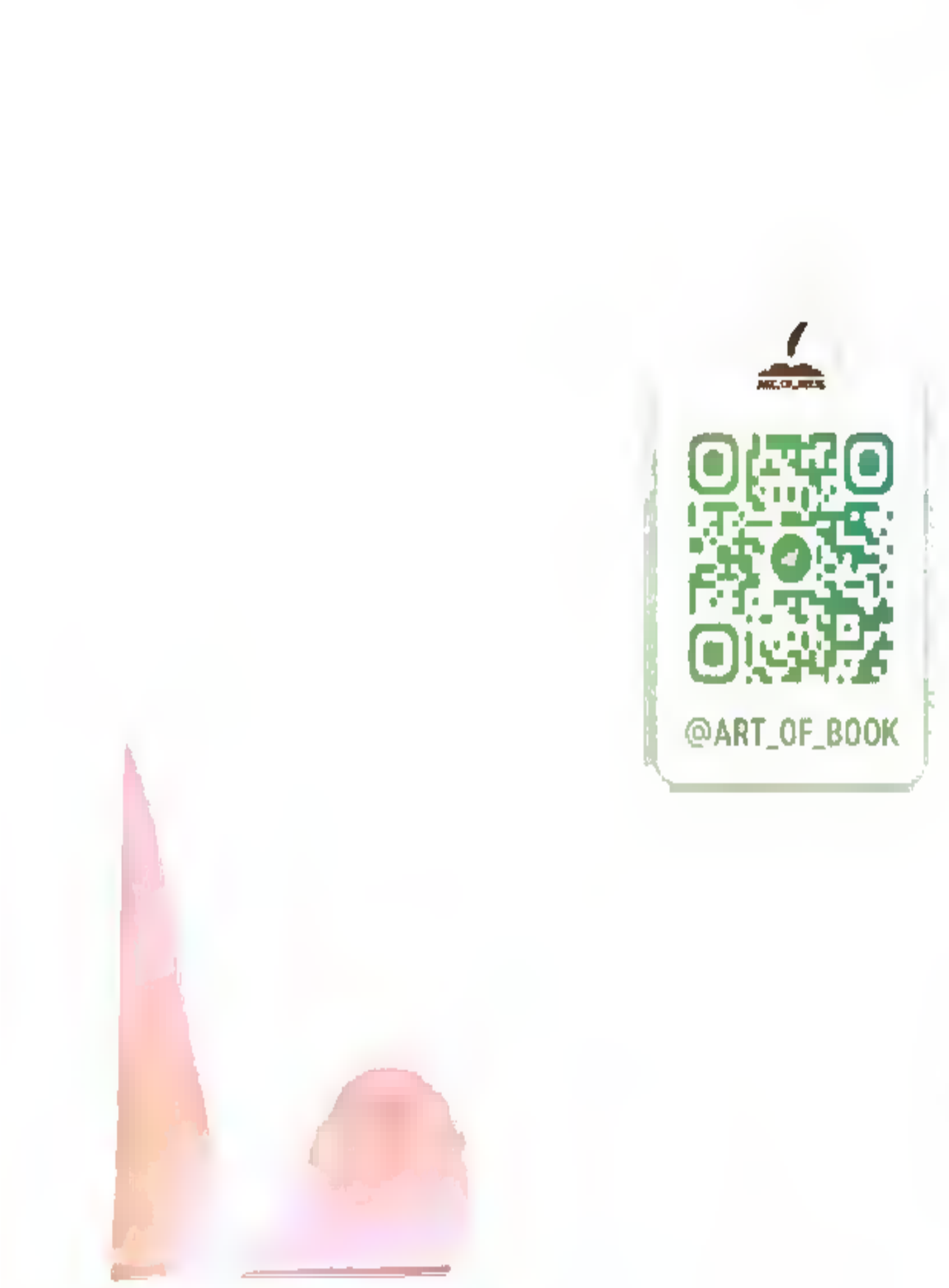

سِـندان

الرجل ذو اللحية المُبصرة

في قلب الساحة الأمامية للقلعة: نُصبت طاولة صخرية جلس سِندان وحده على مقعد في منتصفها، كانت وحدته ترمز إلى هيبة وقوة متعالية وكان لا أحد يجرؤ على الاقتراب منه .. على الجانب الأيسر جلس كُبراء العائلة وقد بان عليهم التوتر، أما على الجانب الأيمن فجلست تارا وحدها كالمغضوب عليها، لم تكن تجلس هناك على هيئتها الفعلية كا كوبرا أنعى جن بل كانت متشكلة بهيئة بشرية؛ فقد أمرها الرجل ذو اللحية المُبصرة بذلك؛ إذ لم يكن يَليق به وهو من الزمهرير أن يجلس في محيط واحد مع كائنٍ ذي هيئة حيوانية.

القلعة

في أعلى القلعة،

وخلف إحدى النوافذ العلوية المطلة على الساحة،

كان عاصف، والشمالي، والأميرة آشاس، والحكيم، وطائر العنقاء إكليل يراقبون المشهد بصمتٍ مشوب بالقلق .. بعد أن لم يسمح لهم الرجل ذو اللحية المُبصرة بحضور الاجتماع إذ قال لهم بنبرة صوت لا تقبل النقاش " أنتم إلى الداخل " فانصاعوا إلى أمره ودخلوا القلعة ثم تسللوا إلى الطابق العلوي ليتابعوا من خلف النافذة ما يدور في الأسفل وبينما هم كذلك إذ همس الشمالي:

- من يكون ذلك الشخص يا ترى ؟

قالت الأميرة آشاس:

- اسمه سِندان، يُلقبونه باسم الرجل ذو اللحية المبصرة، يُقال بأنه لفرط نفوذه وقوته أن هنالك ملوكًا في العالم يعملون كعبيد له.

إكليل الذي يفضل دائمًا عدم الحديث ويختار أن يكون مستمعًا، لم يستطع بعد أن سمع تلك المعلومة إلا أن يشارك في الحديث ويسأل نائلًا:

- ومن أين له كل هذه القوة ؟

ردت الأميرة آشاس:

- إنه يستمدها من عائلة الزمهرير، والتي تستمد سلطتها من كونها العائلة المسؤولة عن حفظ توازنات الأرض

الحكيم معلقًا:

- يالها من مهمة رائعة .. لا بد أنها تفتن الكثير من النساء الحسناوات؛ من الآن فصاعدًا إذا سألني أحدهم عن عائلتي فسأقول بأنني زمهريري.

عاد طائر العنقاء يسألها:

- ومن أعطاهم هذا الحق ؟!

- إنها قصة طويلة يا إكليل مختصرها أنه في الأزمنة السالفة، وحين اجتاح السحر الأسود الأرض وأخل بتوازنها .. اجتمع أقوى ملوك الأرض وكان عددهم سبعة لوضع قوانين صارمة لا يُسمح بتجاوزها، وحين أرسوا تلك القواعد، منحوا هذه العائلة وحدها صلاحية مراقبة ومعاقبة كل من يتجرأ على تجاوزها.

الشمالي مستنتجًا:

- إذًا الرجل ذو اللحية المُبصرة يعد بمثابة القاضي الذي لا يُرد حكمه.

- تمامًا - قالت الأميرة مؤكدة - لقد انتدبت عائلة الزمهرير واحدًا من أفراد عائلتها للتحقيق في عودة جومانا ابنة جبَّار الأباطرة للحياة، والذي يُعد انتهاكًا للقوانين الأرضية والسماوية.

تجمد عاصف مكانه وهو يسأل بصوت منخفض:

- إذًا .. تلك التي رأيناها في ليلة الزفاف، كانت أمي بالفعل ؟

- لم أكن متأكدة تمامًا، ولكنني الآن تأكدت، فلو لم تكن تلك المرأة جومانا ابنة جبَّار الأباطرة بنفسها لما أرسلت إلينا عائلة الزمهرير أحد أفرادها اليوم.

لم يكن عاصف يرغب في أن يؤكد له أحد تلك الحقيقة، كان يُفضل أن يعيش على الأوهام ولا أن يحسم أحدهم الأمر بالنسبة إليه .. لقد نزلت الحقيقة كالسيف على رأسه ورؤوس الأصدقاء: تلك المرأة التي شاهدوها زوجة لطاغين كانت أمه بالفعل !!

ورغم وجود العديد من الأسئلة داخل رؤوس الأصدقاء مثل "كيف عادت، ولماذا تزوجت من طاغين ؟! .. وهل تم الأمر بموافقتها، وكيف السبيل إلى استعادتها" وأسئلة أخرى لا حصر لها إلا أن أحدًا منهم لم يتكلم؛ ذلك لأن المحاكمة في الأسفل قد بدأت ..

المحاكمة

قالت سُندس وهي تُمهد لكلامها:

- اجتمعنا هنا الليلة لنُثبت أمام الزمهرير بأن عائلة الأباطرة بريئة مما حدث بشأن جومانا، وبأننا تفاجأنا كما تفاجأ الآخرون حين سمعنا بالخبر.

تحدث سِندان بصوتٍ كان يخترق العِظام لفرط هيبته:

- لقد رصدنا أثرًا لتعويذة نصف البرزخ المحرمة، قليلون في العالم من يملكون هذه المقدرة، وكوبرا أفعى الجن تارا واحدة منهم.

اتجهت أنظار الجميع نحو تارا التي عكست ملامحها مقاومة حقيقية لخوف سحيق كان ينهض في أعماقها، قال سِندان الزمهرير وهو يوجه سؤاله إليها:

- أكنتِ الشخص الذي نفث فيها التعويذة ؟

- نعم؛ أنا ..

لم يُمهلها لتبرر، فما إن قالت ذلك حتى امتدت يده إليها بسرعة البرق، وأحكم قبضته على عُنقها في مشهد مخيف غير متوقع أن يحدث بتلك السرعة .. ارتفع جسد تارا عن الطاولة في لحظة خاطفة وقدماها تتأرجحان في الهواء، بينما عيناها تتسعان أكثر فأكثر وصوت الخنق يتردد في الغابة كحشرجة مرعبة تشي باقتراب نهايتها، لقد حكم الرجل ذو اللحية المُبصرة عليها بالموت، وكان يستطيع قتلها في طرفة عين ولكن أراد أن يُطيل تعذيبها قبل القضاء عليها ليمنحها الوقت الكافي للشعور بالندم.

كان كُبراء عائلة الأباطرة يُكنون احترامًا خاصًا لتلك الحارسة ولا ينسون لها فضل حماية عرينهم لسنوات طويلة، ونشرها التعاويذ اللازمة لحماية الغابة وجعلها مكانًا آمنًا لا يدخله غير نسل الأباطرة، فعلى مدى سنوات طويلة ظل ذلك المكان حصنًا عصيًا على طاغين وجنوده؛ فلا يستطيعون الدخول إليه مهما بذلوا كل الأسباب الممكنة، ورغم ذلك الجميل إلا أن كُبراء العائلة اكتفوا بالتحديق في صمت ثقيل نحو حارستهم الأمينة وهي تواجه الموت وحدها، كما لو أن ما يحدث الآن كان عقوبة قدرية لا مفر من تنفيذها.

في الأعلى - وخلف نافذة القلعة - كان عاصف يضغط على قبضتيه بقوة، وعيناه تلمعان بغضبٍ مكتوم، إلى جانبه راقب طائر العنقاء كل حركة تصدر من سيده .. جناحاه يهتزان استعدادًا للطيران، كأن قلبه متصل بنبض عاصف .. أما الحكيم فقد صعد فوق كتفه وتشبث به مستعدًا للاندفاع، الشمالي وضع يده على مقبض سيفه، وعيناه الحادتان تقدحان غضبًا، بينما مدت الأميرة آشاس ذراعها أمامهم، وهمست بنبرة صارمة:

- إن تدخلتم؛ سوف تفقدون حياتكم لا محالة؛ فسِندان ليس بالكائن القابل للهزيمة.

التقت أنظار الأصدقاء للحظة قصيرة وفيها قرأ كل منهم في عين الآخر مزيجًا من الرفض لما يحدث؛ صحيح أنه لم يسبق لأحدهم أن شاهد قوة الزمهرير لكن إذا كان ملوك الأرض القديمة قد منحوهم سُلطة حفظ توازنات الأرض؛ فهذا يعني أن لأفراد هذه العائلة قوة تتجاوز الإدراك.

وبين هذا وذاك .. كانت تارا تختنق أكثر فأكثر بينما أصابع سِندان تُحكم الوثاق أكثر على عُنقها مانعة إياها من التقاط أنفاسها، شدّ عاصف أنفاسه وهو يلتفت إلى الأميرة آشاس:

- ما فائدة الحياة إن كنا لن نُضحي بها في موقف كهذا ؟

وفي اللحظة نفسها اشتعلت عينه اليُسرى باللون الأحمر، وانبثقت من أطراف أصابعه مخالب معدنية، كأن وحشًا داخله قد استيقظ، همس قبل أن يخطو أول خطوة:

- اهتمي بشأن أمي أيتها الأميرة؛ هذه وصيتي لكِ.

الحكيم وهو يتشبث بكتف عاصف بقوة لكي لا يسقط بسبب الاندفاع:

- تحدثي عن وسامتي أمام كل حسناء تقابلينها !!

ثم في لحظة واحدة انفجر المشهد حيث اندفع عاصف محطمًا بجسده زجاج النافذة قافزًا إلى الأسفل، يتبعه الشمالي وسيفه الطويل يُومض بيده كبرق لامع، بينما طائر العنقاء إكليل ينقض من الأعلى مثل شهاب مشتعل، كلهم اتجهوا في اندفاعٍ مشترك نحو سِندان الذي ما زالت أصابعه الصلبة تُطبق على عنق تارا !!

وفي لحظة خاطفة رفع الرجل ذو اللحية المبصرة، اصبعًا واحدة من يده الأخرى فتسمر عاصف والشمالي مكانيهما، وتجمد طائر العنقاء الأحمر في الهواء كتمثال من لهب متجمد ..

لم تُشل أعينهم بل ظلت ترمش وترى كما لو أن سِندان أراد لهم أن يشاهدوا العدالة تُطبق أمام أعينهم، في تلك اللحظة المشحونة بالتوتر كان لا بد لأحد عاقل أن يتدخل ليوقف هذا الأمر فهبطت الأميرة آشاس بجناحيها الطويلين وقالت:

- أيها السيد، أليست العدالة تقتضي أن تسألها عن الشخص الذي أصدر إليها الأمر بنفث التعويذة، ثم تحكم عليها بما تراه منصفًا؛ فكوبرا أفعى الجن ليست إلا حارسة لسيدٍ بأمرها فتُطيع أمره.

أطلق الرجل ذو اللحية المُبصرة همهمة غامضة خرجت من صدره حملت اقتناعًا بما قالته الأميرة، ثم وبحركة بطيئة أزاح أصابعه عن عنق تارا التي انهارت على الطاولة الصخرية وهي تلتقط أنفاسها بصعوبة وآثار الأصابع الغليظة ما تزال مطبوعة على عنقها .. ثم أرخى اصبع يده الأخرى فتحرر عاصف وأصدقاؤه من القيود اللامرئية التي كانت تُقيدهم وعاد يسألها قائلًا:

- أخبرينا عن الشخص الذي أمركِ بهذه الفعلة الشنيعة.

تارا لا تكذب، وحتى لو أرادت فإنها تدرك بأنها لن تستطيع تمرير الكذبة عليه.

- جبَّار - قالت تارا - هو من أمرني بذلك يا سيدي.

صمت الرجل ذو اللحية المُبصرة بعد سماعه تلك المعلومة الجديدة وأخذ يفكر وكأنه يُداول الحكم بينه وبين نفسه، وهنا تدخل أحد الكُبراء "بُركام" محاولًا درء الخطر الذي خشي أن يطال عائلة الأباطرة، فقال بصوت مرتجف يخالطه شيء من الصلابة:

- نحن لم نأمر، ولم نُقر، وما فعله جبَّار ليس منَّا ولا علينا !!

وبينما الجميع ما يزالون في انتظار صدور الحُكم،

كان هنالك خوف آخر بدأ ينمو في أعماق كوبرا أفعى الجن تارا،

لم يكن خوفًا من الموت أو العقوبة المنتظرة بل من سؤال خشيت أن يطرحه عليها الرجل ذو اللحية المُبصرة وهو: هل كانت جومانا هي الوحيدة التي أُلقت عليها تعويذة نصف البرزخ، أم أن هنالك شخصًا آخر غيرها قد يعود إلى الحياة في الأيام القادمة ؟!

الباب الثالث

ساحل ممالك التنين

.. غيّاث، نورس، ريحانة، وفرخ التنين رعد ..

كان البحر ساكنًا في ذلك الصباح الباكر إلا من تموجات موجٍ صغيرة ترتطم بصخرة سوداء يجلس فوقها غيّاث عابسًا وهو يُمسك بسنارته مركزًا عينيه في الماء .. خلفه كانت نورس وريحانة تجلسان قرب كومة من الحطب بينما فرخ التنين رعد أخذ يلهث محاولًا إخراج نفس ناري لإشعال حِفنة من الأغصان كانت أمامه، لكنه بدلًا عن ذلك كان يُطلق سعالًا غريبًا متقطعًا يخرج معه دخانٌ خافت ورذاذ شرر ضعيف ..

قالت نورس وهي تضع يدها على بطنها:

- إنني أتضور جوعًا يا أبي، لقد مضى وقت طويل ولم تصطد سمكة واحدة، لو كان رعد يصطاد بدلًا عنك لكان قد أمن لنا وجبة الإفطار منذ زمن.

غيَّاث وهو يلتفت إلى الخلف وقد فاض به الكيل:

- إن سبب عدم اصطيادنا للسمك يعود إلى هذه السحلية الحمقاء؛ فكلما اقتربت سمكة من الطُعم أخذ يُفزعها بصوت سعاله المزعج !!

التفتت نورس نحو ريحانة وكأنها تطلب منها المساعدة، ولكن ريحانة بدلًا عن ذلك قالت معلِّقة:

- والدك معه حق يا نورس؛ فصوت سُعال رعد أشبه بدجاجة تختنق أكثر من كونه صوت تنين يحاول نفث النار من فمه.

لم تكن نورس لترضى أن ينتقص أحد من رعد أمامها؛ وهذا ما جعلها تقول لتُثبت لهما بأنه قادر بالرغم من صغر سنه على نفث النار:

- أرهم بأنك أقوى مما يتوقعون يا رعد؛ أخرج من فمك اللهب ودع نجاحك يُخرسهم !!

حرك فرخ التنين رأسه كمن فهم الأمر؛ ثم أخذ نفسًا عميقًا وأطلق زفرة قوية من فمه، ولكن لم يخرج من فمه سوى "كحة" طويلة تطاير معها دخان خفيف؛ فضحكت ريحانة من ذلك المشهد أما نورس فإنها حاولت أن تتماسك ولكنها لم تستطع فاستلقت على ظهرها على الرمل وأخذت تضحك.

لم تدم تلك الضحكات طويلًا، فقد صمتت ريحانة ونورس في وقت واحد، وذلك عندما لاحظتا غيَّاث فوق الصخرة السوداء وهو يغير جلسته فجأة في الوقت الذي تمتم فيه بصوت خافت وهو يحدق في البحر بينما ارتفع صوت نبضات قلبه حتى خُيلَ إليهم بأن هنالك قلبين ينبضان داخل صدره وليس قلبًا واحدًا:

- هنالك شيء غير طبيعي، ثمة مخلوق ما يقترب.

تساءلت ريحانة وقد بدا عليها القلق:

- أهو خطر يدنو ؟!

- لا أعرف نواياه؛ ولكنني أعرف أنه يقترب بسرعة عالية وأنه يملك قوة فتَّاكة.

وفجأة بدأت تتكون حلقات دائرية واسعة على صفحة الماء لينبثق من الأعماق جسد مَهيب أسود تتدلى قطرات البحر من حراشفه الخشنة، ارتجف قلب نورس وريحانة من ذلك المنظر بينما غيَّاث لم يرمش للحظة وهو يحدق في الكائن ويقول:

- لقد كان هنالك عهدٌ بيننا.

- ما حدث قبل ثلاثة أيام يجبر المرء على كسر عهوده.

غيَّاث وهو يلتفت إلى الخلف ويقول آمرًا:

- دعونا وحدنا قليلًا.

نورس التي أرادت أن تظل معه لفرط خوفها عليه:

- ولكن ..

قاطعها بنظرة صارمة جعلتها تبتلع كلماتها، فأمسكتها ريحانة من يدها وهي تقول:

- سوف نذهب إلى السوق لنبتاع بعض الطعام.

ساروا مبتعدين من هناك بينما كانت نورس تختلس الانظار نحو والدها، فقد كان هنالك شيء غامض يُخبرها بأن ما هو قادم لا يُبشر بالخير، وقد كان إحساسها صائبًا ..

الحُكم

كانت كوبرا أفعى الجن تارا قد عاهدت أساطير بألّا تقترب منه أبدًا، وهذا ما جعله مستاءً اليوم من ظهورها، فقال وقد بان على صوته الغضب:

- تكلمي، وأوجزي ..

- لقد عرفت عائلة الزمهرير بالحقيقة يا أساطير، اكتشفوا أن والدك أمرني بإلقاء التعويذة على أختك جومانا ولهذا أصدروا حكمهم عليه بالموت.

هنا تيقن غيَّاث من حقيقة ما يُشاع عن عودة أخته إلى الحياة، وبان تلك الأخبار التي تتردد كانت صحيحة، ولكن مهلًا .. كان في كلامها شيء لم يفهمه:

- حكموا بالموت على من ؟

- على والدك جبَّار

- وكيف يحكمون بالموت على رجل قد مات منذ زمن ؟

- وهذا ما جعلني أكسر العهد وآتي إليك اليوم: لقد حكموا عليه بالموت، وبما أنه ميت أصلًا؛ فالحكم بذلك سوف ينتقل إلى نسله.

- أتعني أن ..

قاطعته قبل أن يُكمل:

- بالضبط؛ حكم الموت يشملك أنت وعاصف بما أنكما من نسل جبَّار.

ضغط غيَّاث على قبضته حتى ازرقت مفاصله لفرط غضبه:

- ومن أخبرهم بأنني ما زلت على قيد الحياة ؟

- لقد سألني الرجل ذو اللحية المُبصرة عنك وأجبته بالحقيقة.

ارتجف غيَّاث حين سمع ذلك الاسم " الرجل ذو اللحية المُبصرة " فقد كان ذلك الرجل هو أكثر شخص يخاف منه غيَّاث.

واصلت كوبرا أفعى الجن:

- ما كنتُ لأستطيع أن أكذب على رجل مثله؛ وأنت تعلم ذلك.

أطرق غيَّاث برأسه قليلًا، إنه يعلم بأنه لا يستطيع التنصل من تلك العائلة التي لفرط قوتها لم تكن بحاجة إلا للنطق بالحكم فقط؛ فيسوق المحكوم نفسه إليهم طواعية؛ لأنه يعلم بألَّا سبيل أمامه للهرب أو المقاومة.

- وهل حددوا موعدًا للتنفيذ ؟

- نعم؛ بعد ثلاثين يومًا، عند موعد اكتمال قمر الشهر القادم.

نهض غيَّاث من فوق الصخرة وهو ينفض ملابسه وعيناه تتقدان ببريق صلب:

- لا بأس؛ ساكون هناك عند الموعد.

تعجبت تارا من ذلك البرود الذي يتحدث به شخص مثله:

- أبهذه البساطة تقبل حكم الزمهرير ؟! .. فيُمحى نسل جبَّار دون مقاومة ؟!

لم يكلف نفسه عناء الرد، قفز من فوق الصخرة وابتعد من هناك دون اكتراث، بينما بدا الامتعاض واضحًا على ملامح تارا التي أدركت بأن لا فائدة من إقناعه فقالت وهي تلاحقه بعينيها:

- لا تنسَ أن تحضر معك نورس أيضًا.

وهو يلتفت نحوها ويصرخ بصوت ثار معه موج البحر:

- وما دخل نورس بهذا الأمر !!!!

بنبرة هادئة أجابت:

- لأنها من نسل جبَّار.

- أنتِ تعلمين بأنني التقطتها من على الشاطئ قبل سنوات طويلة، وليست من صلبي لتكون من نسل جبَّار[١٣].

- إنها ابنة عاصف يا أساطير.

- ماذا تقولين ؟!!

قالت الحقيقة التي لم يكن يعرفها:

- عندما انقلب طاغين على نظام الحكم قبل سنوات، اضطرت الملكة سرابي إلى الفرار من الباب الخلفي للقصر تُطاردها خطوات الجنود، واصلت الهرب حتى بلغت شاطئ البحر، وهناك خافت على طفلتها؛ فوضعتها داخل قاربٍ خشبي صغير، ودفعته إلى البحر؛ علّ الأمواج تحملها إلى برّ الأمان. تلك الطفلة التي أُلقيت في البحر كانت هي نفسها نورس.

---

١٣ قبل عشر سنوات وجد غيَّاث طفلة داخل قارب، وعندما لم يجد حولها أحدًا أدرك بأنها وحيدة، فقرر أن يتبناها وأطلق عليها اسم نورس. المصدر رواية الجسَّاسة

لم يُصدّق القصة: قاربٌ خشبي صغير، يُلقى في البحر من شاطئ بابيل، يعبر كل تلك المسافة العاتية ليصل إلى ممالك التنين وحده بتجاوزًا الأمواج الهائجة، والعواصف التي لا ترحم، ووحوشًا تسكن الأعماق ؟! .. كان الأمر أقرب إلى الخيال منه إلى الواقع:

- أنا لا أصدق ما تقولين.

أجابته تارا بهدوء:

- وأنت تعلم أنني لا أكذب.

- لكن ما تقولينه لا يدخل العقل يا تارا !! فحتى لو افترضنا أنها نجَت بعد كل تلك المسافة الشاسعة بين المملكتين فما هذه المصادفة التي تجعل القارب يستقر عندي أنا بالذات ؟! هل اختارت الرياح أن تجعل نورس ترسو عند خال والدها ؟!!

صمتت للحظة قبل أن تعترف:

- وماذا لو كنتُ أنا الرياح التي حرّكت القارب من الأسفل ؟

هنا اتسعت عيناه على أثر الصدمة وهو يكتشف أن تارا هي من ساقت ذلك القارب إليه. كانت كوبرا أفعى الجن تعلم حينها أن فقد أساطير لابنته التي غرقت سيجعله هشًّا أمام طفلة تُشبهها وأنه سوف يقوم بالاعتناء بها دون تردد[١٤].

---

١٤ في حادث مؤسف: فقد غيّاث ابنته الصغيرة غرقًا؛ وذلك عندما ذهبت مع كلبها إلى البحر وسقطت من أحد الصخور إلى عمق البحر. المصدر رواية التنّجيل.

قالت تارا وهي تستعد للعودة من نفس الطريق الذي جاءت منه:

- لا تنسَ الموعد: عند اكتمال قمر الشهر القادم، أنت ونورس؛ أمام قلعة الأباطرة في الغابة المظلمة، ليُنفذ فيكما وفي عاصف حُكم عائلة الزمهرير.

لقد اقتنع غيَّاث بالقصة وبأن نورس تكون ابنة عاصف .. ولكن عقله ما يزال غير قادر على التعامل وفقًا لتلك الحقيقة؛ فقال بصوت رافض:

- أخبرتكِ بأن نورس لا شأن لها بهذا الأمر !!!

- وأنا أخبرتك أنهم أصدروا الحكم بالفناء على سُلالة جبَّار الأباطرة، وسوف يبدأ الرجل ذو اللحية المُبصرة بالتقصي عن أفراد السلالة حتى يحصرهم جميعًا ليتأكد من أنه سوف يُنفذ الحكم عليهم جميعًا دون أن يستثني أحدًا، ليس أمامك خيار يا أساطير، ستموت أنت ويموت عاصف ومعكما نورس.

تجمدت الكلمات في حلقه، إنه لا يكترث إن انتهت حياته الآن؛ فقد عاش ما يكفي، لكن نورس ما تزال صغيرة والحياة أمامها، ويجب أن تكبر وتأخذ فرصتها:

- ألديك خطة لمقاومة الزمهرير ؟!

- ألم تقل قبل قليل بأنه لا يُمكن مقاومتهم ؟

ـ كان ذلك قبل أن أعرف بأن نورس متورطة معنا.

وعاد يكرر:

ـ ألديك خطة للمقاومة ؟

ـ نعم لدينا خطة، تعال معي إلى الغابة المظلمة حيث الجميع، وهناك نناقشها معًا.

ـ الجميع ؟! .. هل ستشارك الأباطرة في المقاومة ؟

ـ لا؛ لقد اختار كُبراء العائلة الحياد، حلفاؤك الآن هم عاصف وأصدقاؤه فقط.

ـ لا بد أنك تمزحين

ـ أخبرتك بأن لدينا خطة.

أطرق أساطير للحظة قبل أن يقول:

ـ وهل تظنين أن عاصف وأصدقاءه سوف يوافقون على الجلوس معي بعد الذي كان بيننا في الحرب الأخيرة، ومحاولتي قتله وقتل صاحبه الشمالي ؟

ـ أعلم أنك أكثر حصافة من أن تُلقي سؤالًا كهذا، ولكن دعني أُجيب عليك .. هل يُمكن تجاهل الحرب الأخيرة بينكم ؟! الإجابة المختصرة والحاسمة هي بالطبع لا .. ولكن ما هو آتٍ عليكم في الأيام القادمة سوف يجبركم إما على الجلوس معًا، أو الهلاك معًا.

- حسنًا؛ سأذهب معكِ

- ماذا عن نورس، ألن تجلبها معك ؟

- لا؛ فالأفضل أن تبقى هنا في هذه المرحلة؛ بعيدًا عن الخطر.

تعلم أنه أكثر ذكاء من أن يتخذ قرارًا مثل هذا؛ حتمًا خوفه الزائد على نورس هو ما كان يمنعه من التفكير بطريقة صائبة:

- لا تترك نقاط ضعفك مكشوفة خلفك؛ وإلا ضُربت من خلالها.

لقد كان هنالك سببٌ آخر جعله يميل إلى هذا القرار: إنه يريد لنورس أن تكون بعيدة ولكن ليس من الخطر فقط، بل بعيدة عن والدها الحقيقي "عاصف" يخاف أن تكتشف حقيقة أنه والدها فينتهي دوره بالنسبة إليها، هذا القلق هو ما جعله يضع شرطًا واحدًا للموافقة[١٥].

---

١٥ وفقًا للأجزاء السابقة للسلسلة؛ هذا ملخص لكل ما تعرفه نورس عن كلٍ من غيَّاث وعاصف.

أولًا ما تعرفه عن غيَّاث: تعرف أنه ليس والدها الحقيقي، بل والدها بالتبني، وتعلم أن اسمه الحقيقي أساطير وأن غيَّاث ليس إلا اسمًا يتخذه للتخفي، ولكنها حتى هذه اللحظة لا تعرف سبب تخفيه عن العالم ..

ثانيًا ما تعرفه نورس عن عاصف: هي لا تعرف عنه الكثير، كل ما تعرفه فقط هو أنه كان عدوًا لغيَّاث في الحرب التي جمعتهما برواية التَجيل وهي تكرهه لهذا السبب.

قال غيَّاث:

- هل يعرف عاصف أنها ابنته ؟

- إلى هذه اللحظة .. لا

- هل تستطيعين أن تكتمي هذا السر عنه وعنها ؟

كادت أن تعترض، ولكن غيَّاث قطع عليها الطريق:

- إنه شرطي الوحيد.

في الحقيقة كان هنالك شخص واحد قد أخبرته تارا بهذا الأمر قبل قدومها إلى هنا؛ فلم تذهب بها المخيلة إلى حد أن يُصر أساطير على هذا الشرط، فقالت:

- كما تشاء؛ سوف أكتم السر عن عاصف وعنها.

- وهناك شرط آخر - قال غيَّاث بنبرة من استذكر أمرًا ضروريًا وأراد أن يطرحه قبل فوات الأوان - لا أريد لنورس أن تعرف بشأن الحكم الصادر بحقها.

- ولكن من حق نورس أن تعرف الحقيقة التي تخص حياتها.

- ليس من العقل أن نخبر فتاة لم تبلغ العاشرة من عمرها بأنها محكومة بالموت، فإما أن تقطعي لي وعدًا بكتمان الحقيقة، وإلا سأنسحب من هذا الأمر وأتدبر شؤوني وحدي.

قالت وقد اقتنعت بكلامه:

- لن تعرف نورس بهذه الحقيقة أيضًا.

وعند هذا القدر كان الحديث بينهما قد أُغلق، ولكن الشيء الذي لا يعرفانه هو بأن هنالك عيونًا كانت قد رأت اجتماعهما ذاك على ساحل ممالك التنين، وبأن هذه العيون سوف تذهب بعد قليل، لتخبر أصحاب الشأن بكل ما جرى ..

٣

جزيرة الأرباب

قصر حكم مملكة أبابيل

كانت جزيرة الأرباب أشبه بقلعة عائمة وسط البحر، يلفها الضباب الكثيف مثل ستارٍ سحري. هي ليست جزيرة عادية بل هي عاصمة السُلطة ومركز القرار في مملكة أبابيل، محروسة بكائنات بحرية تحوم في الأعماق لحراسة العائلة الملكية من أي اعتداء قد يأتيهم من البحر .. في قلب الجزيرة يرتفع قصر الحكم شامخًا، أسواره تعلوها رايات طويلة ترفرف مع الريح مرسوم عليها شعار مملكة أبابيل: صورة لطائر عنقاء أسود مفرود الجناحين؛ ذلك الرمز الذي اتخذه ملوك أبابيل الأوائل شعارًا لمملكتهم منذ اللحظة التي بسطوا فيها سُلطتهم على الأرض.

لم يكن اختيار العنقاء بسبب أن أبابيل كانت موطنًا لذلك الطائر النادر فقط بل لأن العنقاء لا يستسلم أبدًا؛ فهو كلما مات حرقًا يعود للحياة من جديد منبعثًا من أسفل رماده؛ هكذا رأى الأبابيليون أنفسهم، وهكذا أراد ملوكهم أن يقولوا للعالم بأن أبابيل مهما حوصرت أو دُمرت أو أُحرقت فإنها لا تستسلم وسوف تعود إلى الحياة من جديد.

**

الملك طاغين

في ذلك النهار كان الملك طاغين جالسًا على عرشه عندما رفع يده في إشارة لمستشاره الأصلع " آشور " الذي سارع بارتقاء درجات منصة العرش:

- أمرك سيدي الملك ..

- أين جوماتا اليوم؛ فأنا لم أرها منذ الصباح على غير العادة.

تردد آشور قليلًا قبل أن يطلب بصوت متهدج:

- أرجو أن تأذن لي يا مولاي بأن أتحدث معك بشأن أمر خاص.

- تحدث

- لقد مضى على زفافك قرابة عشرة أيام.

- هل هذا هو أمرك الخاص أيها الأصلع البدين ؟! .. لأنه إن كان كذلك فأخبرني الآن لكي استمتع برؤية سقوطك من فوق المنصة بعد أن أرفسك بقدمي.

آشور يعلم أن الملك لا يهدد عبثًا؛ فقد رفسه عن المنصة مراتٍ عديدة، وهذا ما دفعه لأن يقول وهو يرى قدمه تستعد للتحرك:

- مهلًا يا سيدي مهلًا؛ ولكن هذه المعلومة ضرورية لتمهيد ما أريد قوله ..

- همم، حسنًا لا بأس واصل حديثك ..

- لقد مضت عشرة أيام وأنت لم تقترب منها بعد

- لم أقترب منها ؟!

- نعم ..

- ألم ترها يا آشور خلال الوقت الماضي وهي تجلس كل يوم فوق كرسيها المجاور لعرشي ؟

- بلى كنت أراها ..

- أوليس هذا القرب كافيًا بنظرك ؟!

- لم أكن أقصد هذا النوع من الاقتراب يا سيدي.

- عن أي نوع تتحدث إذًا ؟

ظلت على المكان لحظة صمت خاطفة قبل أن تردف الأخرى دون

قدرة:

- إنما كنت أقصد ذلك الاضطراب الذي يكون بين الزوج (...)

إنها امرأة في نهاية المطاف، وعدم القدرة على مواكبة هذه الحالة يجعلها تظن أن بها عيبًا أو شيئًا من القبح.

هنا انقض طاغين عليه بغتة وأمسكه من ثوبه:

- قد أكون ساذجًا ومتسرعًا أيها الهادئ الأصلع القبيح، ولكن لست إلى تلك الدرجة - ثم وهو يشده إليه أكثر حتى كاد وجهاه أن يلتصقا لفرط القرب: ليس إلى درجة أن اقترب منها وهي ابنة أخي، أنت تعلم السبب الذي جعلنا نؤدي طقوس عودتها إلى الحياة، وتعلم السر الذي جعلنا نُظهرها أمام عاصف وبقية الملوك في تلك الليلة !!!

آشور يُدرك أن طاغين لا يمسكه من ثوبه فقط، بل يُمسك روحه أيضًا؛ أي كلمة ستقال في غير محلها قد تكون كفيلة بقتله فورًا فقال بحذر:

- لكنها يا سيدي لا تذكر شيئًا عن ماضيها، ونظن أن ذلك زوجها بالفعل، وينبغي أن نتصرف على هذا الأساس إذا ما أردنا للمخطط أن يكتمل كما خُطط له منذ البداية.

هدأ طاغين، وقال وهو يُقلته:

- في هذه النقطة قد تكون مصيبًا - ثم أضاف وهو يتراجع ويجلس فوق العرش: وماذا تقترح لنتجاوز هذه الأزمة، وإياك أن تقول بأن عليّ التصرف معها كما لو أنها زوجتي بالفعل.

- ما رأيك يا جلالة الملك أن نجعلها تظن بأن قلقك من عاصف هو سبب امتناعك عنها؛ إننا إن فعلنا ذلك فسوف يزداد كرهها له؛ وبالتالي نستطيع أن نوجه مشاعرها إلى حيث نريد تمامًا.

ارتسمت على شفتي طاغين ابتسامة ملتوية ظهرت من خلفها أنيابه الطويلة نسبيًا، قال وقد أعجبته الفكرة وهو يُربت على صلعة آشور كالسيد عندما يُربت على رأس حيوانٍ مطيع:

- أفكارك يا ذا الرأس الأملط تُعجبني أحيانًا.

- خادمكم المطيع يا جلالة الملك

- ابدأ بالعمل على تنفيذها

انسحب المستشار من أمام الملك بعد أن أدى له انحناءة بسيطة وهو يُتمتم " أمرك " وما كاد أن يغادر من هناك حتى صعد حاجب الباب مسرعًا وهو ينحني للملك ويقول:

- زائرٌ مهم عند الباب يلتمس لقاءك؛ إنها الملكة أنورا زوجة يَمان ملك ممالك التنين العُظمى.

ملامح من الريبة طفت على وجه الملك طاغين وهو يسمع اسم الزائرة، مما جعل سؤالًا ملحًا يقفز إلى ذهنه: تُرى ما الذي جاء بها في هذا التوقيت الحساس ودون ترتيب مسبق ؟! .. ولما طال صمته أكثر مما يحتمله الموقف، عاد الحاجب يكرر:

- أأسمح لها بالدخول يا مولاي ؟

صحيح أن أبابيل ظلت على مدى قرون طويلة مملكة عظيمة مُهابة الجانب لكن التزعزع الذي أصابها في السنوات الأخيرة لم يكن خافيًا على أحد؛ فبعد وفاة جبَّار وتقلد حفيده عاصف المُلك، ثم الانقلاب الذي أحدثه طاغين واعتلاءه العرش .. كل ذلك جعل منها - من أبابيل - أقل صلابة وأضعف شأنًا مما كانت عليه من قبل؛ ولهذا فإن حضور ملكة ممالك التنين إلى القصر الآن ودون ترتيبات معلنة تسبق قدومها يجعل طاغين يُدرك أن هنالك شيئًا كبيرًا يقف خلف هذه الزيارة:

- نعم، اسمح لها.

" أنورا "

ملكة ممالك التنين

انفتحت أبواب القاعة الثقيلة لتدخل منها المرأة التي حملت على كتفيها مهابة ممالك بأكملها، كانت تمشي بخطوات رصينة وعيناها تلمعان بمهابة تخترق الصدور، نهض طاغين من فوق عرشه ونزل يقف أمامها وجهًا إلى وجه، ورغم أنها ترى نفسها أعلى منه شأنًا ومكانة إلا أنها تعرف واجب الكلام المهذب الذي كان عليها أن تُلقيه قبل الشروع في حديثها:

- كيف أصبح جلالة الملك طاغين اليوم ؟!

- بخير أيتها الملكة، أشكرك على السؤال وأتمنى أن أكون قادرًا على تحقيق ما جئتِ لأجله.

**

جلس الاثنان وحديهما على المقاعد الجانبية للقاعة والملكة تقول بصوتها القوي:

- الشياطين المسترقة لدى مملكتنا رصدت قبل أمس اختراقًا أمنيًا لمحيطاتنا؛ مخلوق قوي تجاوز حدود أعماقنا البحرية فجأة، ما جعلهم يسارعون بالذهاب لاستطلاع الأمر .. وهناك شاهدت الأعين ما لم يكن في الحسبان: لقد كان ذلك المخلوق هي الكوبرا حارسة الغابة وقد جاءت لتتحدث مع غيَّاث.

- أليس هذا هو اسم الظل نفسه الذي كان حارسًا للملك يَمان فيما مضى ؟

أومأت برأسها بعلامة نعم، ثم أضافت:

- غياث الآن يُهدد صعود ابني إلى العرش يا جلالة الملك.

طاغين وهو يُمثل التعاطف معها:

- هذا مؤسف للغاية، أتمنى أن تجدوا حلًا لهذا الأمر - ثم وملامحه تعود لوضعها الطبيعي: ولكن تجدوه بعيدًا عني يا جلالة الملكة؛ فأنا لا شأن لي بهذا الأمر.

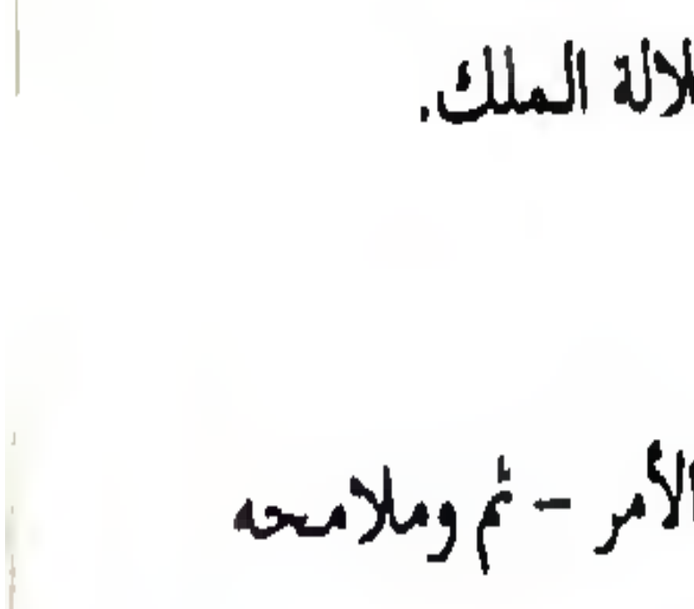

- بل إنه من صميم شأنك؛ فهذا الغياث لا يُهدد صعود ابني الأمير أركان فحسب يا جلالة الملك بل إنه أيضًا يُهدد بقاءك أنت على العرش.

بدا أن طاغين لم يصدقها، فقالت إليه بثقة:

- ما رأيك أن أحكي لك قصة غيَّاث، القصة التي لا أحد يعرفها عنه، ثم يُمكنك أيها الملك أن تحدد ما إذا كنتُ مصيبة في كلامي أم لا.

لقد كان متعجبًا من ثقتها الزائدة بكلامها؛ الأمر الذي جعل عينيه تتقدان بالفضول وهو يقول:

- احكِي إذًا ..

قصة غيَّاث التي لا يعرفها أحد

بدأت الملكة تتكلم وطاغين يُنصت إليها:

- كان غيَّاث شابًا صغيرًا حين تورط بالحب مع فتاة تُدعى حرير، وكما تعلم أيها الملك فإن كثيرًا من عوائل الجن تحرم اختلاط الأنساب، وتضع قوانين صارمة تمنع أفرادها من الزواج بأبناء من ذوي سلالات مختلفة؛ ولهذا السبب ما كان أمام غيَّاث إلا أن يهجر عائلته ليعيش مع حرير وسط عشيرتها التي لم ترَ بأسًا في أن تقترن ابنتهم ذات الأصل الجليدي بمخلوق ذي أصل ناري .. فمضت أعوام طويلة على زواجهما حتى رُزق غيَّاث منها بطفلة أطلق عليها اسم ريلان[١٦].

---

١٦ ماتت طفلته (ريلان) غرقًا، الحدث مذكور بالتفصيل برواية البِسْجيل.

طاغين ساخرًا:

- نهاية سعيدة متوقعة؛ كالقصص القديمة.

ابتسامة خفيفة ارتسمت على ملامح الملكة وهي تقول:

- بل القصة لم تبدأ بعد؛ القصة تبدأ عندما وجدوا الأم - حرير - بعد يوم واحد من ولادتها لتلك الطفلة، وهي مقتولة في فراشها بسبب طعنة نافذة إلى صدرها .. القاتل لم يكتفِ بقتلها فقط بل إنه انتزع قلبها من مكانه بعد ذلك وأكله.

بان الاهتمام على وجه طاغين وهو يميل برأسه ناحيتها:

- ومن الفاعل يا ترى ؟

- لم يكن هنالك دليل قاطع، ولكن كل المؤشرات قادتهم إلى أن غيَّاث هو الفاعل وإلا لماذا يختفى بطفلته فجأة ودون سبب واضح ؟! عشيرتها لم تسكت وبعثوا بالرسل إلى الملوك طالبين منهم الوقوف معهم، وما هي إلا أيام حتى أصدرت ممالك الأرض جميعها بيانًا برصد مكافأة كُبرى لمن يأتي برأس غيَّاث، كما أن البيان حذر من احتواء ذلك المجرم أو التعامل معه.

كانت هنالك حلقة مفقودة:

- ومن تكون هذه العشيرة لتتحرك من أجلها كل ممالك الأرض ؟

- لا أحد يعلم على وجه اليقين، ولكن الأرجح أنها قد تكون عائلة الزمهرير.

تمتم طاغين:

- ما زلت غير مقتنع بأن غيَّاث هو من قتلها، فالمرء لا يهجر عائلته من أجل فتاة أحبها ثم يقوم بقتلها وأكل قلبها، ولكن واصلي حديثك أيتها الملكة.

- لقد خاف غيَّاث بعد أن وصله أمر ذلك البيان .. لم يخف على نفسه بل على طفلته؛ ولذلك تسلل خلسة إلى ممالك التنين، وواصل طريقه حتى القصر وطلب لقاء الملك.

- لا تقولي بأن ملك ممالك التنين العُظمى وافق على لقائه.

- نعم لقد وافق زوجي على لقاءه بسبب الصداقة القديمة التي كانت تجمعه بوالده .. في هذا اللقاء أيها الملك اعترف غيَّاث بأنه بالفعل قتل زوجته، ولكنه رفض أن يُفصح عن السبب الذي دفعه إلى ذلك وطلب من الملك يَمان أن يمنحه اللجوء.

ارتسمت السخرية مجددًا على ملامح طاغين وهو يقول:

- فمنحه الملك يَمان اللجوء وعينه ظلًا شخصيًا له، هاها، نهاية أخرى متوقعة كالقصص القديمة.

- بل إنها البداية - قالت الملكة - إنها بداية القصة .. التي لن تخطر لك ببال ..

- همم، واصلي ..

واصلت الملكة أنورا تقول:

- كان زوجي يَمان آنذاك يواجه خطرًا متصاعدًا، محاولات اغتيال متكررة تُحيط به من كل جانب، بعضها يفشل بأعجوبة وبعضها يُخلف في جسده أثرًا لا يُمحى، وقد أدرك أن العرش لن يصمد طويلًا ما لم يُحِط نفسه بظل قوي، حارس يقف بينه وبين خيانات العروش وقد وجد ضالته في غيَّاث؛ كان يعلم أنَّ لديه قوة جبَّارة، وألَّا أحد سواه قادر على مجابهة هذا النوع من الأخطار؛ لذلك قرر أن يمنحه ما طلبه " اللجوء " مقابل أن يُصبح ظلًا له، وقد وافق غيَّاث على تلك الصفقة.

طاغين يعلم أن قوة السحر قادرة على تغير ملامح الوجه، ولكن أثر ذلك يظل مؤقتًا، أما أن يُمنح غيَّاث هوية أبدية فذلك شيء يصعب عليه فهمه:

- ولكن كيف منحه الملك يَمان هوية أبدية، وأخفاه عن أعين العالم كل هذه المدة، فليس هنالك ساحر على هذه الأرض يستطيع فعل ذلك.

- أنت قلتها، ليس على هذه الأرض ..

- ماذا تعنين ؟

- لا أملك الإذن لأكشف لك عن تفاصيل هذا الأمر، ولكن كل ما أستطيع أن أخبرك به الآن هو أننا في هذا العالم لا نعيش على أرض واحدة، بل أراضين متعددة وأزمنة مختلفة، ولكل أرض وزمان علومه الخاصة.

كان طاغين قد سمع عن أن هنالك علومًا غيبية تُكشف فقط لملوك الممالك العُظمى .. ولكن مسألة الأراضين والأزمنة المتعددة هذه كانت أكبر من أيفهمها ومع ذلك لم يقاطعها وأنصت إليها وهي تُكمل كلامها الغريب ذاك قائلة:

- لقد فتح له الملك يَمان بوابة الزمن - الآرسس[١٧] - ونقله عبرها إلى أرض ذات زمان مختلف وعلوم منفردة، حيث يقبع هناك كاهن غريب بنصف جسد وعقلٍ ممتلئ بأسرار غيبية لا يعرفها سواه أحد.

**

غيّاث بعد عبوره بوابة الزمن

بعد أن اجتاز غيَّاث بوابة الآرسس وجد نفسه في وادٍ غير ذي زرع، مظلم تحفه جبال داكنة من كل الجهات .. جبال صامتة كأنها جدار يفصل الأرض عن السماء .. في تلك الليلة كانت رائحة المطر تملأ المكان عندما رفع غيَّاث رأسه إلى السماء وشاهد الغيوم الرمادية وهي تتفرق ببطء ومن خلفها تظهر نجوم قليلة لكنها تلمع بحدة، لم يكن هنالك ما يوحي له بالانتقال المكاني والزمني الذي حدث ولكنه على نحو غريب أحس بأنه بالفعل يقف على أرض مختلفة وزمن آخر.

---

١٧ من خلال رواية التّجيل يتضح لنا أن طاغين كان على دراية بما يُسمى الآرسس، حيث يعلم أنها تستخدم لاختصار الزمن فهي تنقل المرء من زمن إلى آخر ضمن العالم نفسه، لكنه لم يكن يعلم أن من خصائصها أيضًا أنها قادرة على كسر حواجز العوالم وأنه يمكن أن تستخدم لنقل الشخص من عالم إلى عالم آخر.

هنا جاءه صوت المرشد الذي قام الملك بتعينه ليقود غيَّاث إلى حيث الكاهن:

- اتبعني يا سيدي؛ فيجب ألَّا يرانا أحد من أهل الوادي.

مضى غياث يمشي بخطوات ثابتة خلف المرشد وبينما هو كذلك إذ لمح بطرف عينه مشهدًا أربك حواسه: ذئبة سوداء ضخمة تهرول بخفة نحو بيوت الوادي الهاجعة بالليل وهي تحمل بين فكيها طفلًا بشريًا حيًا مقمطًا في خرقة بالية .. توقف غيَّاث للحظة أمام غرابة ما يرى لكن صوت المرشد عاد يذكره بالتعليمات:

- يجب أن نتجاهل كل ما نراه، وألَّا نُنصت لنداء، أو نركن لشيء، وإلا علقنا في هذا المكان.

تابع غيَّاث سيره خلف المرشد متجاهلًا غرابة المشهد حتى بلغ دارًا مظلمة لها باب خشبي أسود قديم كأنه صُنع من حجارة الوادي المعتمة:

- سوف تدخل وحدك - قال المرشد - الكاهن ينتظرك في الداخل وهو يعلم من تكون، ومن أي أرض جئت، وما يجب عليه أن يفعله معك.

إحساس ما دفع بغيَّاث لأن يشعر بالرهبة من ذلك الكاهن حتى قبل أن يراه، ما جعل صوت نبضات قلبه ترتفع داخل صدره بقوة تجعل من يستمع إليها يشعر وكأن ذلك الشاب كان يملك قلبين في صدره وليس قلبًا واحدًا.

- إننا لا نملك الوقت - قال المرشد - هيا اطرق الباب

رفع غيَّاث قبضة يده وطرق الباب ثلاثًا، فانفتح الباب ببطء وانبثق من الداخل صوت خافت لا يُرى صاحبه يقول:

- ادخل بقدمك اليُسرى، وردد سبعًا " لبيك شِقا "

حدقت الملكة أنورا إليه - إلى طاغين - قبل أن تقول آخر ما سوف تُنهي به القصة:

- حين خرج غيَّاث من دار الكاهن، كان شخصًا آخر غير الشخص الذي كان عليه قبل أن يدخل، اسم جديد، ملامح جديدة، وقدر مختلف ينتظره في قادم أيامه.

- ساعترف أنها قصة لم أكن أتوقعها أيتها الملكة، ولكن حتى هذه اللحظة أنا لا أفهم السبب الذي يجعلكِ تعتقدين أنني قد اهتم لهذا الغيَّاث.

- عندما ستعرف اسمه الحقيقي الذي كان له قبل أن يصبح غيَّاث سوف تهتم لأمره.

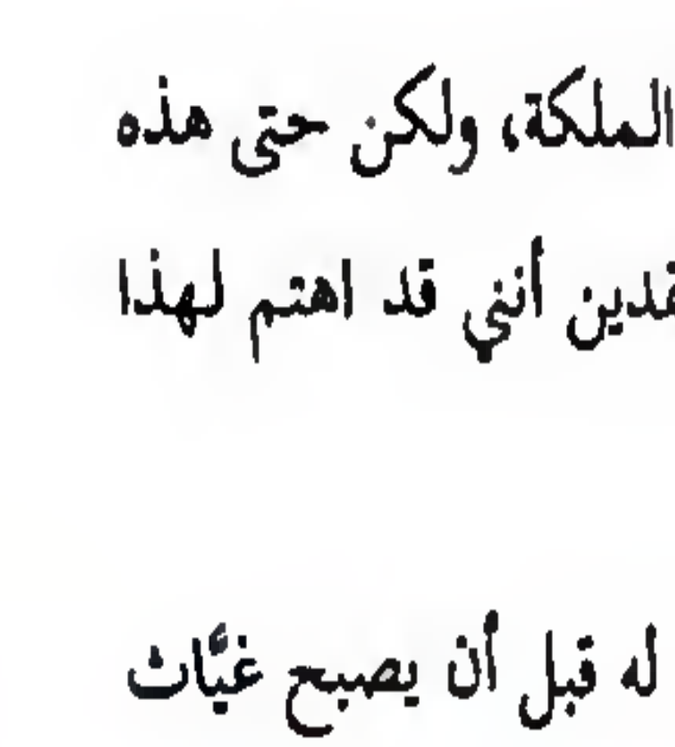

- وما هو اسمه الحقيقي ؟

- أساطير.

قالت ذلك ثم حدقت إليه قليلًا قبل أن تسأله:

- هل يذكرك هذا الاسم بشخص تعرفه أيها الملك ؟!

**

الملك طـــاغين

الملكـة أنورا

الخـطر

تجمد وجه طاغين للحظة، وانسحبت من عينيه قسوته المعتادة لتحل مكانها ظلال من القلق، فلم يكن لدى طاغين من يُهدد عرشه غير عاصف، لكن خطره - خطر عاصف - قد قل بعد أن تنازل له بالشرعية الملكية؛ وهكذا حتى لو كان لدى عائلة الأباطرة الرغبة في استعادة ما كان لهم فإنهم لن يجدوا قائدًا يقفون خلفه، أما الآن ومع ظهور " أساطير " قد يصبح لديهم قائد يجتمعون تحت لوائه.

تحت ضغطٍ هائل لم يجربه منذ زمن، بدأ طاغين يحاور نفسه بهمس لم ينتبه إلى أنه كان مسموعًا:

- أساطير ؟!! .. أحد جبابرة الأرض التسعة ؟!! .. قوة كهذه قادرة على قلب الموازين، نسبه المتصل مباشرة بجبَّار كونه الابن الذكر الوحيد؛ هو سبب آخر ليشكل تهديدًا حقيقيًا على العرش.

قالت كما لتزيد النار حطبًا:

- ولا تنسَ أيها الملك بأن هنالك الكثير من عشائر مملكة أبابيل وقبائلها ممن لا يزالون يحملون الوفاء لوالده، وقد يقاتلون معه إن طلبهم.

ارتجفت أنامله وهو يُطبق بقبضته على المسند؛ فمدت الملكة يدها فوق يده. كانت لمسة باردة لكنها محسوبة بدقة وهي تقول بصوت خفيض:

- ممالك التنين في صفك؛ فنحن وأنتم الآن لدينا عدو مشترك، أساطير يُهدد صعود ابني إلى العرش، كما يُهدد بقاءك أنت على عرشك أيها الملك.

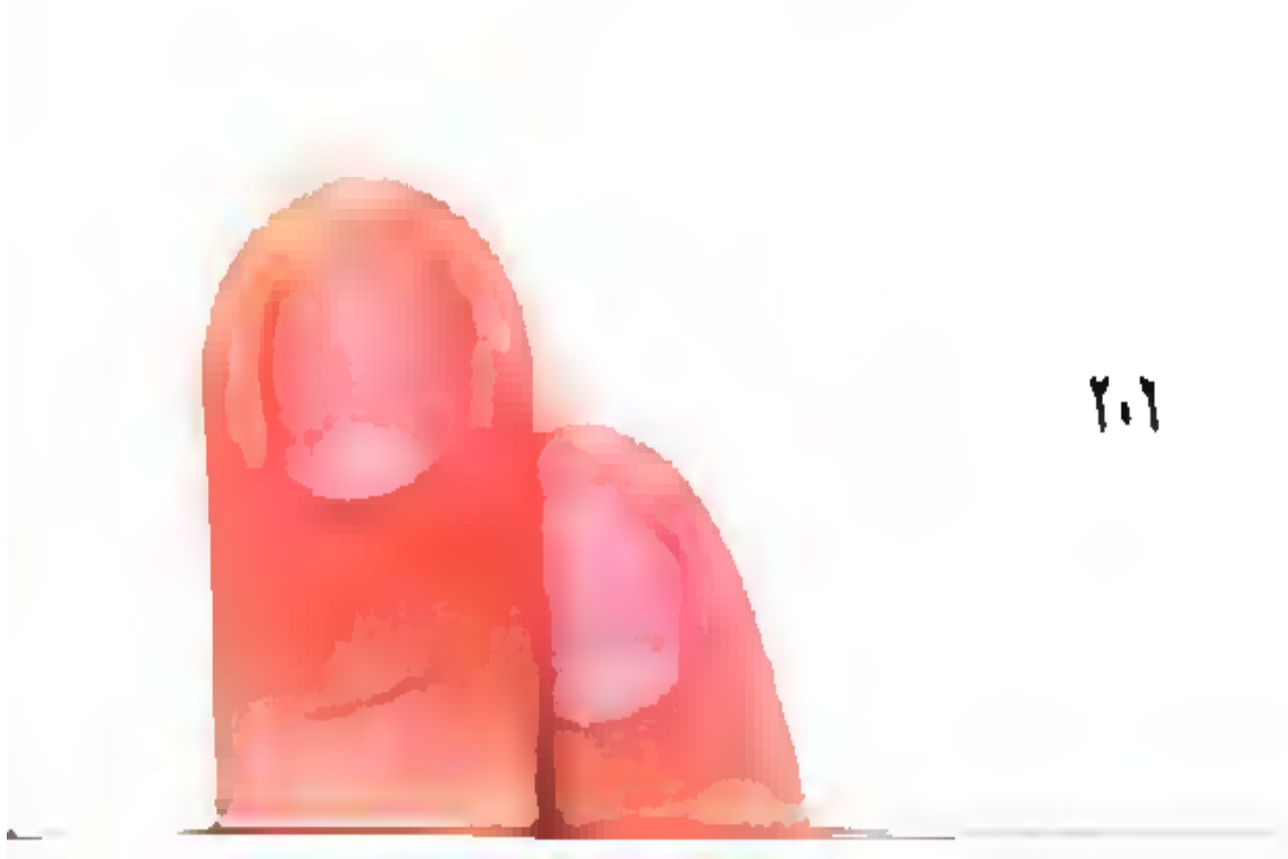

ثم شدت قبضتها فوق يده كأنها تُعزز كلماتها بالقوة:

- لكن إن اتحدنا معًا؛ فسوف نكون قادرين على إسقاطه قبل أن يحصل على قوة مضاعفة ويُصبح من الصعب تحجيم خطره عليكم وعلينا.

**

العين الثالثة

وبينما ظل طاغين صامتًا،

والملكة أنورا تتضع يدها فوق يده،

لم ينتبه أحد منهما لتلك العينين البُندقيتين اللتين كانتا تُراقبان المشهد من خلف العمود البعيد .. كان قلبها - قلب جومانا - يغلي بالغيرة والحقد في تلك اللحظة وهي تشاهد تلك المرأة تضع يدها فوق يد زوجها .. ولكنها ولكي تتقي غضبه إن عرف بأنها كانت تتجسس عليه طوال الوقت؛ فقد اختارت أن تنسحب من هناك بصمت قبل أن يلتقط أنفه رائحة الحريق المشتعل بقلبها.

انسحبت جومانا من هناك

لكن ما رأته للتو لن يختفي من قلبها وذاكرتها ..

بل سيشعل حرائق أكثر وأكبر .. حرائق لم يكن أحد يتوقعها ..

@ART_OF_BOOK

الباب الرابع

الغابة المظلمة

@ART_OF_BOOK

كان قرص الشمس مستقرًا في كبد السماء ينشر ضوءه الذهبي فوق الأرض الشرقية من قرية الجسَّاسة حيث الغابة التي لفرط ما كانت أوراق أشجارها كثيفة ومتشابكة فإنها لم تكن لتسمح إلا بالقدر اليسير من ضوء الشمس بالدخول إلى أعماقها حتى لا يعكر صفاء عتمتها الأبدية، فُتحت بوابة القلعة أمام كوبرا أفعى الجن التي وبالرغم من صعوبة الموقف الذي هم فيه إلا أن ذلك لم يُنسها الواجب، فقالت:

- سيدي أساطير .. تفضل ومن معك بالدخول ..

تقدم أساطير أولًا،

وإلى جواره نورس وريحانة التي يستقر فرخ التنين فوق كتفها،

وما إن عبر أساطير عتبة البوابة حتى امتلأت عيناه ببريق خافتٍ من حنين قديم؛ فهنا عاش فصول حياة لا تُنسى قبل أن يهرب مع تلك الفتاة التي أحبها وتنقلب حياته رأسًا على عقب .. لم يتسلل الحنين إلى ملامح وجهه وظلت قسماته متمسكة بصلابتها لكنه كان يُخيل إليه وكأن جدران القلعة كانت تُردد على مسامعه وقع خطواته القديمة وصوته القادم من الماضي - حين كان صغيرًا - وهو يتبادل الحديث مع والده جبَّار ووالدته تاج وأخته التي يُحبها جومانا، وكأنما الجدران بذلك كانت تريد أن تعاتبه على كل هذا الغياب الطويل.

لم يقطع سيل ذلك الحنين الذي اجتاح أساطير سوى صوت رفرفة أجنحة تخفق في الأعلى؛ فرفع رأسه ليرى طائرًا أحمر اللون يهبط بهدوء مستقرًا فوق درابزين الطابق الثاني يُراقب المكان بصمت الحارس الأمين الذي يمسح المكان بعينيه قبل وصول سيده ..

في اللحظة ذاتها ارتفعت أصوات أقدام آتية من عمق القلعة، فالتفت أساطير ومن معه بشكل تلقائي ناحية الصوت ليشاهدوا عاصف يتقدم نحوهم بخطوات بطيئة وإلى جانبه الشمالي ..

وقف الطرفان على بُعد خطوات قليلة من بعضهم البعض، وأخذ الصمت يسود المكان، لا صوتٌ يُسمع ولا كلمات تُنطق، العيون وحدها كانت تتبادل سيل نظرات مشحونة بعداوة تنبعث من ذاكرة لم تبرأ بعد من رماد الحرب الأخيرة ..

شدَّ عاصف على قبضته وامتدت يد الشمالي إلى مِقبض سيفه بينما استعد أساطير لهما، ولكن في هذه اللحظة المشحونة تقدمت تارا بينهم قائلة بصوت واضح:

- لم نجتمع هنا لتصفية حسابات الأمس؛ لقد اجتمعنا لأجل هدفٍ واحد، لأجل البقاء، ولن يتم ذلك حتى تمنحوا بعضكم الأمان - ثم أردفت وهي تلتفت نحو أساطير:

- أتمنحهم الأمان ؟

رد بنبرة قوية: إن كانوا قادرين على منحي الأمان، فسأفعل.

حولت تارا نظرها إلى عاصف والشمالي وسألت:

- وأنتما ؟! .. هل تستطيعان ذلك ؟!

عاصف بحدة:

- قلتِ إنكِ سوف تذهبين لجلب المساعدة، ولم نكن نعلم أن هذا المجرم هو ما تقصدين .. لا يا تارا .. نحن لا نستطيع منح الأمان لشخص مثله.

كاد الاجتماع أن ينهار قبل أن يبدأ لكن كوبرا أفعى الجن كانت قد وضعت حسابًا لهذا الاحتمال، فأشارت إلى الفتاة السمراء الواقفة إلى جوار أساطير وقالت:

- إن لم يكن من أجلي، فليكن من أجل هذه الفتاة إذًا.

التفت الاثنان تلقائيًا نحو الفتاة التي أشارت إليها وتساءل كل واحدٍ منهما في داخله تُرى من عساها تكون هذه الفتاة؛ لتسألهما تارا بحقها.

لم يمضِ سوى وقت قصير قبل أن تقدم لهما تارا الإجابة:

- إنها أخت أيوب.

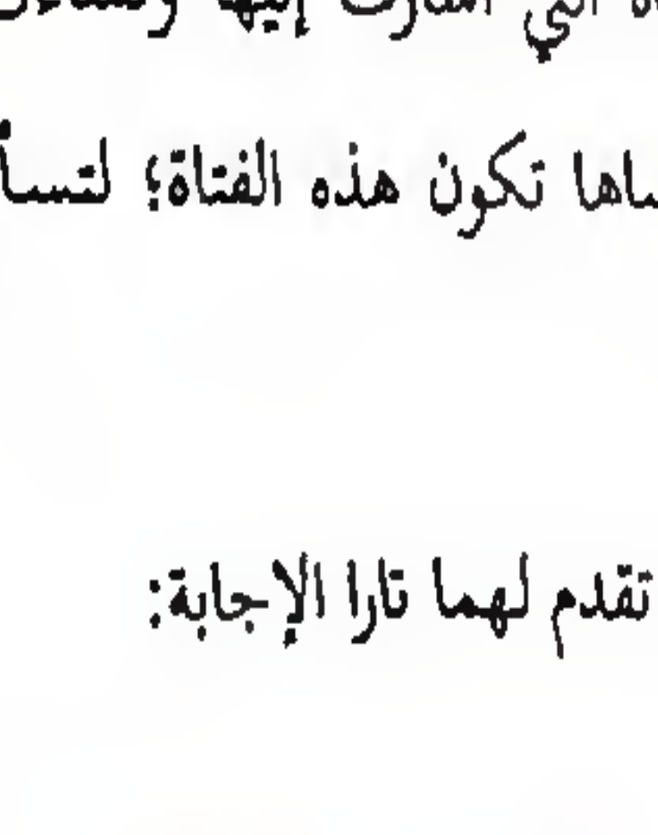

توقف الزمن عند تلك الكلمة " أيوب " الاسم الذي رغم غياب صاحبه إلا أنه ما يزال ساكنًا في أعماق كل واحدٍ منهما، ارخى عاصف قبضته ببطء، بينما أزال الشمالي يده عن مقبض سيفه واستحال الموقف من كراهية مشتعلة إلى محبة ووفاء.

تقدم عاصف ببطء نحوها - نحو ريحانة - وفي عينيه يومض بريق قديم لمشهد أخير لم يُفارق ذاكرته " مشهد أيوب حين وضع قبلة على جبينة قبل أن يضحي بنفسه من أجله " وقف عاصف أمام ريحانة للحظة يتأمل ملامحها السمراء وكأنه يفتش فيها عن بقايا وجه صديقه قبل أن يقول بصوت طغت عليه نبرة الحنين:

- لم أكن أعلم أن لأيوب أختًا، ما اسمك ؟!

- ريحانة

قالت ذلك ثم أضافت مستغلة تلك اللحظة التي كان فيها قلب عاصف مفتوحًا:

- أريدك أن تمنحنا الأمان يا عاصف.

لم يقل شيئًا،

فقط اقترب منها، ووضع قبلة على جبينها، كانت قبلة غير مبرّرة، وربما غير لائقة لكنّه لم يُبالِ؛ إنه يرد القبلة التي وضعها أخوها أيوب على جبينه، التفت عاصف نحو أساطير وقال:

- من أجل أخت أيوب أمنحك الأمان.[١٨]

---

١٨ في رواية الجسّاسة، وبعد أن حاك طاغين فخًا دمّر فيه جيش عاصف، ولم يُبقِ له سوى العشرات من فرسانه، وقف أيوب وصرخ بأعلى صوته: " احموا الملك عاصف بكل قوتكم " شكل حينها الفرسان المتبقون من الجيش حلقة دائرية حول عاصف وبدأ القتال .. كان أيوب يعلم أن الفرسان لن يصمدوا طويلًا أمام جيش طاغين الجارف، فالتفت نحو عاصف حينها، وقال:

- يجب أن تهرب من هنا !!

- لا - رد عاصف - أنا لستُ جبانًا لأهرب !!

صفعه أيوب على وجهه وصرخ:

– متى ستتوقف عن كونك صبيًّا طائشًا، وتبدأ بالتصرف كملك؟!

ثم تبّله على جبينه وكأنه ندم على تلك الصفعة، وقال بودّعه:

– عُد إلى القصر وتحصن.

قال عاصف متوسلًا:

– تعال معي.

لكن أيوب ابتسم، وجرّد سيفه:

– لا؛ فأنا الوحيد الذي يستطيع تأخير طاغين عن اللحاق بك.

قالت كوبرا أفعى الجن وهي تُشير نحو القاعة:

- سوف نمضي الآن إلى القاعة، ولكن قبل الدخول، يجب على كل واحدٍ منَّا أن يخلع أحقاده خلف الباب، ليسير الاجتماع كما ينبغي له أن يسير.

وعندما بدا أن الجميع سوف يلتزم بكلمته وبأن المعركة لن تُقام في القاعة، تحرك حجرٌ صغير بجوار الحائط كما لو أن أحدهم كان يزحزحه من الأسفل .. لم تمر لحظات بسيطة بعد ذلك حتى ظهر الحكيم الذي كان يختبئ أسفله .. لقد ظهر الآن بعد أن أيقن بأن حياته لن تكون في خطر وراح يركض بقدميه ويديه حتى تسلق جسد عاصف واستقر فوق كتفه وهو يخفي نصف ملامح وجهه أسفل قُلنسوة قماشية معتقدًا أنه بذلك يمنح نفسه هيبة إضافية:

- كانت لديَّ بعض الظروف التي لم يكن من السهل تجاهلها، وأتمنى ألَّا أكون قد وصلتُ متأخرًا.

ثم أضاف بقول بنبرة مهددة وهو يُخرج من حزامه سيفًا صغيرًا لامعًا صُنع له خصيصًا من معدن رخيص وخفيف ليستطيع حمله:

- هذا السيف يشعر بالعطش أيها السادة، ولا شيء يَروي عطشه غير الدم.

كان يعلم أن أصدقاءه لا يصدقوه؛ ولكنه لا يهتم، قال وهو يلتفت ناحية عاصف:

- هل آذاك أحدٌ منهم ؟!

- لا

- جيد ..

- وأنت - قال وهو ينظر ناحية الشمالي - هل آذاك أحد ؟

- لا أيها الحكيم، شكرًا لسؤالك.

- وأنت - قال وهو يرفع رأسه نحو الأعلى وينظر ناحية إكليل ويسأله:

- هل آذاك أحد ؟

هزَّ إكليل رأسه نافيًا؛ فتمتم الحكيم:

- يا للخسارة !!

تدخلت تارا في تلك اللحظة؛ كانت تعلم أنها لو تركت له المجال للكلام فإنه لن يسكت حتى اليوم التالي؛ لذلك بادرت بأن قالت وهي ترفع رأسها وتنظر ناحية إكليل:

- تعال إلى هنا.

هبط إكليل بجناحيه إلى الأرض ورفع رأسه ينظر إليها:

- هل فهمت المهمة التي كنتُ قد طلبتها منك ؟!

- نعم؛ سوف أحلق عاليًا ولن ألفت الانظار إلي

- لا تعد إلا ولديك معلومة أكيدة، فكل شيء قادم سوف يعتمد على المعلومة التي ستخبرني بها.

اخفض إكليل رأسه في علامة على الطاعة وحلّق من هناك مبتعدًا بينما التفتت كوبرا أفعى الجن إلى البقية وقالت وهي تزحف بجسدها الضخم نحو القلعة:

- اتبعوني من فضلكم ..

**

سار الجميع خلفها فيما استقر الحكيم فوق كتف عاصف جالسًا بطريقة معكوسة وكأنه بذلك كان يحرس ظهره، قال وهو ينظر ناحية نورس:

- أنتِ أيتها الصغيرة ..

نظرت نورس إليه ببراءة فقال:

- ألستِ ذات الفتاة التي طعنت عاصف في صدره بعد انتهاء الحرب[19] ؟

لم تُجب عليه واكتفت بأن هزّت رأسها بعلامة نعم، فقال:

- أنا هنا لمراقبتك أيتها السوسة.

- إذًا عاصف استأجر فأرًا لحمايته من الأعداء ؟

ارتفع حاجبا الحكيم وكأنه يتعجب من طول لسانها؛ لكن ذلك لم يمنعه من الرد:

- أنا لستُ فأرًا؛ بل أسدٌ سُخط إلى فأر.

- لا يهم فأر أو أسد النتيجة واحدة؛ كلاكما حيوان.

ظل صامتًا لبرهة لم يعرف ماذا يقول ثم استدار معطيًا إياها ظهره وهمس بنبرة خافتة:

- بعد أن ننتهي من كل هذا؛ سأقطع لسان هذه الفتاة يا عاصف.

---

١٩ الحكيم هنا يتحدث عن حدث أقيم في رواية السِجيل عندما قامت نورس بعد انتهاء الحرب بين ممالك الأرض العلوية والسُفلية، بالاقتراب من عاصف مستغلة حزنه على موت سرابي وقامت بطعنه غدرًا في صدره.

ارتسمت على وجه عاصف ابتسامة خفيفة وهو يواصل السير خلف كوبرا أفعى الجن تارا، لم يكن واضحًا إن كانت ابتسامته تعود إلى إعجابه بما قاله الحكيم، أم بسرعة بديهة تلك الفتاة الصغيرة والتي تذكره على نحو غريب بنفسه عندما كان بنفس عمرها.

**

ما إن وصل الجميع عند باب القاعة أخيرًا حتى التفت أساطير إلى الوراء وقال آمرًا:

- نورس، ريحانة، ابقيا هنا من فضلكما حتى ننتهي.

نورس بنبرة معترضة:

- ولكن لماذا !!

لم يجبها أساطير ودخل إلى القاعة،

هنا نظر الحكيم إليها وقد رأى بأن لحظة الانتقام جاءت أسرع مما كان يظن، فقال وهو ينظر إليها:

- بكل بساطة؛ لأن الصغار لا يُسمح لهم بالدخول يا عزيزتي.

طلبت كوبرا أفعى الجن من عاصف أن يدخل، ثم بشكل غير متوقع نظرت ناحية الحكيم والشمالي وطلبت منهما البقاء في الخارج مع نورس وريحانة، انصدم الحكيم من ذلك الطلب وقد بدا الاعتراض واضحًا عليه وهو يسأل:

- ولكن لماذا ؟!

كانت صدمته كبيرة وهو يشاهد تارا تتجاهله بينما باب القاعة يُغلق تلقائيًا بوجهه، ولكن صدمته كانت أكبر عندما نظر أمامه فشاهد نورس تحدق إليه وتقول بنبرة ساخرة:

- يبدو بأن الحيوانات لا يُسمح لها بالدخول أيضًا يا عزيزي.

٢

داخل قاعة الأباطرة

في منتصف القاعة كانت هنالك طاولة مربعة منخفضة من حجر رمادي مصقول تُحيط بها مقاعدٌ أرضية من وسائد جلدية داكنة، استقرت تارا أولًا ثم جلس أساطير مقابلًا لها، أما عاصف فظل واقفًا للحظة يتأمل نقشًا صغيرًا على الحائط بدا كأنه قد كُتب في الماضي بيد طفلة، كان الخط متعرجًا غير متوازن لكن الكلمات كانت واضحة:

" جومانا تحب والدها جبَّار، ووالدتها ناج "

ظل عاصف واقفًا يتأمل تلك الكلمات المكتوبة بيد والدته حين كانت طفلة، حتى قاطعه صوت كوبرا أفعى الجن الهادئ منتشلًا إياه من تلك اللحظة:

- اجلس يا عاصف.

ثنى عاصف ركبتيه وهو يجلس إلى جوارها وقد بدا عليه واضحًا للوهلة الأولى أنه غير مرتاح للجلوس في المساحة ذاتها التي يجلس فيها أساطير، لم يكن بوسع كوبرا أفعى الجن أن تتجاهل ذلك السلوك فرمقته بنظرة عميقة وهي تقول:

- حتى إن كنت لا تستطيع أن تخلع عنك مشاعرك السيئة؛ فأريدك أن تضع بعين الاعتبار أن أساطير يكون خالك يا عاصف، وله عليك حق القرابة.

لم يتأثر عاصف بتلك الحقيقة، وكأن ذلك الخبر وحده لم يكن كافيًا لأن يمحو أثر الكراهية المتجذرة في قلبه تجاه ذلك الرجل، ظل صامتًا للحظات عيناه لا تعكسان سوى برود حذر ثم نطق بسؤال واحد كان كفيلًا أن يُحدث الفرق لو أن إجابته جاءت كما كان يأمل:

- أكان يعلم أنني ابن أخته قبل أن يحاول قتل الشمالي وقتلي في الحرب ؟

حاولت الكوبرا التخفيف من حدة الموقف عبر إلقائها إجابة مرضية، غير أن أساطير قطع عليها المحاولة وسبقها قائلًا بنبرة تصادمية:

- نعم كنت أعلم.

حدق فيه عاصف بحدة وقد شعر بكراهية مضاعفة نحوه؛ فلو أن أساطير لم يكن يعرف لكان في الأمر بعض العزاء، لكن أن يُقاتلة وهو يعلم صِلة القرابة بينهما فذلك شيء لا يُغتفر.

تابع أساطير كلامه:

- اسمك يا عاصف كان من أكثر الأسماء بروزًا في صفوف الأعداء ولذلك كان عليَّ أن أبحث عنك قبل الاشتباك معك؛ لأعرف من هو خصمي ومن قد يُطالبني بدمه إن قتلته .. ومن خلال هذا البحث عرفت من تكون.

أدار عاصف وجهه ناحية الكوبرا وقال بصوت مكتوم:

- عن أيَّ صِلة قرابة تتحدثين، وها هو يعترف بأنه كان يعلم من أكون بالنسبة إليه ومع ذلك لم يوفر جهدًا في محاولة قتلي وقتل الشمالي ؟!

لم تعرف تارا كيف تجيبه، ولكن أساطير وفر عليها عناء التفكير بالإجابة:

- لا تنسَ بأننا كنا في ساحة حرب؛ حيث لا مكان فيها للمشاعر، فهناك إما أن أقتلك أو تقتلني .. وقد اقتضت المصلحة يومها أن أقتلك، أما اليوم فالمصلحة تقتضي أن نعمل معًا حتى لا نُقتل معًا.

ظل عاصف صامتًا للحظة وعيناه على الأرض ثم هزَّ رأسه بهدوء وكأنه استوعب الموقف أو اختار تجاوزه مؤقتًا .. رفع بعد ذلك بصره إلى الكوبرا وقال:

- اخبرينا ما هو الوضع الآن، وما الخطة التي لديكِ للمقاومة.

**

الموافقة

قالت تارا تستهل كلامها:

- الخطة تبدأ من خلال سؤال منطقي واحد لابد أنه خطر ببال بعضكم وهو: لماذا رغم أن حكم الزمهرير شمل جميع نسل جبَّار الأباطرة إلا أله استثنى منه جومانا ؟ ..

ثم أردفت تارا دون أن تنتظر جوابًا من أحد:

- الجواب هو لأنها محمية بحصانة العرش؛ فأصحاب العروش محصنون ضد أحكام الزمهرير.

سأل عاصف:

- أتقصدين لأنهم يمتلكون جيوشًا للمقاومة ؟

- لا؛ فحتى جيوش الملوك قد تتساقط كالورق أمام قوة تلك العائلة، ولكن السبب هو أنه حين اجتمع ملوك الأرض السبعة قبل قرون وأجمعوا كلمتهم على تسليم عائلة الزمهرير سُلطة الحفاظ على توازنات الأرض اشترطوا عليهم: أن تظل العائلات الملكية بمنأى عن الأحكام التي قد يطلقونها في المستقبل.

قال أساطير وقد فهم المطلوب:

- إذًا لمقاومة الزمهرير ليس أمامنا إلا الحصول على أحد العروش؛ فنحمي أنفسنا منهم بحصانة العرش.

- نعم؛ ولدينا عرش محدد يا أساطير وأنت تعرفه جيدًا.

بنبرة مترددة سألها:

- تقصدين الحصول على عرش مملكة أبابيل ؟

- ليس الحصول، بل استعادة ما كان لنا - ثم نظرت إليهما بجدية مطلقة وقالت:

- لقد انقلبت موازين اللعبة؛ فالعرش الآن لم يعد إرثًا قديمًا تريدان استعادته لأنه كان يخص أجدادكما في الماضي، بل أصبح الآن هو السبيل الوحيدة لمواصلة الحياة .. فإن أردتما النجاة وحقن الدماء، وإنقاذ من حولكما من أحباب وأصدقاء فعليكما أن تعملا معًا من أجل استعادة عرش الأباطرة.

تبادل عاصف وأساطير النظرات للحظة، لم يكن صمتهما ذاك يعني التردد بل يعني الموافقة، ولكنها الموافقة التي لا تُنطق لأنها لا تأتي بالاختيار إنما بسلطة الأمر الواقع .. لقد وجد الاثنان نفسيهما الآن في مغامرة لم يرغبا بالدخول فيها؛ فعاصف لا يرغب في العرش، وأساطير لطالما ابتعد عنه طوعًا، لكن إن كان ذلك هو الحل الوحيد فإنهما لن يتراجعا؛ سيفعل عاصف ذلك من أجل أمه جومانا .. أما أساطير فإنه سيفعل ذلك من أجل نورس؛ إنها لعنة التقدم في العمر؛ فكلما كبُر المرء صار يتخذ قراراته الكُبرى لا من أجل نفسه بل من أجل من يحبهم.

نطق الاثنان بكلمة واحدة، خرجت منهما في الوقت نفسه دون اتفاق مسبق:

- موافق.

وهنا قالت كوبرا أفعى الجن:

- طالما أنكما وافقتما على خوض هذه المعركة فأعتقد أنه لا حاجة لجعل الآخرين ينتظرون في الخارج أكثر.

وما إن أتمت جملتها حتى انبعث صرير خافت من جهة الباب قبل أن ينفرج الباب من تلقاء نفسه ويُفتح؛ فقد صُمم كل شيء في تلك القلعة بتعاويذ تجعل الأشياء تستجيب من تلقاء نفسها لأوامر من يمتلكون الصلاحية.

- ليدخل الجميع.

٣

خطة للمقاومة

جلس الجميع حول الطاولة الحجرية بينما انصبت نظراتهم نحو الشمالي الذي قال يشرح الخطة .. الخطة التي سبق وأن ناقشها مع كوبرا أفعى الجن وأخذ الإذن منها قبل أن يستعد لقولها أمام الجميع:

- سننقسم إلى ثلاثة أقسام: القسم الأول يتجه نحو سلسلة الجبال المحرمة، وهناك وبالتعاون مع الأميرة آشاس يبدأ هذا القسم باستدعاء القبائل الموالية وتجهيز الجيش الذي سنحارب به طاغين .. الأشخاص الذين سوف يُنفذون هذه المهمة هم تارا وريحانة.

ثم تمهل الشمالي قليلًا حتى يسمح بالتدخل إن كان لدى أحد من الحاضرين شيء ليقوله، ولما لم يتدخل أحد باعتراض أو اقتراح فإن الشمالي التفت نحو تارا وطلب منها:

- أخبريهم بما نقلته إليَّ، ثم سأنتقل إلى القِسم الثاني من الخطة.

قالت كوبرا أفعى الجن تخبرهم بجدود علمها فيما يخص التعويذة التي ألقتها في الماضي:

- أنا أعلم كيف تعمل تعويذة نصف البرزخ .. إنها تُعزز الجسد بروح أخرى، بحيث إذا مات الجسد يُمكنه - ووفق طقوس معقدة - أن يعود إلى الحياة بواسطة الروح البديلة .. ولكن وبعد تفعيل التعويذة واستخدام الروح البديلة لا أعلم ما الذي يحدث للذاكرة .. لا أعرف إن كانت تعود كما كانت أم أنها تُمحى أو تُشوّه - ثم أضافت تخبرهم بالأدوات التي يملكونها على أرض الواقع:

- لدينا شخص داخل قصر مملكة أبابيل .. شخص لا أحد يعرف عن وجوده، إنه من الحاشية الملكية، آخر فرد ما يزال يحمل في قلبه ولاء خالصًا لعائلة الأباطرة، يتخفى بين رجال طاغين ويؤدي له واجبات الطاعة كأي تابع مخلص، لكن كل ما يراه أو يسمعه هناك ينقله إلينا ..

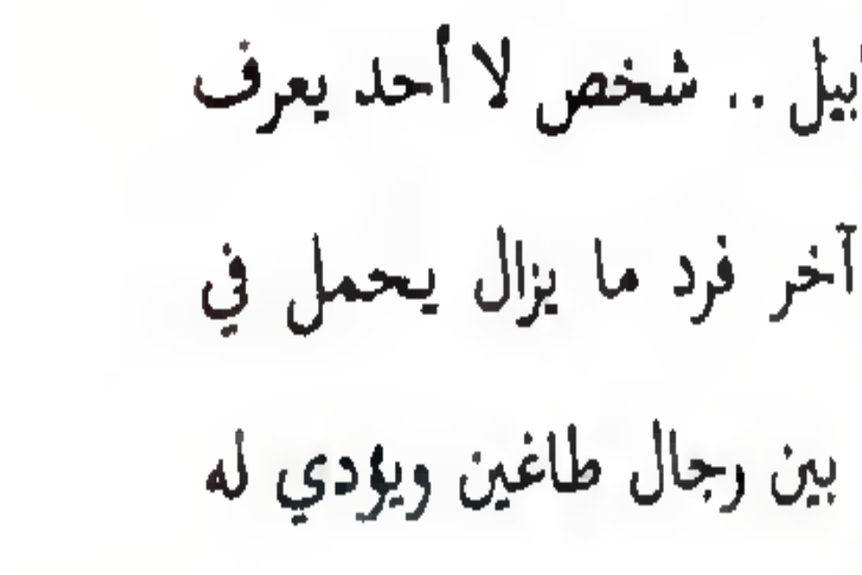

واصلت نارا تقول:

- وقد نقل إلينا هذا الشخص مؤخرًا خبرًا شديد الأهمية وهو أن جومانا لا تتذكر شيئًا عن ماضيها بالفعل .. ولكنه حتى هذه اللحظة لا يعرف ما إذا كانت ذاكرتها قد مُسحت بسبب التعويذة، أم أن طاغين قام بمسحها عمدًا وإيهامها بأنها زوجته.

عند هذا القدر توقفت تارا عن الكلام،

بينما التفتت الرؤوس نحو الشمالي الذي واصل قائلًا:

- وهنا يأتي دور القِسم الثاني من الخطة .. سوف يتسلل فريق إلى قصر المملكة دون أن يشعر به أحد، هذا الفريق لن تكون مهمته القِتال بل إحياء الذاكرة .. يجب أن نصل إلى جواماتا قبل أن تندلع الحرب يجب أن نجعلها تتذكر أو على أقل تقدير أن نُزعزع يقينها في الحياة الزائفة التي تعيشها .. هذه المهمة بالذات سوف تكون مفتاح الحرب أو الهزيمة لأننا لن نستطيع بأي حال من الأحوال خوض حرب مفتوحة ضد طاغين بينما جومانا لا تزال محتجزة لديه، هذه المهمة سوف أتولاها أنا ويرافقني فيها الحكيم ونورس وطائر العنقاء إكليل.

لم يكن الشمالي هذه المرة بحاجة لأن يمنحهم لحظة صمت حتى يرى إن كان هنالك من يرغب في التداخل معه؛ حيث استدار أساطير نحوه وقال بحدة وصرامة:

- نورس ؟! .. هذا مستحيل، لن أسمح لها بالمشاركة !!

قالت تارا:

- أنا وافقت على مشاركتها في الخطة.

- أنتِ العقل المدبر للمقاومة، ومسموح لكِ أن تقرري أي شيء بشأن الخطة، لو قلتِ أساطير يقفز إلى النار، فسأفعل ذلك دون تردد، ولكن لا أحد مسموح له أن يُقرر شيئًا يخص نورس غيري.

تدخلت نورس قائلة وهي تنظر إليه:

- ثِق بي؛ سأكون بخير.

- لا؛ فأنتِ ما تزالين صغيرة !!

انفجر الحكيم بصوت غاضب:

- كانت معك في الحرب الأخيرة يا رجل وقد طعنت عاصف بصدره، فهل هذه الفتاة كبيرة بما يكفي للقتال في المعارك الكُبرى وصغيرة على أن التسلل خِلسة إلى القصر ؟!!

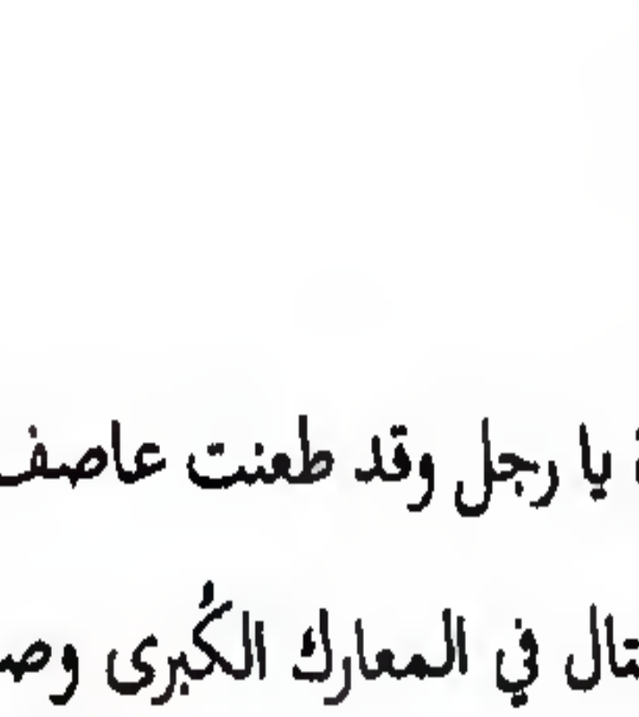

– نورس أقحمت نفسها يومذاك في الخطر دون إذني، أما الآن فلن أسمح بتكرار ما حدث – ثم قال بصوت أعلى: إن كنتم تُصرون على ذلك؛ فأنا أعلن انسحابي الآن ..

وكاد أن ينسحب بالفعل لولا عاصف الذي تذكر تلك اللحظة ابنته التي فقدها قبل سنوات، قال متفهمًا القلق الذي يشعر به أساطير تجاه ابنته:

– إنها كل ما تملك يا أساطير أليس كذلك ؟

– نعم؛ إنها كل ما أملك.

– ونحن نُضحي أيضًا بكل ما نملك لأجل احتواء هذه الأزمة، أعلم بأنك قلقٌ عليها، ولكنني أؤكد لك بأن الحكيم والشمالي وإكليل سيضعون أعناقهم دونها فيهلكوا جميعًا قبل أن يُصيبها جرح بسيط أو مكروه عابر.

كان الشمالي يستطيع استبعاد نورس من الخطة؛ لكنه يعرف أنها ابنة عاصف؛ فقد كان هو الشخص الوحيد الذي أخبرته تارا بالحقيقة، وهذا ما جعله يقترح إدخالها ضمن الفريق؛ فربما يكون لحضورها هناك أثره الخفي على جومانا .. الأثر الذي ربما لا يفسره منطق أو عقل؛ فجومانا وإن لم تعرف أن نورس حفيدتها إلا أن الأرواح قد تشعر بما لا تدركه الأذهان أحيانًا .. نظرة واحدة من نورس إليها ربما تكون قادرة على فعل ما لا يستطيع ألف خطاب أن يفعله.

مرَّ وقت طويل نسبيًا وأساطير ما يزال مترددًا ما بين المواصلة والانسحاب، حتى قرر أخيرًا أن عليه استخدام عقله وعدم اقحام مشاعره في هذه المسألة:

- خذوها معكم، ولكن ردوها إليَّ.

هنا قفز الحكيم وقد وضع يده على صدره:

- لا عليك، سنردها إليك سواء قطعة واحدة، أو كانت قطعتين، المهم هو أن نردها إليك.

تدخلت ريحانة وهي تنظر إلى الحكيم وتقول:

- إنني أملك موهبة معرفة الأشخاص، وأستطيع أن أنظر إلى قلبك وأعلم بأننا نستطيع الاعتماد عليك.

ارتجف الحكيم للحظة قبل أن يقول متأثرًا بالثقة الممنوحة:

- أعدك بروحي يا أخت أيوب أن أحافظ عليها، وأن أي خطر سيواجهها سأضع إكليل بدلًا عنها.

- انتبه إليها جيدًا - قال أساطير - فإنها غبية ومتهورة.

- لا عليك فنحن نمتلك الخبرة الكافية بالتعامل مع مثل هؤلاء الأشخاص - وأضاف وهو ينظر نحو عاصف: فهنالك صاحبٌ لنا أحمق بمثل هذه المواصفات تمامًا.

**

وبعد أن اتفق الجميع على تلك المهمة - مهمة التسلل إلى القصر - حانت اللحظة لينتقلوا إلى القسم الثالث والأخير من خطة المقاومة، فنظر الشمالي نحو أساطير وعاصف وقال وهو ينظر إليهما بعمق وكأنه يريد أن يقيس أثر كلماته عليهما:

- سوف تذهبان معًا إلى مملكة الجِن والبِن.

عاصف بدهشة:

- وما هو المغزى من ذلك ؟

- لتطلبا منهم الانضمام إلينا في حربنا ضد طاغين.

- ولماذا تعتقد أنهم قد يلبون الطلب، ويوافقوا على الانضمام ؟

- لقد انتصر عليهم طاغين في الحرب الماضية ولا بد أنَّ لديهم ثأرًا يريدون تحصيله.

لم يعجب ذلك التبرير عاصف الذي قال:

- هذا ليس سببًا كافيًا؛ فالثأر قد يأخذوه في الزمن والمكان الذي يختارونه لاحقًا - وأضاف كمن يحشر خصمًا في زاوية ضيقه:

- فإما أن لديك سببًا آخر لم تطلعنا عليه بعد أو أنك لم تُحسن تقدير هذه المهمة.

الحكيم متدخلًا:

- يؤسفني أن أقول بأن عاصف خيّب ظني، وقال شيئًا عاقلًا.

اخذت تارا نفسًا عميقًا قبل أن تقول:

- اخبرهم بما تفكر فيه أيها الشمالي.

انصبت أنظار الجميع نحو الشمالي الذي أخبرهم بما يفكر فيه:

- أنا .. أعتقد .. بأن .. سرابي .. ليست .. ميتة ..

**

لم ينبس عاصف بكلمة ولكن عينيه اتسعتا وكأنهما تبحثان عن تفسير يبرر تلك الكلمات بينما هزّ الحكيم رأسه في استنكار وذهول وهو يقول:

- هل أصبح الأموات مؤخرًا يعودون إلى الحياة بشكل تلقائي ؟! .. مزة تعود جومانا والآن سرابي لم يعد ينقصنا إلا أن يقول أحد بأن تاج قد عادت إلى الحياة أيضًا !!

الشمالي:

- أما جومانا ابنة جبَّار فلها مسألة مختلفة، لقد أُعيدت إلى الحياة بتعويذة محددة، نعرف من ألقاها وتحت أي ظرف تم إلقاؤها عليها، لكن سرابي لها وضع مختلف.

الحكيم:

- ماذا تقصد بوضع مختلف ؟! .. هل عادت بالواسطة ؟!

- لا، ولكنني أعتقد بأنها لم تمت أصلًا !!

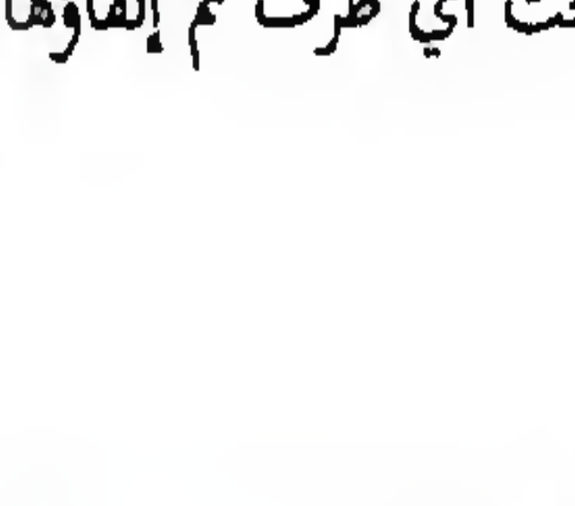

- أأنت أحول أم لديك إعاقة سمعية ؟!! .. ألم تكن مشاركًا معنا في رب عندما أعلن جيش مملكة الجن والبن خبر موتها ؟! .. ألم تسمعهم دما صرخوا فجأة بصوتٍ واحد " ماتت الملكة " ألم تكن هناك حين لوا جثمانها وانسحبوا به ؟!

- سمعت، ولكنني لم أتحقق من هوية الجثمان بنفسي؛ فربما يكونوا د حملوا جثة شخص آخر وادّعوا أنها جثة سرابي.

الحكيم منفعلًا:

- في المرة القادمة سنطلب منهم إرسال الجثامين إليك، جثمانًا جثمانًا لتتأكد من هويات المقتولين قبل أن يعلنوا عنها.

نورس متدخلة: لماذا أنت غاضب كل هذا القدر أيها الحكيم ؟!

- لأن ما يقوله الرجل الكنعد غير معقول - ثم صمت فجأة وقال بطريقة هجومية بعد أن انتبه:

- وما دخلكِ أنتِ ؟!!

هنا كشّر فرخ التنين رعد عن أنيابه وهو ينظر للحكيم الذي التفت إليه وهو يقول:

- لم يكن ينقصنا إلا هذه السحلية !!

كاد أساطير أن يضحك ولكنه استطاع أن يمنع نفسه:

- اهدأ يا رعد - قالت نورس وهي تحتويه - لكي لا يعضك هذا الفار فتصاب بالجرب.

كاد الشجار أن ينشب بين الحكيم ونورس لو لا أن مدت ريحانة يدها لتُمسك بالحكيم وتضعه فوق كتفها في تصرف أشبه بتصرف الأخت الكبرى عندما تحتوي أخويها قبل أن ينشب الشجار بينهما، ثم قالت وهي تنظر للشمالي:

- وإذا افترضنا أنك محق في فرضيتك أيها الشمالي .. وأن سرابي كما تقول لم تمت .. فكيف تفسر إعلان جيش مملكة الجن والبن موتها ؟

- أظن أنها خطة انسحاب يا ريحانة - قال الشمالي - خطة انسحاب تحفظ للجيش ماء الوجه بعد الهزيمة التي كانت في طريقها إليهم ..

كان كلامه مقنعًا، ولكنهم كانوا ما يزالون غير قادرين على تصديقه، ما حدا بكوبرا أفعى الجن تارا لأن تشارك في دعم فرضية الشمالي، فتقول معززة رأيه:

- سرابي لم تكن محاربة عادية أيها السادة .. إنها واحدة من أقوى ساحرات الأرض السُفلية .. فكيف تموت فجأة ؟! .. كيف تموت دون قِتال، دون خصم معروف .. ودون أن يرى أحدٌ سقوطها ؟!!

كان عاصف صامتًا طوال الوقت،

مئات من الأفكار والأسئلة تطن برأسه كطنين النحل، الحكيم وهو ينظر ناحية الشمالي:

- ألا يوجد احتمال أن تكون فرضيتك خاطئة، وأن تكون سرابي ميتة، فنقوم بتعريض عاصف وأساطير إلى خطر التواجد في الأرض السُفلية دون سبب وجيه ؟

وفي الوقت الذي كان فيه كل فردٍ منهم يتمنى أن يسمع من الشمالي ما يوحي له بمدى ثقته بالفرضية التي طرحها، إلا أنه قال:

- نعم، هنالك احتمال أن أكون مخطئًا، وتكون سرابي ماتت بالفعل.

الحكيم وهو يشد فروة رأسه:

- وماذا سوف يفعلان حينها يا عبقري زمانك ؟!!

- سوف يتصرفان للخروج من المأزق مثلما سأتصرف أنا وأنت وإكليل ونورس في حال فشلت خطتنا.

- لحظة !! .. وهل خطة التسلل إلى القصر معرضة للفشل ؟!

- بالطبع؛ فنحن لا نعلم ما الذي قد يُصادفنا هناك ولم نحسب حسابه.

اطرق الحكيم يفكر قليلًا قبل أن يقول:

- من الجيد أنك اخبرتني؛ لأرتدي البنطال الأسود.

نورس:

- ولماذا بنطال أسود ؟

قال الحكيم مسارعًا قبل أن يفضحه أحد:

- إنه لباس الحرب يا صغيرة؛ فكل الأعداء يعرفونني بالحكيم الشرس ذي البنطال الأسود.

لم تقتنع نورس بإجابته ولكنها سكتت بينما قال الشمالي:

- كان هذا كل ما عندي لأقوله يا تارا.

.قالت كوبرا أفعى الجن وهي توزع نظرها على الجميع:

- هل لدى أحدكم سؤال قبل أن ننتقل للمرحة الأخيرة ؟!

فجأة رُفعت يد صغيرة في الهواء، كانت يد نورس التي قالت:

- أنا عندي سؤال لكِ يا سيدة أفعى

- تفضلي

- ما هي المهمة التي سيتولاها رعد ؟ فلا أراه مدرجًا بأي مجموعة من المجموعات الثلاث !!

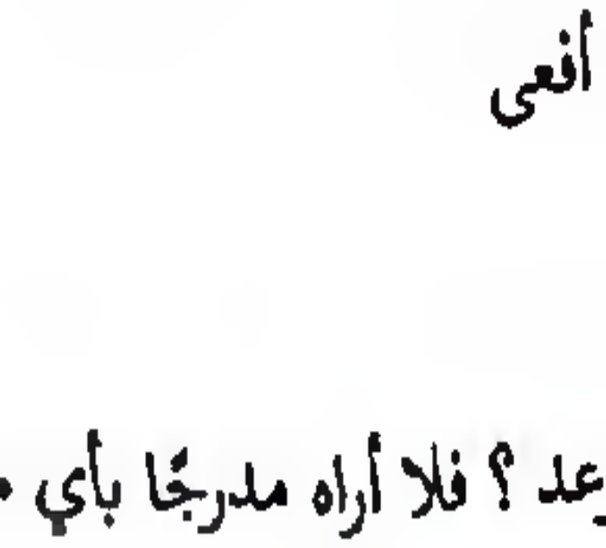

قال الحكيم وقد فاض به الكيل:

- ليُفهمها أحدكم بأننا لا نخطط للذهاب إلى نزهة !!

ابتسم بعضهم وضحك آخرون، لكن واحدًا فقط كان ينظر إليها ! يضحك، لقد كان أساطير الذي ظل يراقبها بإعجاب شديد وحب تقطع النظير.

عادت نورس تكرر سؤالها:

- ما هي مهمة رعد يا سيدة أفعى ؟!

وعندما لم تجد تارا إجابة مناسبة فإنها التفتت نحو الشمالي:

- أجب عليها، وأخبرها عن مهمة رعد

أدرك الشمالي في تلك اللحظة أن التزامهم بتنفيذ الوعد الذي قطعوه لأساطير قد بدأ منذ هذه اللحظة؛ فالاعتناء بها لا يعني فقط حمايتها من الخطر الذي قد يهدد حياتها، بل يمتد ذلك حتى يشمل سلامة مشاعرها:

- تعلمين أن مهمة القصر ستكون خطيرة يا نورس أليس كذلك ؟

هزّت رأسها بالإيجاب، فأكمل:

- ولا أظنك تريدين أن تعرضي حياة رعد للخطر ؟

- معك حق، ولكن أين سيكون إذًا أثناء غيابي عنه ؟

- عندما دخلتم القلعة لاحظت أنه كان يستقر فوق كتفي ليحميه، أليس كذلك.

- نعم صحيح.

- إذًا هل تظنين بأنها قادرة على الاعتناء به ؟

- نعم إنه يُحبها ويرتاح إليها.

- إذًا سوف تكون مهمة رعد هي الذهاب مع ريحانة وتارا نحو سلسلة الجبال المحرمة والبقاء هناك من أجل مساعدتهم في إقناع القبائل بالانضمام إلى جيشنا في حربنا ضد طاغين

- موافقة - قالت وهي سعيدة - فرعد لدية قدرة رائعة على التفاوض والإقناع !!

الحكيم مؤيدًا:

- أنا واثق من أنَّ لديه قدرة رائعة على الاقناع.

نورس وهي غير مصدقة ذلك الكلام الذي تسمعه من الحكيم:

- أتظن ذلك فعلًا ؟!

- نعم، وإلا لما كان استطاع أن يُقنعكم أنه تنين وهو ليس إلا سحلية معونة.

وقبل أن ينشب بينهما الشجار المعتاد، سمع الجميع أصوات رفرفة جنحة تقترب من عمق القلعة، تلا ذلك مشهد طائر العنقاء إكليل وهو يدخل عليهم القاعة ويهبط إلى فوق الطاولة الحجرية وعيناه مثبتتان نحو كوبرا أفعى الجن ويقول:

- لقد فعلتُ كما أمرتِ يا سيدة تارا.

- أخبرني إذًا، وكن دقيقًا في وصفك، فكل ما هو قادم يعتمد على ما ستقوله.

**

وبعد أن انتهى إكليل من إخبارها بكل ما شاهد ورصد تحولت كوبرا أفعى الجن إلى هيئة بشرية - وقد اختارت أن تكمل مشوارها القادم وهي بتلك الصورة لسهولة الحركة، بالإضافة إلى أن بقاءها على هيئتها الضخمة كأفعى كوبرا جن لا بد أن يلفت الأنظار إليها، وهو ما لا تريده في المرحلة القادمة - سارت تارا نحو أحد الحوائط وما إن اقتربت منه حتى انشقّت أحجاره كاشفةً عن درجٍ سري يحوي بجوفه مجموعة من الخرائط الملفوفة ..

لم تكن تارا مضطرة للتفتيش بين الخرائط؛ إذ تحرّكت ورقتان ملفوفتان من تلقاء نفسيهما وقفزتا نحوها مدفوعتين بقوة السحر التي بُني عليها كل شيء في القلعة، فمدّت يدها والتقطتهما، ثم عادت إلى الطاولة الحجرية ونشرت الخريطة الأولى فوق الطاولة وهي تقول للشمالي: " عند هذه الهضبة تجد باب السرداب " ثم قلبت الخريطة وأخذت تُحدّد عليها بعض النقاط بعناية، وكأن العلامات التي ترسمها الآن كانت مستمدة من المعلومات التي حصلت عليها قبل قليل من وصف طائر العنقاء، وحين فرغت من ذلك، دفعت الخريطة إلى الشمالي، قائلةً وهي تشير إلى نقطة محددة فيها:

- سيأخذكم السرداب إلى هنا - ثم وهي تشير لنقطة أخرى: وهنا تجد الفتحة التي ستقودكم إلى الحُجرة.

الشمالي وهو يطوي الورقة ويُمسكها بيده ويُتمتم:

- مفهوم.

ثم مدّت تارا الخريطة الأخرى فوق الطاولة، وأخذت تُوضح المسارات، وكيفية التحرك وفقًا للخطة حتى يصل كل فريق إلى وجهته ويُنفذ المهمة المطلوبة منه.

**

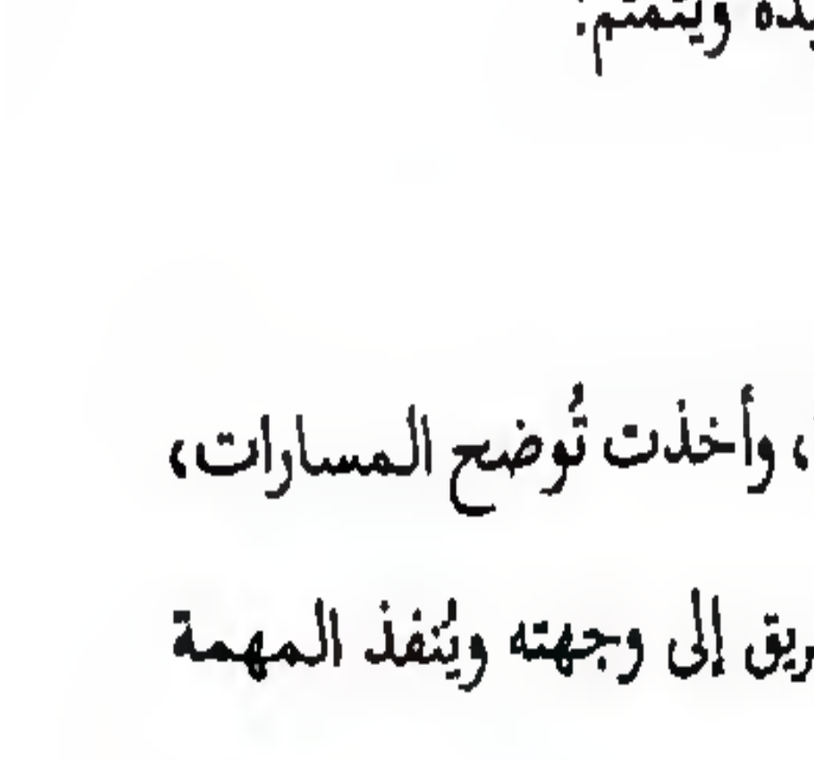

مع حلول المساء وقفت تارا عند بوابة القلعة الخارجية وأخذت إقب الفريقين حتى غادرا أرض الغابة المظلمة، كانت عيناها تلمعان بمزيج غامض ما بين القلق والأمل، فيما انساب صوتها بهمسٍ وافئ:

– رافقتكم السلامة.

كان الهواء ساكنًا والبوابة خلفها – بوابة القلعة – قد أُغلقت، بينما ريحانة تقف إلى جوارها وعلى كتفيها يستقر فرخ التنين .. استدارت تارا وقالت:

– هيا بنا ..

– أي طريق سوف نسلك ؟

مدت تارا يدها بثقة وهي تُردف قائلة: امسكي يدي ..

ما إن تلامست اليدان حتى تموج الهواء حولهما كأن شرخًا خفيًا انفتح، تلا ذلك ضوء خاطف .. ثم دوامة لحظية .. اختفت معها تارا وريحانة وفرخ التنين رعد.

.. المهمة الأولى ..

تارا، ريحانة، فرخ التنين رعد

فتحت ريحانة عينيها بعد لحظات .. كانت الريح الباردة تضرب وجهها، والضباب يلتف حول ساقيها وهي تقف فوق قمة شاهقة وتحتها تمتد سلسلة الجبال المحرمة .. تلك الدهشة لم تستمر طويلًا حيث قالت لها تارا:

- اتبعيني نحو الكهف؛ فخلفه تنهض مدينة الأشاوس.

على فوهة الكهف كان هنالك أربعة قناطير ضخام يعكفون على الحراسة، ما إن شاهدوا المرأة السوداء تقترب ولمحوا بؤبؤيها الطوليين ولاحظوا تموجات حراشفها من خلال جلدها حتى عرفوا أنها نارا؛ فأحنوا لها رؤوسهم في احترام، وأفسحوا لها ولمن معها الطريق .. دخلت نارا فوهة الكهف وخلفها ريحانة، ولكن ما إن خطتا فيه بضع خطوات حتى لمحت ريحانة التي كانت تسير خلفها - لمحت من زاوية عينها - أحد الحراس الأربعة وهو يستعد لفعل شيء ما .. ثم فجأة ومن دون إنذار، انقض ذلك الحارس على نارا بضربة من الفأس الكبير الذي كان يحمله مستهدفًا المنطقة الخلفية من رأسها ..

- نارااااا !!!

صرخت ريحانة بكل قوتها وهي تُخرج سيفها وتعترض الضربة لتُحيدها عن هدفها وتجعل نصل الفأس الضخم يرتطم بالحائط الحجري للممر، سقط فرخ التنين رعد من فوق كتفها وتدحرج على الأرض .. انقض القناطير الثلاثة الآخرون نحو نارا دفعة واحدة وكأنهم تلقوا أمرًا بقتلها مهما حدث .. حاولت ريحانة التصدي لهم، ولكن كوبرا أفعى الجن نارا اعترضتها قائلة:

- دعيهم ..

ثم ضربت الأرض ببطن قدمها ضربة واحدة فانبعثت هالة موجية، سقطت القناطير الأربعة كلٌ في مكانه أرضًا وفي اللحظة ذاتها سقط شخص غامض كان يستقر فوق قمة جبل بعيدة تُطل على فوهة الكهف، لا أحد يعلم من كان، ولا لماذا كان هناك ..

انحنت ريحانة على رعد لتطمئن عليه ثُم حملته بين ذراعيها وهي تسأله بلهفة:

- أأصبت بأذى ؟

نظر إليها فرخ التنين بنظر ممتنة؛ فأدركت أنه بخير، ثم التفتت إلى تارا وسألتها:

- هل نحن نتعرض لخيانة من الأميرة آشاس ؟

الحقيقة التي لم تخبر تارا بها أحدًا هو أن الأميرة آشاس لم تكن ترغب في إنقاذ عاصف من البداية، فحين ذهبت إليها تارا لتطلب مساعدتها في إنقاذه من منصة الاعدام، قالت لها الأميرة آشاس بصوت حاد وكأنها اتخذت قرارًا لا رجعة فيه:

- لن أُعرّض قبيلتي للخطر يا تارا.

لم تتفاجأ تارا كثيرًا؛ فقد توقعت شيئًا كهذا ولذلك كان كلامها حاضرًا:

- لم يكن طاغين ليتوقف عن محاولة سحقكم أيتها الأميرة آشاس والاستيلاء على جبالكم لو لا وساطة بحر وأيوب في الماضي[٢٠].

وهنا قاطعتها الأميرة، وقد بدا في عينيها ضيق قديم:

- وقد سدّدت ما لوالده " بحر " من دَين حين عرَّضت قبيلتي للخطر أكثر من مره لأجل إنقاذه .. ولكن هذا العاصف مشاكله لا تنتهي، إنه متهور يا تارا ولن يتوقف عن إلقاء نفسه في التهلكة قبل أن يقضي على كل من يقف معه !!

ربما لو كان أمام تارا وقت إضافي لكانت ستفكر بحل آخر، ولكن الوقت يوشك أن ينفد وليس أمامها حل إلا أن تستعين بالأميرة آشاس وقبيلتها؛ لذا قالت بهدوءٍ مدروس وهي تطرح هذه الصفقة:

- ما رأيكِ في أن تتحولي من قبيلة متمردة، إلى مملكة شرعية ؟! .. أليس هذا ما تطمحين إليه منذ زمن، أيتها الأميرة ؟

تغيّرت نظرة آشاس وهي تسأل:

- وكيف سيحدث هذا ؟

---

٢٠ يُذكر في رواية أبابيل أن بحر وأيوب هما من أقنعا الملك طاغين بالتوقف عن محاولة الاستيلاء على أرض الأشاوس، ومنذ ذلك الحين وقبيلة الأشاوس تحمل هذا المعروف لبحر وأيوب.

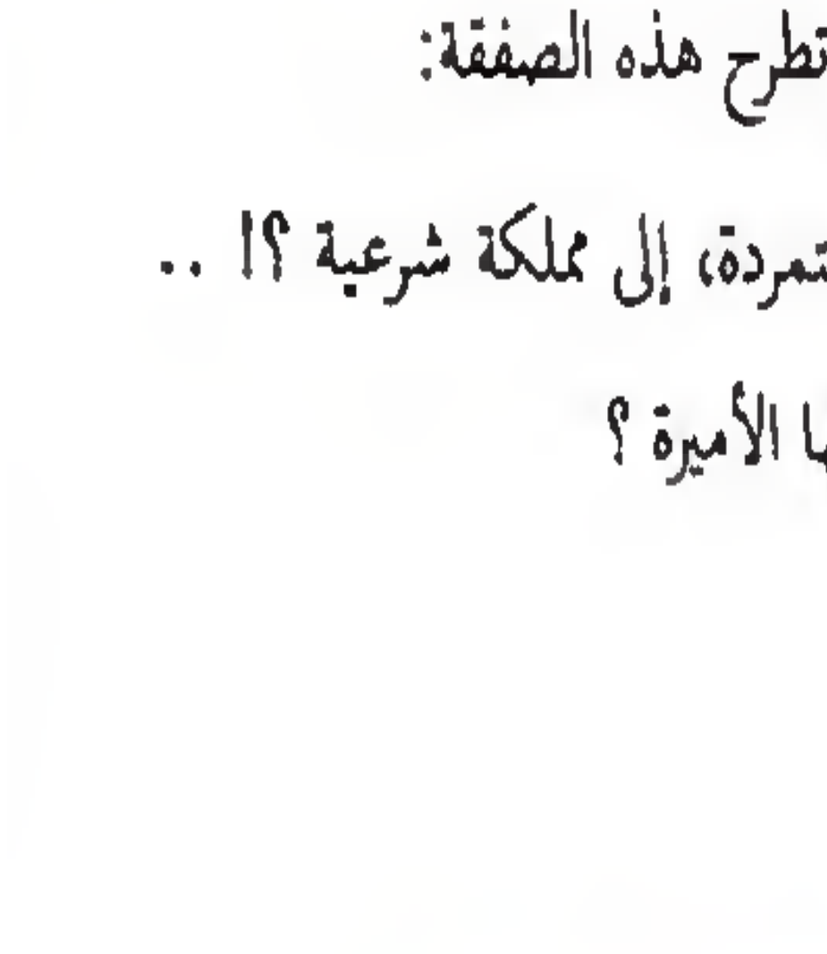

في تلك الأثناء كانت تارا تعلم بأن خبر عودة جومانا إلى الحياة سيصل إلى عائلة الزمهرير عاجلًا أم آجلًا، وتعلم مسبقًا بأنهم سوف يحكمون على عائلة الأباطرة بالفناء؛ فهذه طريقتهم في إلقاء الأحكام منذ عقود؛ إنهم لا يكتفون بعقاب الشخص بل بالحكم على جميع أفراد سُلالته بالفناء حتى يضمنوا اجتثاث الشر من جذوره .. وكانت تعلم أن السبيل الوحيدة لمقاومة حكمهم تكمن في استعادة العرش؛ وهذا ما جعلها تقول:

- سوف تتحرك الأباطرة من أجل استعادة العرش، وإذا عاد إليهم فإنني أقسم لكِ بقبر سيدي جبّار أن أفعل كل ما يلزم، لأضمن لكِ ولأفراد قبيلتك استقلالية شرعية أبدية، ولكن هذا لن يحدث إلا إذا تم إنقاذ عاصف اليوم من منصة الإعدام.

وهكذا تم عقد الصفقة، تُقاتل آشاس حتى النهاية، في مقابل الحلم الذي طالما راودها: أن تكون مملكة مستقلة ذات سيادة شرعية.

ولكن ما حدث الآن - من هجوم أولئك القناطير الأربعة - على تارا عند فوهة الكهف يضع العقل في الكف .. هل عقدت الأميرة آشاس اتفاقًا مع طرف آخر فأمرت مقاتليها بتصفية تارا، أم أن هنالك سببًا آخر ؟! ..

- اتبعيني يا ريحانة، لنعرف الإجابة بأنفسنا ..

الممر

كان الممر مضاءً بواسطة فوانيس مثبتة على الجدران تبعث إضاءة من لهب واهن، فيما حُفرت على جدرانه نقوش منحوتة تجسد قوة الأشاوس وهيبتهم؛ تقدمت الاثنتان عبر الممر بصمت قطعته تارا بعد لحظات قائلة:

- ذلك القنطور الذي اعترضتِ فأسه يا ريحانة ..

- ما به ؟

- كان يفوقكِ قوة وحجمًا. وكان من الممكن أن يكسر سيفك بفأسه ويقتلك، ورغم ذلك لم تترددِي لحظة في حمايتي منه.

- هنالك حكمة تعلمتها من والدي.

- ما هي ؟

- الفتاة السمراء لا تترك أصدقاءها.

ابتسمت تارا عندما سمعت تلك العبارة:

- إنها ذات الجملة ..

- أي جملة ؟

- التي كان يقولها أخوكِ أيوب لصديقه بحر.

ولما كان الشيء بالشيء يذكر، واصلت تارا تقول:

- ونِعم الرجل كان أيوب - ثم أردفت وكأن الذِكرى غلبتها:

- في آخر أيامه كانت لديه أمنية.

- ما هي ؟

- أراد أن يتزوج ويُنجب ابنًا ذكرًا، ليس لأنه يُفضل الذكور على الإناث ولكن لكي يُسميه " بحر " على اسم صديق عمره، بحر والد عاصف.

أحست ريحانة بطريقة غريزية بأن تارا لم تأتِ بذكر ذلك الموضوع عبثًا، لا سيما في وقت مثل هذا، ولكنها صمتت ولم تسألها عن السبب حتى اعترفت تارا:

- إذا انتهت هذه الحرب وسارت الأمور كما نرجو، سوف يُصبح من الواجب عليكِ أن تُحققي تلك الأمنية بدلًا عن أخيكِ.

قالت ريحانة:

- تقصدين أن أتزوج ؟

- نعم، وتُنجبين صبيًا تُطلقين عليه اسم بحر - وأضافت - بحر الصغير.

- ولكنني لا أفكر في هذا الأمر.

قالت تارا بنبرة ملتوية:

- ولكن نظراتكِ إليه كانت تقول شيئًا آخر.

- إلى من ؟

- إلى أساطير وليس إلى الحكيم طبعًا

احمرّت وجنتا ريحانة على الفور حتى كادت الحمرة تُرى رغم سُمرة بشرتها الداكنة، كانت تعلم أن تارا تتحدث عن أساطير، فحاولت صرف الموضوع قائلة:

- لا أعلم عمَّا تتحدثين.

- العين هي نافذة الروح يا ريحانة وقد رأيتُ من خلال عينيكِ كل شيء.

لم تراوغ؛ كانت تعلم أن الكذب لن يُجدي نفعًا مع مخلوقة مثل تارا، فقالت:

- ولكنني لست جميلة كفاية لأُلفت نظر شخص مثل غيَّاث.

هنا توقفت تارا في منتصف الممر واستدارت نحوها؛ كان وهج الفانوس يسقط على وجهها من جانب واحد مما يُضفي وقارًا إضافيًا على ملامحها:

- هذه فضيلة أن يختار قلبكِ رجلًا خاض الحب مرة.

- ماذا تعنين ؟

- الرجل قبل أن يخوض الحب يظن أن الجمال هو كل شيء، لكن بعد تجربته الأولى يُدرك أن الجمال شيء تعتاده العين ويُصبح شيئًا عاديًا بعد مدة، وألَّا شيء يظل محتفظًا ببريقه الأبدي غير جمال الروح.

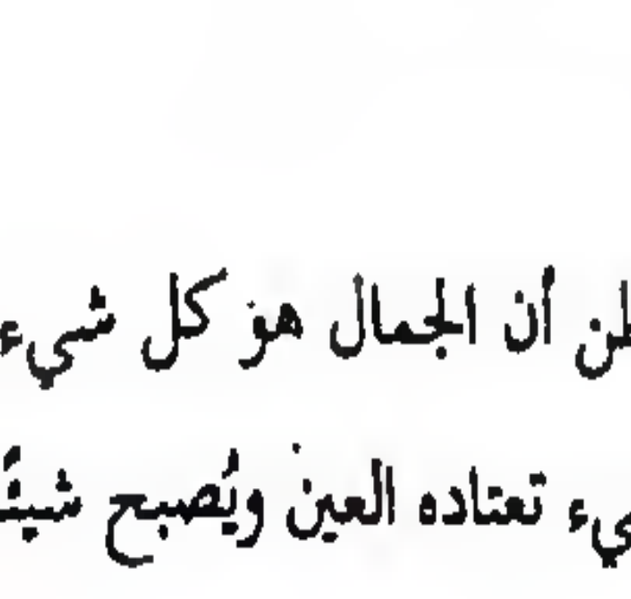

ثم وضعت يدها برفق على كتف ريحانة وقالت:

- روحكِ طيبة يا أخت أيوب .. وأساطير لن يجد من هو أجمل منكِ ليرتبط بها.

- أنا .. لا أعرف ما يجب علي أن أقوله.

- لا شيء - قالت تارا وهي تواصل السير - اتبعيني فقط ..

**

واصلتا السير حتى وصلتا نهاية الكهف حيث تنهض مدينة الأشاوس على مد البصر، عظيمة، شامخة تتوزع مبانيها بشكل يُفصح عن مدى الانتظام والعِلم الذي وصل إليه سكان المدينة، وقد أحسّت ريحانة بشيء من الرهبة وهي ترصد جمال المدينة؛ حتى أن فرخ التنين رعد قد أحس بتلك الرهبة وأخذ يتلفت يمينًا ويسارًا، وكأنه يستشعر هيبة المكان.

في تلك اللحظة هبطت الأميرة آشاس أمامهم وهي تقول:

- أهلًا بكما، وبالتنين الصغير أيضًا.

قالتها بابتسامة مهذبة ثم ما لبثت أن تقلصت ابتسامتها عندما وقعت عيناها على ريحانة التي بدا عليها التعب، وذاك الغبار الخفيف على ملابسها:

- هل اعترضكم شيء ؟!!

- نعم - قالت ريحانة - لقد هجم علينا حرّاس الكهف.

آشاس غير مصدقة:

- هل قلتِ بأن جنودنا هجموا عليكم ؟!!

قالت تارا بصوت قوي وهي تنظر إلى الأميرة وعيناها تلمعان وكأنها كانت في تلك الأثناء تستخدم قوة خفية لتسبر أعماق الأميرة:

- أخبرينا بالحقيقة يا آشاس.

دون تردد وبصوت واثق قالت الأميرة وقد أدركت ما كان بنفس تارا من شك:

- أقسم لكِ بسلسلة الجبال المحرمة أنني لم أخنك يا تارا.

هنا فقط أدركت تارا من يكون ذلك الشخص الغامض الذي سقط من فوق الجبل حين ضربت الأرض بقدمها، لقد كانت ساحرة أرسلها طاغين لتتحكم بعقول حراس الكهف الأربعة ليقتلوها على حين غفلة، فقالت تفسر لهم الأمر:

- لا بد أن طاغين عرف بتحركنا؛ وهو من أرسل إحدى ساحراته لقتلي؛ لذلك يجب أن ترسلي وِحدة استطلاع فورية تقوم بمسح المنطقة وإزالة أي خطر محتمل.

- سوف أفعل ذلك، وسأُعزز حراسة الكهف بمجموعة من القناطير الأقوياء لنضمن عدم قدرة ساحرات طاغين على اختراق عقولهم مهما حاولوا.

أثناء ذلك الحوار كانت ريحانة صامتة، وهي تُطيل النظر نحو المدينة في الأسفل بينما ملامحها تعكس قلقها الداخلي، كان الخوف قد بدأ يتسلل إلى صدرها .. ليس خوفًا على نفسها مما هو قادم بل خوفًا على الآخرين؛ فقد كُلفت هي وتارا ورعد بالمهمة الأسهل ومع ذلك كانوا على وشك أن يلقوا حتفهم قبل لحظات عند فوهة الكهف، فما الذي ينتظر أولئك الذين يحملون على عواتقهم مهمات أشد وأصعب: غيَّاث، نورس، عاصف، الشمالي، الحكيم، طائر العنقاء إكليل .. هل سيعودون جميعًا ؟! .. أم أن الموت سيخطفهم، أو على الأقل سيخطف بعضهم، إنها لا تعلم الرب وحده يعلم ..

.. المهمة الثانية ..

.. الشمالي، الحكيم، نورس، طائر العقاء إ كليل ..

سارت المجموعة بصمت على الطريق،

يتقدمهم الشمالي وبيده اليُمنى يُمسك الخربطة التي أعطته إياها نارا، فكان يسير مسترشدًا بها، يتتبع العلامات تحت ضوء القمر حتى بلغوا حافة هضبة صخرية كان موج البحر يتلاطم بعنف تحتها، قال وهو يحدّق في الأفق:

- كدنا نصل.

تساءل الحكيم بضجر:

- نصل إلى أين؛ فأنا لا أرى شيئًا غير هذا البحر الأبله !!

نورس متذمرة:

- يا إلهي حتى البحر لم يسلم من لسانه !!

- ماذا ؟! - قال الحكيم بصوت الباحث عن شِجار - أقلت شيئًا يا ذات اللسان الطويل ؟

- لم أقل شيئًا

قالت ذلك ثم أردفت وهي تنظر نحو طائر العنقاء وهي تغمز:

- أليس كذلك يا إكليل ؟

إكليل الذي لا يملك الحس الفكاهي البشري، قال وقد أخذ السؤال على محمل الجد:

- بلى قلتِ: حتى البحر لم يسلم من لسانه.

الحكيم بصوت المنتصر:

- هاها !! إكليل لا يكذب؛ فأنا الذي قمت بتربيته بنفسي !!

نورس وقد فاض بها الكيل:

- فأرٌ مجنون !!

- مجنون نعم، فأر لا !! .. قولي الحكيم المجنون !!

كاد الشجار أن يندلع بينهما لولا الشمالي الذي قطعهما بصوتٍ جاد وهو يحدق إلى الخريطة بيده:

- كل قصر في هذا العالم ومهما كان تحصينه قويًا إلا أنه لا يخلو من سرداب سري يُنقذ العائلة المالكة عند وقوع الكوارث .. وقد اعطتني نارا الخريطة التي تُحدد مكان السرداب.

نورس تتساءل ببراءة:

- وهل السرداب مفتوح الآن ؟

- نعم يا عزيزتي - قال الحكيم - تستطيعين الدخول بدفع بعض الرسوم الرمزية؛ هذه خدمة توفرها مملكة أبابيل للأشخاص الذين يرغبون بالتسلل إلى القصر خِلسة لقتل الملك.

بدأ الشمالي يضرب الأرض بكعب قدمه،

مره ..

ثم ثانية ..

ثم ثالـثة ..

ورابعة وخامسة في أماكن متفرقة، الجميع كانوا يراقبونه دون أن يفهموا ماذا يفعل حتى توقف فجأة وقد بدت عليه الحيرة، ما دفع الحكيم ليساله عن سر ذلك التصرف:

- ما الذي كنت تفعله ؟!

- أفتش عن المدخل؛ فالخريطة تشير إلى أننا نقف تمامًا فوق الباب، لكنني ضربت بقدمي كل مكان ولم أسمع أي صدى يُشير إلى الباب.

- بالطبع لن تجده بهذه السهولة؛ فمن خلال معرفتي بك وبعاصف أستطيع أن أُخمن بأن الأمر لن يكون بهذه البساطة، وأن هنالك خازوقًا محترمًا ينتظرنا !!

عاد الشمالي يتفحص الخريطة مدققًا في تفاصيلها علّه يعثر على شيء كان غائبًا عنه، ولكن كل شيء كان صحيحًا؛ إنهم يقفون تمامًا فوق النقطة المحددة .. لكن في تلك اللحظة حدث شيء قلب موازين الإدراك بعقله: فقد ارتفع صوت الموج فجأة بعد أن ارتطم بالصخور من تحتهم مما سبب ذبذبة خفيفة تحت أقدامهم وجعله يقول بنبرة صوت من عثر على حل لغز صعب:

- صوت الأمواج !!!

أخذ الحكيم يُنصت لصوت الموج قبل أن تتسع عيناه وهو يقول وقد عرف الأمر:

- إنه الخازوق المنتظر !!

هنا تدخل إكليل وقد فهم الأمر:

- صوت الأمواج يرتد من تحتنا، وهذا يعني أن هنالك تجويفًا أسفل هذه الهضبة !!

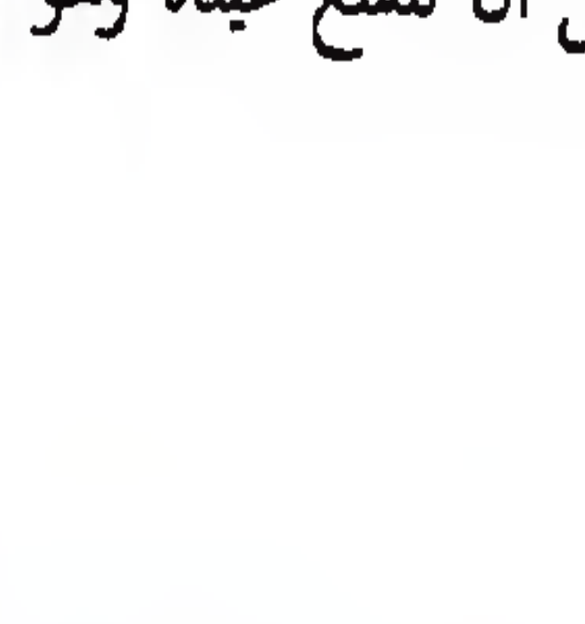

قالت نورس التي لم تفهم حتى الآن:

- وما الذي يعنيه ذلك ؟!

الشمالي:

- هذا يعني أن هنالك كهفًا مغمورًا بالماء أسفل هذه الهضبة تمامًا، وإن صحت الخريطة فباب السرداب الذي نبحث عنه يقع داخل هذا الكهف.

نورس مندفعة بحماسة الجهل:

- لنقفز إلى البحر إذًا، ثم نغوص إلى الأسفل حتى نصل الكهف ونبحث فيه عن باب السرداب.

- اقتراح جميل - قال الحكيم - ثم ندفع المبلغ الرمزي وندخل.

- لماذا تبدو غير راضٍ عن هذا الاقتراح أيها الحكيم ؟!

- لأنني نسيتُ أن أجلب ثيابًا للسباحة يا نورس !!

- سأذهب وحدي إذًا ..

قالت ذلك ثم اندفعت نحو الحافة لتقفز منها ولكن الشمالي تصرف بسرعة، فمد غِمد سيفه وأمسك بها من طرف سترتها الخلفية؛ فارتدت إلى الوراء قبل أن تقفز كأنها قطعة من القماش معلقة على علاقة ملابس.

الحكيم معلقًا وهو يمسك رأسه بيديه:

- يا إلهي !! .. إنها عاصف ولكن النسخة النسائية !!

نظرت نورس إلى الشمالي بوجه عابس وهي ما تزال معلقة على غِمد سيفه:

- لماذا أوقفتني ؟!

- هذا البحر مسكونٌ من قِبل وحوش وُضعت هنا للحماية الملكية؛ كان يُمكن لأحدها أن يُدخلكِ إلى جوفه قبل حتى أن يلمس جسدكِ الماء.

- ليت ذلك حدث - قال الحكيم - وأراحتنا الوحوش منها !!

- وما الحل إذًا - نورس معترضة - هل سنرجع أدراجنا ؟!

الشمالي وهو يُجلسها أرضًا:

- أنا سأقفز.

نورس:

- ولماذا تعتقد أن الوحوش لن تأكلك ؟!

الحكيم مجيبًا:

- لأن لحمه مر.

الشمالي وهو يشاركهم ما يفكر فيه:

- هل تذكر أيها الحكيم ذلك الطور الغريب الذي تحولتُ إليه داخل بحر ذي النون ؟

- نعم؛ عندما تحولت إلى سمكة كنعد.

- بالضبط؛ وهذا ما سوف اعتمد عليه الآن

نورس مقاطعة: ولكنني لم أكن معكما؛ فهلّا بتبرع أحد لي بشرح ما يحدث !!

الحكيم لكي يغيظها:

- قصة مرعبة، لا ينبغي قولها للصغار.

- لا تقلق أيها الحكيم فأنا لا أُبلل ملابسي من الخوف، ولو كنت كذلك لارتديتُ بنطالًا أسود مثلك؛ لكي أُخفي البلل عن أعين الآخرين.

التفت الحكيم نحو إكليل بشكل تلقائي وقال له:

- هل أخبرتها بسر البنطال الأسود ؟!!

- نعم؛ لقد سألتني وأخبرتها بالحقيقة.

- توقف عن اخبار الآخرين بسر البنطال الأسود؛ فلم يتبقَ عليك إلا أن تُعلق لافتة على جسدك، وتطير بها ليراها جميع سكان مملكة أبابيل.

نورس بفضول الصغار: أخبروني بقصة بحر ذي النون !!

الحكيم وهو يلتفت نحو الشمالي: اخبرها وأرحنا من إلحاحها !!

بدأ الشمالي يروي لها القصة وبشكل مختصر:

- كنا في مهمة بحرية للوصول إلى مملكة تدعى " أغاريب " وهي مملكة تقوم تجارتها على حفظ وتخزين أموال ممالك الأرض، فتكسب جراء تلك الخدمة فوائد مالية كُبرى .. تلك التجارة يا نورس جعلت مملكة أغاريب تضع قوانين صارمة ضد الغرباء وتفترض أن كل زائر يذهب إليهم دون دعوة رسمية هو لصٌّ محتمل؛ لذلك فعندما غصنا إلى أعماق البحر ووصلنا إلى حدود مملكة أغاريب اعترضنا الحرَّاس وسألونا عن سبب الزيارة، أخبرناهم حينها بأننا جئنا للقاء الملكة " إنكال " وبعد جهد طويل وافقوا على تلبية الطلب.

الحكيم متدخلًا:

- ولكن تلك الحورية الحارسة الحمقاء ضربتني فجأة بدون سبب، وأخرجتني من فقاعة الهواء التي كنتُ اتنفس بداخلها أسفل الماء.

لم تصدق نورس فسألت:

- تضربك بدون سبب ؟!!

- لقد مزحتُ معها مزحة خفيفة .. ولكن يبدو بأن تلك الحورية لا تملك حِس الفكاهة.

لم تصدق نورس ما قاله الحكيم، والتفتت بتلقائية ناحية الشمالي لتقول له:

- أخبرني عن السبب.

قال الشمالي يُفسر لها ما حدث:

- بعد أن وافقت الحورية على تلبية طلبنا، قال لها الحكيم "خذونا إلى الملكة إسهال" بدلًا من أن يقول إلى الملكة إنكال. تلك الحورية لم تأخذ التلاعب باسم الملكة من باب المزاح واعتبرتها إهانة لا تُغتفر؛ فوجهت إليه ضربة بعقب رمحها أطاحت به خارج فقاعة الهواء وقذفته بعيدًا.

هنا ارتجف جسد الحكيم وبان عليه اضطراب خفيف؛ وكأن ذاكرته استعادت لحظة الضربة تلك التي اخرجته يومها من أمان الفقاعة إلى أعماق المحيط؛ فتنحنح بهدوء حتى لا يكشف أحدٌ مشاعره ثم انسحب من هناك وهو يهمس:

- سوف اذهب لاستنشاق بعض الهواء

بعد مغادرته، التفتت نورس نحو الشمالي وسألته:

- وماذا حدث بعد ذلك للحكيم ؟

- ضاع في أعماق المحيط وقد كنت حينها لا أزال داخل فقاعتي حين سمعت صوتًا غريبًا بداخلي يطلب مني الخروج للحاق به .. لم أكن أجيد السباحة يا نورس؛ وكنت أعلم أنني سأغرق في اللحظة التي أغادر فيها الفقاعة ومع ذلك خرجت منها .. وما إن غمرني الماء حتى شعرت بشيء في جسدي يتغير.

لامس الشمالي بكلماته شيئًا في نورس؛ فهي هجينة أيضًا وتفهم معنى تلك الكلمات جيدًا؛ فسألت باهتمام أكبر:

- شيء يتغير بجسدك ؟

- نعم؛ لقد شُقت ثلاث فتحات هنا - قال وهو يشير إلى أسفل أذنه اليُمنى ثم اليسرى - استطعت التنفس من خلالها .. وتحولت قدماي بعد ذلك إلى ذيل طويل ينتهي بزعنفة عليها وشوم مضيئة ما إن شاهدنها الحوريات الحارسات حتى احنين لي رؤوسهن بإجلال وإكبار .. لم أتساءل وقتها عن السِر الذي جعلني أتحول إلى هذه الهيئة، ولا السر الذي جعلهم يُحنون إلي رؤوسهن وهم يشاهدون الوشوم على الزعنفة، بل سبحتُ بكل قوتي مقتفيًا أثر الحكيم .. ورغم الظلام الدامس وملوحة الماء إلا أنني كنت استطيع الرؤية بوضوح وكأنني كائنٌ خُلق ليعيش في الماء.

- وأنت حتى هذه اللحظة لا تعرف سِر ذلك التحول ؟

- ربما يأتي اليوم الذي أبدأ فيه رحلة اكتشاف هذا السِر، ولكن كل ما أعرفه حتى اللحظة هو أن الوشوم المضيئة في ذيلي تُشير إلى انتمائي لنسل له قُدسية خاصة؛ لقد سمعتُ الملكة إنكال بنفسها بعد أن التقينا بها لاحقًا في قصرها القابع أسفل المحيط وهي تقول " حُبًا وكرامة يا ابن نسل الأسيار " .. الأكثر غرابة من ذلك الأمر يا نورس هو أفراد حاشيتها الذين ما إن سمعوا بمعلومة أنني واحدٌ من نسل الأسيار حتى سجدوا إليَّ احترامًا.

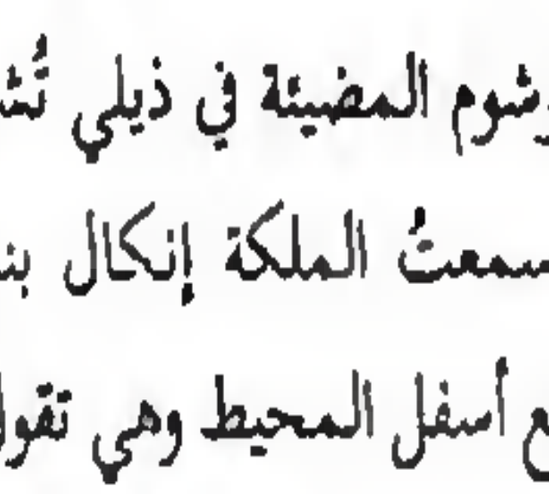

صمت الشمالي قليلًا وهو يرفع بصره ويُحدق نحو البحر الفاصل بين الهضبة التي يقفون عليها وبين جزيرة الأرباب التي ينهض عليها قصر مملكة أبابيل:

- تقول الأسطورة أن هنالك مئات الوحوش البحرية التي وُضعت لحماية هذه الجزيرة .. الطريقة الوحيدة التي أمامنا هي أن نراهن على أن تلك الوحوش سوف تتعرف أيضًا على النسل الذي انتمي إليه وأنها سوف تسمح لنا بالوصول إلى الكهف ثم إلى باب السرداب دون أن تُهاجمنا.

- إذًا سوف تقفز أولًا ثم تأمرنا بالقفز بعدك ؟

- نعم؛ فيجب أن أتأكد بأن الطريق آمن ثم سأطلب منكِ ومن الحكيم اللحاق بي، أما إكليل - وتوقف الشمالي هنا عن الكلام بعد أنه انتبه إلى أن هنالك من يجب عليه الاستماع إلى تفاصيل الخطة غير نورس فقال:

- بالمناسبة أين ذهب الحكيم وإكليل يا تُرى ؟

**

الحكيم

جلس الحكيم وحده منعزلًا فوق صخرة منخفضة على طرف الهضبة وأخذ يحدق في سواد البحر الممتد أمامه وهو يسترجع في ذاكرته تلك اللحظة التي قُذف فيها بعيدًا في أعماق بحر ذي النون، حينها لم يكن الحكيم يخشى من الموت ..

بل كان يخشى من أن يموت وحيدًا ..

الحقيقة أنه ورغم تذمر الحكيم المستمر من هذه المهمات التي تنطوي على مخاطر شديدة إلا أنه كان راضيًا عنها في أعماقه ولا يريدها أن تنتهي؛ فهي الشيء الوحيد الذي يضمن له أنه لن يكون وحيدًا؛ كان يعلم بأنه طالما استمرت هذه المغامرات فإن الجميع: عاصف، الشمالي، إكليل سوف يظلون معه .. لكن ماذا لو انتهى كل شيء ؟! حينها ربما سوف ينشغل كل فردٍ منهم بشؤونه الخاصة فيعود للعيش وحيدًا في منزله دون صحبة، كما كان قبل أن يطرق عاصف باب منزله قبل سنوات في قرية الجساسَّة طالبًا مساعدته في تشخيص حالة والدته المتوفاة وتبدأ أحداث أعظم مغامرة في حياته كلها.

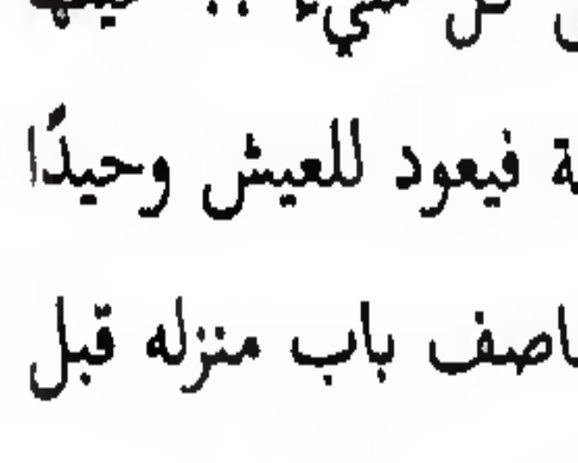

وبينما كان الحكيم ما يزال يجلس فوق الصخرة المنخفضة وهو يطيل النظر في البحر الأسود أمامه إذ حط طائر العنقاء إكليل إلى جواره وفرد جناحه فوقه بهدوء وكأنما كان يضمه إليه .. رفع الحكيم بصره إلى الأعلى ونظر إلى عيني الطائر الحادتين، وسمعه يقول:

– أتعرف معنى الهيلانا ؟

واصل إكليل يقول بينما الحكيم ينظر إليه منكسرًا:

– هيلانا أيها الحكيم تعني العائلة التي يختارها الشخص لنفسه حين يكبر.

بدأت الدموع تتجمع في مُقلتيه بينما إكليل يقول:

– أنا وأنت هيلانا واحدة للأبد.

عندها لم يستطع منع نفسه وبكى.

**

في تلك اللحظة وبينما الحكيم يبكي سمع وقع خطوات تقترب، إنها أقدام الشمالي ونورس؛ فقفز فورًا من مكانه وابتعد عن إكليل حتى لا يراه أحد وهو بتلك الحالة الضعيفة وقال وهو يصيح ملوحًا بيديه ويغالب صوت بكائه:

– يا إكليل لا تخف .. .. لا تخف يا عزيزي أرجوك .. .. ساكون معك وسأحميك لو هاجمتنا الوحوش البحرية !!!

نظر إليه إكليل نظرة حب؛ فهو يدرك أن الحكيم لا يريد لأحد أن يرى حزنه.

قال الشمالي يُطلعهم على سير الخطة:

ـ سأقفز إلى الماء لأستكشف الطريق؛ وإن كان آمنًا ساعطيكم الإشارة لتلحقوا بي نحو السرداب ..

تساءل إكليل:

ـ ماذا عني ؟! .. هل سأقفز إلى البحر معكما ؟!

ـ لا ـ قال الشمالي ـ سوف تبقى أنت في الجو لتعود إلى الغابة وتخبر الآخرين في حال فشلت الخطة ـ ثم أضاف يُخبرهما بإشارة الأمان: تلويحة بيد واحدة تعني اقفزا، أما التلويحة بيدين تعني أن هنالك ما يستدعي إلغاء الخطة.

نورس تراجع وراءه:

ـ بيد واحدة سنقفز، بيدين لن نقفز.

الحكيم:

ـ لحظة، دعنا نفكر بخطة أخرى لا تتسرع.

الشمالي مبتسمًا وهو ينظر للحكيم:

ـ أتخشى عليَّ ؟

ـ نعم أخشى عليك ـ ثم بسرعة كمن يريد التراجع عن اعترافه:

ـ أقصد أنني أخشى علينا؛ فأنت قائدنا ولو انتهيت طعامًا في جوف وحوش البحر فمن سيقود الرحلة من بعدك ؟

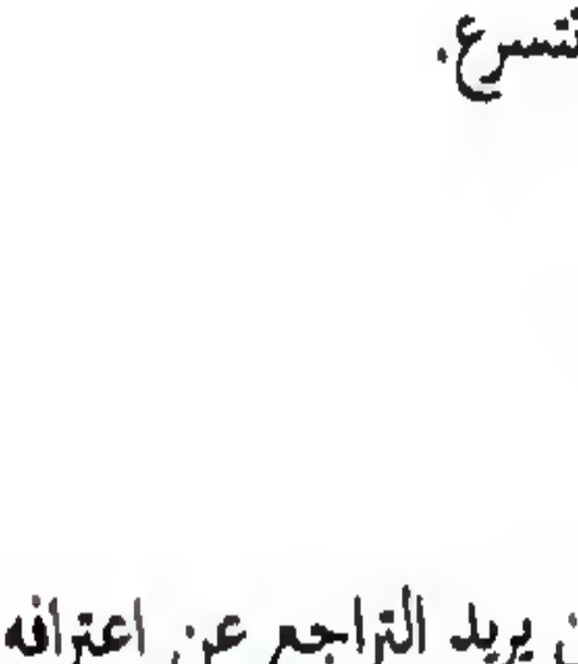

اقترب الشمالي من حافة الهضبة وهو يقول: " إذا مت، سوف تُلغى الخطة، وتعودون جميعًا إلى الغابة المظلمة " ثم أخذ ينظر إلى البحر المظلم الهائج من تحته دون أن يبدو عليه أنه سوف يغير رأيه، اعترف الحكيم بصدق لأول مرة:

- أنت تعلم أنني أحبك.

- وأنا أحبك رغم بذاءة لسانك.

قال وهو يشده من طرف ردائه الطويل:

- لا تقفز أرجوك، ألستَ تخاف على نفسك أيها الأحمق ؟!!

- بالطبع أخاف - ثم أضاف الشمالي وهو يرفع طرف ردائه ليكشف عن البنطال الذي كان يرتديه تحت الرداء: ولهذا أتيت إلى هذه المهمة مرتديًا بنطالي الأسود الخاص مثلك.

قال ذلك مبتسمًا ثم قفز دون أن يمنحه فرصة ليقنعه بتغير الخطة.

**

وفي اللحظة نفسها - بعد أن قفز - انزاحت ورقة شجرة صغيرة كانت تستقر خلف صخرة قريبة منهم، دُفعت بخفة من قدم شخص في الظلام كان يراقبهم من بعيد ..

@ART_OF_BOOK

الأعماق

اخترق الشمالي سطح الماء بجسده،

وما كاد أن يستقر فيه للحظات يسيرة حتى بدأ جسده يستجيب للتحول: ثلاث فتحات دقيقة شقت جلده أسفل أذنه اليمنى ثم اليُسرى وبدأ الهواء يتدفق إلى داخله من خلال تلك الخياشيم ثم بدأت قدماه تلتصقان ببعضهما البعض لتستحيل إلى زعنفة طويلة عليها نقوش مضيئة.

فتح عينيه أسفل الماء،

ثم رغم الظلام الدامس المُدقع، إلا أن الشمالي كان يستطيع أن يرى كل شيء بوضوح: الصخور المتآكلة .. بعض الأسماك الصغيرة والشعب المرجانية، وقد بدا في تلك اللحظة أن هنالك شيئًا بداخله – ربما تكون غريزة خاصة بنسل الأسيار – بدأت تعطيه إشارات لتوخي الحذر بسبب وجود كائنات خطيرة تسبح بالقرب منه.

دفع الشمالي جسده بحركة واحدة من الزعنفة فانطلق يشق طريقه بثقة مثل رمح مائي .. حتى اقترب من الجدار الصخري أسفل الهضبة وبدأ يبحث عن الكهف حتى رآه وولج إلى داخله وبدأ يتنقل بخفة عبر التجويف الصخري الغارق، يتفحص جدرانه ويمر على صخوره المغطاة بالشعب المرجانية، ويلمح بقايا عِظام مخلوقات بحرية طُمست ملامحها بالطحالب، ثم وسط أحد الممرات الضيقة لمحت عيناه فتحة صغيرة بين الصخور كأنها فم مخلوق ضخم فدفع بجسده نحوها دون تردد وعبر منها؛ وإذ به يدخل حُجرة غريبة في عمق الكهف كانت مغمورة بالماء، لكن في نهايتها ظهرت رقعة يابسة مرتفعة قليلًا وفي قلب تلك الرقعة وجد ما كان يبحث عنه:

إنه باب السرداب.

الأعلى

حيث الحكيم ونورس وطائر العنقاء

في الأعلى - أعلى الهضبة الصخرية - كان الحكيم ونورس يحدقان بترقب في سطح البحر، بينما طائر العنقاء إكليل يحوم على ارتفاع شاهق يراقب المنطقة بحذر حتى لا يجذب الأنظار إليه من حرس الجزيرة.

لم يمضِ الكثير من الوقت حتى لمح الحكيم شيئًا يظهر على سطح البحر:

- انظري - قال - إنها الإشارة.

نورس وهي تنهض من مكانها وتدقق النظر:

- إنها تلويحة بيد واحدة؛ لقد وجد الشمالي الباب والطريق آمن !!

- أكره الماء الباردة - الحكيم وهو يستعد - ولكن هيا !!

ثم ركضا نحو الحافة وقفزا في آن واحد ..

**

وبينما كانت أجسادهما تهوي في الفراغ انتبها على الخدعة: حيث خرجت من سطح البحر ثلاث رؤوس قاتمة بملامح أنثوية مشوّهة وعيون تتوهج بلون البحر الداكن وأسنان طويلة بارزة من تحت الشفاه، ما جعل نورس تصرخ:

- ما هذه الكائنات هناك ؟!

أدرك الحكيم أنهما وقعا في فخ السائرات[٢١] البحرية المتعطشات للدم، فالشخص الذي كان يراقبهم في الأعلى قبل قليل كانت إحدى هذه المخلوقات .. وقد سمعت الإشارة المتفق عليها؛ ولذلك استخدمتها الآن من أجل الإطاحة بهما !! .. التفت الحكيم ناحية السماء - وهو يهوي ناحية البحر - واستطاع أن يصرخ طلبًا في النجدة:

- إكلللليييل !!!!!

ما إن انتبه طائر العنقاء لما يجري حتى حوّل مساره واندفع مثل صاعقة من الغضب، مخترقًا الهواء بجنون قاصدًا التقاطهما بمخالبه قبل أن يمسا سطح الماء ..

---

٢١ السائرات: هو تعريب اخترته للكلمة الأجنبية "Sirens" أو " السايرينات " المذكورة في الأسطورة الإغريقية، وهن نساء متوحشات يُشبهن الحوريات حيث لهن نصف علوي بشري ونصف سُفلي يشبه الأسماك، اخترتُ لهن هذا الاسم " السائرات " لأنهن " يسِرن " البحر بحثًا عن الشر والخراب وعن فرائس يصطدنها.

، تأخر بلحظة، لحظة واحدة فقط كانت كافية لتجعل إحدى
ت تقفز من البحر وتمد ذراعيها الطويلتان لتخطف نورس
م ثم تسحبهما نحو الأعماق .. لم يتوقف إكليل وغطس في
وقام بنفث موجة من نار .. لم تكن نارًا من لهب وإلا لما كانت
ت داخل الماء ولكنها نارٌ منبعثة من قلب خائف .. وسرعان
نف عن الغوص وهو يضرب الماء بجناحيه المبللين ليعود إلى
اء محلقًا يدور في حلقات جنونية وهو لا يتمنى في تلك اللحظة
لحياة إلا بأن تكون إشارته قد وصلت إلى الشمالي ..

**

أسفل الماء

حاولت نورس استخدام قوتها الخاصة للنجاة، ولكن الربكة التي
نت عليها والماء الذي يغمرها والضغط الذي بدأ يُحاصرها وهي
نطف مع الحكيم نحو الأعماق منعها من استحضار التركيز الكافي
شعال قوة النار في قلبها ..

وبينما السائرات يتجهن إلى القاع فرحين بوجبتهن السهلة لم ينتبهن إلى ذلك الجسد هائل السرعة القادم من خلفهن بزعنفته المضيئة بالوشوم، ليقوم بتمزيقهن بسيفه الطويل الحاد الأشبه بسيوف الساموراي إلى أشلاء صغيرة ونثر دمائهن في مياه البحر المظلمة مثل سحابة من حبر أحمر، أمسك الشمالي بنورس والحكيم بقوة واندفع بهما نحو السطح ليرفعهما فوق الماء للحظة حتى يستنشقا بعض الهواء ويُطمئن إكليل الخائف بأن إشارته قد وصلت ..

**

داخل الكهف المغمور

.. أسفل الهضبة ..

كانت نورس تلهث فوق البقعة اليابسة داخل الكهف والماء يقطر من شعرها ووجهها وهي تقول برعب:

- ما الذي كُن يفكرن به تلك اللعينات ؟!!

الحكيم مستلقيًا على ظهره وهو يقاتل ليلتقط أنفاسه:

- لا بد أن جاذبيتي أغرتهن؛ إنها لعنة أن يكون المرء وسيمًا.

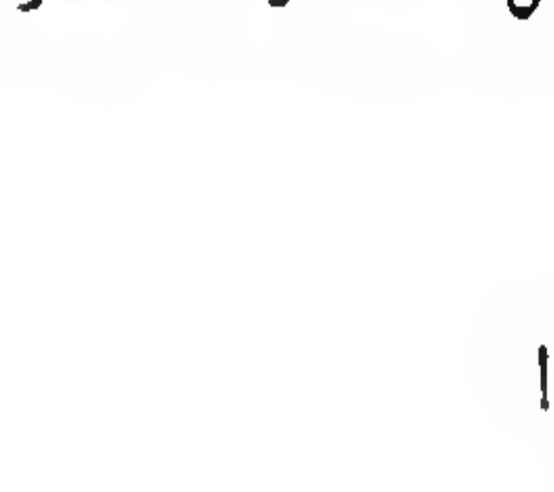

نورس وهي تنظر إلى الشمالي الذي كان ما يزال في الماء:

- كيف عرفوا بشأن الإشارة ؟! أهي صدفة ؟!

الشمالي وهو يصعد إلى اليابسة وجسده يتحول إلى هيئته البشرية تدريجيًا، حيث الزعنفة الكبيرة ذات الوشوم المضيئة تتراجع إلى قدميه، والخياشيم تُغلق خلف أذنيه:

- لا أرجح أنها كانت صدفة؛ ربما استطاعت إحداهن التنصت علينا دون أن ننتبه.

انتصب الحكيم جالسًا فجأة وسأل بجدية:

- أتعتقد أن طاغين من أرسلهن ؟

- لو كان طاغين يعلم بشأننا لأرسل جيشًا آخر مع السائرات البحرية؛ أظن أنهن تحركن بدافع الجوع فقط.

**

السرداب

تحرك الثلاثة نحو باب السرداب، خطواتهم تتردد أصداؤها في جدران الكهف.

تساءلت نورس بعد لحظات وقد فطنت إلى ملاحظة دقيقة:

- أليس غريبًا أن يكون هذا المكان بلا حراسة ؟!

الحكيم ساخرًا:

- لا تقلقي يا عزيزتي سوف نتفاجأ بعد قليل بما هو غير متوقع، فمنذ أن بدأنا هذه الرحلة ونحن نخرج من حفرة لنسقط في حفرة أعمق.

الشمالي يُجيب على تساؤل نورس:

- طاغين لا يثق بأحد ولا حتى بحراسه الأكثر قربًا؛ ولذلك ترك هذا المكان عمدًا بلا حراسة؛ ليضمن ألَّا أحد يعرف بشأن هذا السرداب.

اقترب الشمالي من الباب، دفعه بهدوء فصدر عنه صوت أنين ثقيل وهو يُفتح .. هواء حار تدفق من داخل السرداب محملًا برائحة الرطوبة والأسرار والزمن .. وقف الثلاثة أمام فتحة السرداب نظراتهم متجهة إلى تلك السلالم الحجرية التي تنزل نحو الأعماق المظلمة، قال الشمالي وهو يدخل:

- اتبعاني ..

بداوا ينزلون،

درجة ثم درجة وأصوات خطواتهم تتردد في الممر،

حتى بدأت أجسادهم تختفي تدريجيًا في عتمة السرداب ..

قال الحكيم معبرًا عن مخاوفه وهو يستقر على كتف نورس:

ـ أكثر ما أخشاه أن يكون هذا السرداب معبئًا بالفئران ..

سألته نورس وهي تواصل المشي:

ـ لماذا الفئران بالذات ؟

- لأنهم مقززون.

وهي تبتسم بسخرية:

- على المرء أن يختار كلماته حين يتحدث عن أقاربه.

لم يرد عليها؛

ولو لا الظلام لكانت نورس قد رأته وهو يبتسم ويُغالب ضحكاته،

لقد راقت له هذه الفتاة الصغيرة بالفعل وبدأت تتسلل إلى قلبه شيئًا فشيئًا

ويعتاد على وجودها معهم ويحبه.

إكليل

@ART_OF_BOOK

في الأعلى،

وفوق ارتفاع شاهق يكاد يلامس السُحب،

كان طائر العنقاء إكليل لا يزال يحوم بجناحيه الطويلين وعيناه الحادتان تمسحان الأفق بصبرٍ لا يهدأ .. من ذلك العِلو بدت جزيرة الأرباب كقرصٍ حجري ناتئ في قلب البحر تحاصرها الأمواج وتتسلل إليها الرياح من كل اتجاه.

ظل إكليل يحوم في السماء،

يراقب القصر من الأعالي .. يرصد الحراس الليليين وهم يملؤون الأسوار بالخطوات والأسلحة، لكنه لم يكن يحلق بطريقة عشوائية؛ فهذه هي المهمة التي كانت كوبرا أفعى الجن تارا قد كلفته بها حين قالت له وهم في قلعة الأباطرة:" لا تعد إلا ولديك معلومة أكيدة، فكل شيء قادم سوف يعتمد على المعلومة التي ستخبرني بها. "

كانت مهمته حينها تنحصر في البحث عن غرفة جومانا وتحديد موقعها بدقة وقد فعل ذلك على أكمل وجه، حيث حلق ليلتها فوق القصر، وظل يراقب النوافذ لساعات حتى استطاع أن يرصد الغرفة المنشودة ليعود لاحقًا إلى تارا ويصف لها موقع النافذة بالتحديد لتصبح تارا قادرة على رسم خريطة داخلية توضح فيها للشمالي ومن معه الطريق الذي سوف يسلكونه داخل القصر للوصول إلى الغرفة المنشودة، زاد الطائر من علوّه حتى يتخذ من السُحب ساترًا يحتمي خلفه، وهناك بدأ يوسع نِطاق تحليقه الجوي، وعيناه مُثبتتان على الغرفة التي كان يرى فيها ظل جومانا وهي تجلس وجهًا إلى وجه مع رجل بدينٍ أصلع.

**

توقف الشمالي للحظة بعد أن أصبح الظلام يُشكل عائقًا حقيقيًا أمام تقدمهم، ثم التفت إلى الوراء وقال بصوت هامس يوجه خطابه تحديدًا إلى نورس:

- سمعتُ أنكِ تحملين بداخلك قوة خاصة أليس كذلك ؟

- نعم، صحيح.

- هل يُمكنك أن توقدي لنا نارًا نهتدي بها إلى الطريق ؟!

كان القلق الذي تعيشه تلك اللحظة يُعكر عليها صفو تركيزها؛ لذلك قالت:

- سأرى ما أستطيع فعله.

- إياكِ أن تحرقينا يا نورس - قال الحكيم - لا أريد أن أتحول إلى فأرٍ مشوي.

مدت نورس كفها أمامها وهي تُغمض عينيها لتحصل على ما تستطيعه من التركيز .. ثم أخذت تستدعي الحرارة من قلبها حتى استطاعت أخيرًا أن تُشعل نارًا صغيرة في راحة كفها - نارًا ليست حارقة بل مُضيئة - انعكس وهجها البرتقالي على وجوههم الثلاثة وأنار لهم الطريق، فتحرك الأصدقاء في السرداب مهتدين بنور الشعلة المستمرة؛ قال الحكيم الذي لم يستطع أن يُغالب فضوله:

- ما اسم القوة الخاصة التي تملكينها، قوة الشمعة ؟

- بل تُدعى قوة النار.

ورغم أن هذهِ القوة الخاصة - قوة النار - هي ذاتها التي يملكها عاصف إلا أن الحكيم لم يُظهر أي اندهاش عند سماع ذلك الاسم؛ والسبب هو أنه في ذلك الزمن كان من الشائع أن يُولد بعض الأشخاص بقوى خاصة متنوعة الأمر الذي يجعل امتلاك نورس لتلك القوة ليس دليلًا قطعيًا على انتمائها إلى شخص معين أو نسب محدد ..

٨

داخل قصر مملكة أبابيل

بعد ساعة من السير وصل الثلاثة أخيرًا إلى نهاية السرداب وصعدوا إلى سُلم حجري قادهم إلى باب صغير .. فتحوه بحذر ليجدوا أنفسهم في غرفة مهجورة أسفل القصر مباشرة، مكثوا فيها لدقائق حتى تأكدوا من عدم وجود حرسٍ في الجوار، ثم فتحوا بابًا جانبيًا يؤدي إلى ممر داخلي في القصر ..

مروا بعدة أبواب مغلقة،

ثم صعدوا درجًا حلزونيًا قديمًا يُفضي بهم إلى الطابق العلوي،

كان الشمالي يتحرك بثقة وهو يعرف متى ينعطف وأي الممرات يسلك .. إنهم لا يتصرفون بطريقة عشوائية بالطبع بل كانوا يتبعون الخريطة التي رسمتها لهم كوبرا أفعى الجن نارا، ويعتمدون على التعليمات التي حفظوها عن ظهر قلب إذ قالت لهم: " القصر مزوّد بفتحات تهوية حجرية بُنيت منذ القِدم للسماح بدخول وخروج الهواء الساخن والرطب، عليكم أن تصلوا إلى هذه الفتحة وتصعدوا من خلالها، ثم تواصلوا السير حتى تصلوا إلى غرفة جومانا دون أن يراكم أحد.

الآن وقد بلغوا الردهة المطلوبة - بناء على الخريطة - رفع الشمالي بصره نحو الأعلى ليُفتش عن فتحة التهوية حتى وقعت عيناه على تجويف صغير يتمركز في أعلى الحائط الحجري، فأشار إليه وهو يقول بنبرة المنتصر:

- هناك !!

.. فتحة التهوية ..

لم تكن فتحة التهوية مصممة للسير بالطبع، ولكنها كانت كافية لزحف الأجساد النحيلة؛ فتحركوا فيها زحفًا حتى وصلوا أخيرًا إلى الغرفة المنشودة ونظروا إلى من فيها من خلال فتحة التهوية: كانت الغرفة تُطل على البحر وكانت جومانا تجلس فيها بمحاذاة النافذة، فوق كرسي خشبي أنيق يُقابلها رجل بدين أصلع الرأس يستمع إليها وهي تبث إليه شكواها:

- ولكنني رأيت ملكة ممالك التنين وهي تضع يدها فوق يده.

- أؤكد لكِ يا جلالة الملكة بأن الملك لا يُحب أحدًا غيرك.

- عن أي حبٍ تتحدث يا آشور، وقد مضى حتى الآن أكثر من خمسة عشر يومًا ولم أشعر بأنني زوجة .. أهناك شيء سيئ يراه الملك فيَّ ولا أراه في نفسي ؟!

- ليس في الأمر علاقة بكِ؛ إنما هو منشغل باله بشأن عاصف، وإنني أؤكد لك بأن كل شيء سينتهي حالما يتخلص الملك منه ومن أصدقائه.

سكتت جومانا للحظة ثم تنهدت وقالت:

- ولكن .. حتى حين نكون سويًا، أشعر وكأنني غريبة عنه.

- لا تأخذي ذلك على محمل شخصي يا جلالة الملكة؛ فالملك لا يُظهر مشاعره بسهولة؛ حتى نحن المقربون منه لا نعرف ما يدور برأسه أحيانًا.

- ولكنني لستُ "نحن" أنا زوجته !!

- سأحدثه مجددًا بهذا الشأن، أعدك يا سيدتي.

سادت لحظة صمت ثم قالت كمن تعترف:

- أريد أن أخبرك بسر، ولا أريده أن يعبر خارج حدود هذه الغرفة.

- سِرك في مأمن، تحدثي فإني مُنصت لكِ وأمين.

قالت كمن تُزيح همًا من على صدرها:

- إنني اسمع أصواتًا تناديني في المنام، وأرى نفسي أحيانًا وأنا أحتضن ذلك اللعين عاصف حين كان صغيرًا وأقص عليه بعض قصص النبي سُليمان، واسمع صوتًا آخر يناديني لرجل اسمه بحر يقول " غني لي يا جومانا وسيحضر طيفي ليراقصك " .. ومرة أخرى اسمعه وهو يقول " أنتِ بستان الياسمين الذي تطاردني رائحته أينما ذهبت ويعيدني إليه مكبلًا مثل أسير حرب " وهنالك صوتٌ آخر ..

وهنا سكتت جومانا قليلًا وكأنها قد تأثرت حين تذكرت ذلك الصوت تحديدًا، بينما ظهرت على آشور ملامح من الريبة والقلق وهو يحثها على المواصلة:

- ماذا يقول لكِ الصوت الآخر ؟!

- امرأة تُدعى تاج، تزورني في المنام كثيرًا وتدعي أنها أمي، لقد سمعتها تقول مرّات عديدة " لا تصدقي وعدًا يقطعه لكِ رجل "

ساد صمتٌ ثقيل في الغرفة قبل أن تواصل جومانا قائلة:

- إنها أشياء أراها في المنام ولا أفهمها .. ولكنني أشعر على نحو غريب بأنني عشتها من قبل.

تغيرت ملامح وجه آشور وهو يستمع لتلك المعلومة التي لم يكن يتوقع أن يسمعها، معلومة قد تغير الكثير، ورغم الصدمة إلا أنه حاول أن يحافظ على رباطة جأشه كي لا يُظهر خطورة الأمر وقال بصوت حاول أن يجعله متماسكًا قدر المستطاع:

- يجب أن تطردي هذه الهلاوس من رأسك - ثم أضاف وهو ينهض ليغادر:

- اسمحي لي بالانصراف يا سيدتي.

وما إن غادر المستشار آشور الغرفة، وتأكد الأصدقاء من أنه قد ابتعد بالقدر الكافي من هناك، حتى أدركوا أن الفرصة قد حانت للنزول ..

**

.. النزول ..

كان من المفترض أن يكون الحكيم أول من يظهر، فيتسلل بهدوء من فتحة التهوية، ثم يهبط بخفة إلى الغرفة، ويتحدث مع جومانا ليطمئنها بصوتٍ رصين ممهدًا الطريق لمن بعده .. لكن، وكعادته: خالف الحكيم التوقعات؛ فقد تعثرت قدمه وهو يهمّ بالنزول؛ فانزلق فجأة من فتحة التهوية وسقط إلى الأرض بقوة ليرتطم جسده ببلاط الغرفة، مما جعله يُطلق أنّة مكتومة وهو يمسك ظهره نتيجة الألم ويقول ساخطًا وقد نسي ما كان عليه أن يفعله:

- كان يجب على هؤلاء المعاتيه أن يبنوا سُلمًا عند فتحة التهوية !!

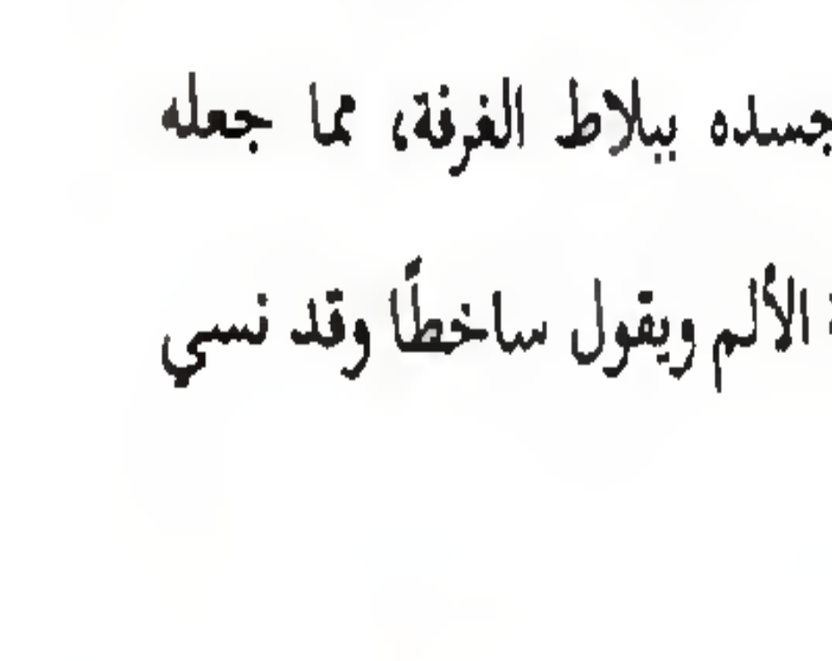

رفعت جومانا نظرها وتجمدت مكانها وهي ترى فارًا يُكلم نفسه بعد أن سقط فجأة من السقف .. التفت الحكيم نحوها فشاهدها وهي تستعد لإطلاق صرخة استغاثة؛ الأمر الذي جعله ينسى ألم ظهره ويركض نحوها رافعًا يديه:

- اهدئي أرجوكِ، لو أردنا بكِ شرًا لما أرسلوني إليكِ أولًا !!

لكنها لم تتمالك نفسها وصرخت بكل قوتها .. في تلك اللحظة دخل الشمالي من النافذة ووضع يده على فمها وهو يقول إليها من الخلف بصوتٍ هامس:

- نريد منكِ أن تسمعينا فقط !!

ثم ظهرت نورس وراءه وهي تقتحم الغرفة من النافذة:

- لم نأتِ لنؤذيكِ يا سيدتي، بل لنخبرك بالحقيقة التي لن يقولها لكِ أحد.

في تلك اللحظة سُمع صوت مقبض الباب يدور، تلا ذلك صوت أقدام جنود حماية القصر وهم يدخلون الغرفة بعد سماعهم صوت صرخة الملكة ..

جومانا

@ART_OF_BOOK

تفحص قائد الحماية محيط الغرفة، وعندما لم يجد أحدًا قال وهو ينظر إلى الملكة:

- لقد سمعنا صوت استغاثة يا جلالة الملكة.

نظرت إليه جومانا بين الخوف والحيرة، كانت تعلم أنها إن أبلغت عن المقتحمين فإنهم سيُقتلون فورًا، ولكنها فكرت بعمق: لو أرادوا أذيتها لكان لديهم الوقت الكافي لفعل ذلك قبل دخول الجنود؛ الأمر الذي جعلها تتخذ قرارها:

- خُيل إليَّ أنني رأيتُ فأرًا؛ هذا كل ما في الأمر.

أومأ قائد الحماية برأسه ثم أغلق الباب خلفه وهو يأمر الجنود بالانصراف، ليُفتح باب آخر - هو باب الخِزانة - ويخرج من جوفها كلٌ من الشمالي ونورس والحكيم الذي لفرط خوفه قال وهو يُمسك بنطاله الأسود متحسسًا:

- ميزة هذا القِماش أنه يمتص السوائل سريعًا.

جومانا وقد استلطفت الحكيم:

- لم يسبق لي أن رأيتُ فأرًا يتحدث.

- والدتك صاحبة البركة؛ هي من سخطتني إلى فأر.

تعجبت جومانا من سماع ذلك وقالت بطريقة غريزية:

- أتعرف أمي ؟!

- ومن لا يعرف تاج كانت امرأة عظيمة - ثم وهو يُخفض صوت ويُتمتم:

- اتمنى لها إقامة طيبة في الجحيم.

قالت وكأن ذلك الاسم أوحى لها بشيء:

- " تاج " إنه ذات الاسم الذي اسمعه يتردد في أحلامي.

وهنا تكلمت نورس بهدوء غريب لا يُشبه سنها، وهي تجلس مقابلة لجومانا مباشرة:

- وهذا ما جئناكِ لأجله يا سيدتي.

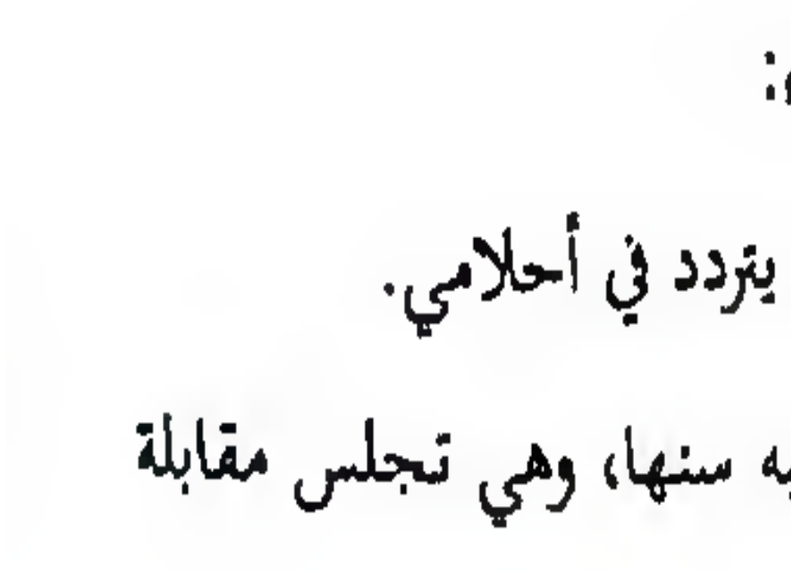

تأملت جومانا ملامح الفتاة للحظة، كان هنالك شيء ما في حضورها يربكها ويجعل قلبها يَميل إليها؛ هذه الراحة الغامضة في ملامح تلك الفتاة هو ما جعلها تقول:

- حسنًا، ساصغي إليكم.

ومن هنا بدأ الشمالي يروي لها كل شيء؛ فحدثها أولًا عن قرية الجسَّاسة التي كانت تعيش فيها، ثم انتقل ليخبرها عن ابنها الذي وُلد صامتًا يُقلب بصره في الأشياء مدهوشًا وكأنه تفاجأ بوجود عالم آخر غير العالم المظلم الضيق الذي كان يعيش فيه، وأخبرها عن السنوات العشر الأولى من حياته التي قضاها بلا اسم حتى كان الناس في القرية لا ينادونه إلا بالطفل؛ قالت وقد أثار ذلك الأمر فضولها:

- لماذا ظل عشرَ سنوات من دون اسم ؟

- لقد رفضتِ أن تسميه، وقررتِ أن تنتظري حتى يعود والده بحر من غيابه ويُسميه بنفسه.

- بحر ؟

- نعم؛ إنه اسم زوجك الذي تخليت عن كل شيء لأجله.

أطرقت جومانا قليلًا، كان في ذلك الاسم سِر يحرك فيها شيئًا دفينًا، وكأن ذاكرتها المتهشمة ما عادت تعرف: هل سمعت تلك القصة من أحد ؟ أم أن تلك القصة هي حياة عاشتها من قبل ؟

واصل الشمالي يخبرها عن القصص التي كانت ترويها لابنها كل ليلة، وتلك الجملة التي كانت تُنهي بها كل قصة " تذكر يا بني بأن الرب يُجيب دعوة الداعي إذا دعاه " وعن رده حين كان يستمع لتلك الجملة، حيث كان يسألها قائلًا: " أي دعوة يا أمي ؟! " .. فكانت تقول له بحب قبل أن يُغمض عينيه وينام:

" نعم أي دعوة "

كانت جومانا تستمع بإنصات وقد شحب وجهها وعيناها تترقرقان بالدمع وشفتاها ترتجف، بينما واصل الشمالي تذكيرها بكل شيء حتى وصل إلى الجزء الذي أخبرها فيه عن تجرعها السُم من الجرة وموتها، فقالت وقد بانت عليها الحيرة:

- هل قلت بأنني تجرعت السم ومت ؟!

الحكيم متدخلًا وهو ينظر إلى الشمالي ويلومه:

- أخبرتك بأنها لن تصدق هذا الجزء من الحكاية !!

قالت نورس:

- لقد جئنا إلى هنا من أجل أن ننتشلها من الكذبة التي أوهموها فيها، لا أن نكذب عليها.

ابتسمت جومانا من ذلك الرد الذي التمست فيه الصدق:

- هذه الفتاة الصغيرة تعجبني.

- شكرًا لكِ - قال الحكيم - أنا من أشرف على تربيتها بنفسي.

التفتت جومانا نحو الشمالي وقالت تسأله:

- أخبرني كيف تجرعت السُم ومت، ثم عدتُ إلى الحياة.

- أنتِ من سلالة الأباطرة، وقد أعطى والدكِ جبَّار الأمر لكوبرا أفعى الجن بأن تُلقي عليكِ تعويذة نصف البرزخ؛ التعويذة التي عزّزت جسدكِ بروحٍ إضافية، وجعلتكِ محمية من الموت الكامل .. وبطريقة ما .. عرف طاغين بالأمر وأدى الطقوس وأعادكِ إلى الحياة، ثم محا ذاكرتك، وأقنعكِ بأنكِ زوجته .. طاغين ذكي للغاية، وقد يكون أحد أذكى الأشخاص الذين قابلتهم في حياتي يا سيدتي .. لقد فعل كل هذا من أجل أن يستفز عاصف في ليلة الزفاف؛ إنه يعرف عدوه جيدًا، يعلم أن عاصف لن يسكت وسيُهاجم، كاسرًا الهدنة، وهكذا تكون لدى طاغين الذريعة الكاملة لقتله دون أن يلومه أحد، أما الآن، فهو يُبقيكِ في قصره كحصن، لأنه يعرف أن أحدًا -لا عاصف، ولا أساطير، ولا أحدًا من الأباطرة- سيجرؤ على مهاجمته وأنتِ في قبضته، إنه بإعادتك إلى الحياة وخلق هذه الصورة الزائفة حولك يقوم بتحصين نفسه إلى الأبد ضد أي هجوم محتمل.

لم تقل جومانا شيئًا، وسقطت في دوامة من الصمت تتقاذفها الصور والنداءات التي تزورها في الأحلام، تارة تشاهد نفسها تقص الحكايات لطفل صغير، وتارة تشاهد نفسها وهي الملكة، فأي الحياتين حقيقي وأيهما زائف ؟! .. هذا التمزق بين الهويتين، بين الأم والزوجة، بين ماضٍ لا تتذكره وحاضر ليست متأكدة منه هو ما كان أكبر من قدرتها على تحمله؛ ففقدت السيطرة على أعصابها وصرخت بعلو صوتها، ما دفع الحكيم لأن يقول:

- اهربواااا إلى الخزانة !!

لكن الشمالي حمل الحكيم بيد ونورس بيده الأخرى واتجه نحو النافذة وهو يقول:

- هذه المرة علينا أن نهرب بالفعل !!!!

ثم فتح النافذة وأطلق صافرة لإكليل الذي كان ما يزال يحوم في السماء بين السحب، في تلك اللحظة فتح جنود الحامية باب الغرفة واقتحموا المكان؛ فقذف الشمالي بهما - بنورس والحكيم في الجو - بأقوى ما يستطيع، ثم قذف بجسده من النافذة وتدحرج فوق الأسطح حتى وصل الأرض .. ورفع رأسه إلى الأعلى لينظر ما حل بنورس والحكيم؛ فوجدهما يُحلقان بعيدًا بعد أن ألتقطهما طائر العنقاء إكليل بمخالبه وابتعد بهما بسرعة ..

أما هو فانطلق راكضًا بكل ما أُوتي من سرعة والجنود خلفه يصرخون ويطاردونه وهم يحذفونه بالرماح والسِهام .. كان يركض وهو يعلم أنهم قد نجحوا في المهمة؛ لقد أعطوا جومانا ما يكفي لتبدأ مرحلة الشك، لتتساءل وتبحث، لتفكر وتتأمل .. كان يعلم أن كل ما ينقصها الآن هو الوقت الذي سوف يُعيدها إلى نفسها ويكشف لها الحقيقة.

ركض حتى بلغ أطراف الجزيرة،

ثم ومن دون أن يتوقف .. قفز إلى البحر بطريقة عمودية، بينما توقف الجنود عند الحافة وأخذوا يتطلعون إلى المياه من تحتهم، لكنهم لم يروا شيئًا سوى زُعنفة مضيئة مغطاة بالوشوم تختفي في الأعماق السحيقة ..

**

داخل غرفة الملكة

كانت جومانا واقفة عند النافذة وعيناها تائهتان في الأفق حين دخل طاغين فجأة بعد أن وصلته أنباء الاختراق الأمني، وخلفه اصطف عدد من أفراد الحاشية الملكية يتابعون الموقف بصمت متوتر، قال وهو يقترب من جومانا بقلق واضح:

- جومانا .. عزيزتي .. هل آذاكِ أحد ؟! .. أخبريني !!

وهي تستدير نحوه وتقول بوجه شاحب ولكن هادئ:

- لا، لم يؤذني أحد.

ضاقت عيناه وهو يتفحص ملامحها:

- ما بالك إذًا ؟! .. وجهكِ مضطرب ولونك شاحب.

- لا تشغل بالك، أنا بخير - قالتها وهي تتجه نحو الباب ولكنه أمسكها من يدها:

- أقال لكِ هؤلاء الأنجاس شيئًا ؟!

ترددت قليلًا قبل أن تُجيبه قائلة:

- لا، لم يقل أحدٌ منهم شيئًا - وأضافت: أريد أن أبقى وحدي.

أفلت طاغين يدها ببطء وظلت عيناه وعيون أفراد الحاشية الملكية تراقبها وهي تغادر الغرفة بصمت وتنعطف عند نهاية الرواق لتختلي بنفسها ..

تُرى ما الذي حلَّ بجومانا تلك اللحظة لتبدو على كل ذلك النحو من الغموض والتكتم ؟! وهل يُعد ذلك السلوك الغريب منها إيذانًا بتفتح بذور الشك التي زرعها الشمالي والحكيم ونورس بداخلها ؟! ..

الوقت وحده سوف يُثبت ذلك أو يَنفيه ..

المهمة الثالثة

عاصف بن بحر، أساطير الأباطرة

الأرض السُفلية - مملكة الجن والبن

يقبع العالم السفلي في باطن الأرض، هناك حيث لا شمس تسطع، إنما أشعة خافتة خجولة تتسلل عبر ثقوب ضيقة في سقف السماء آتية من العالم العلوي، تتناثر مثل نُثار ضوءٍ باهت بالكاد تُنير بعض المساحات .. لقد وُجد عالم الأسفل في البدء ليكون منفىً للعُصاة والمتمردين ومهبطًا لكل من لا تكفيه عقوبة الموت، لكن أولئك الذين تم نَفيهم إلى هناك سكنوه وقاموا بتعميره والتكاثر فيه حتى باتت الأرض السُّفلية عالمًا مستقلًا له ممالكه وشعوبه وأحكامه الخاصة.

في ذلك النهار .. وعند أطراف أحد ممالك الأسفل: تكوّنت دوامة هوائية انبثق منها شخصان " أساطير وعاصف " وقد وقفا فوق تلّة تُطل على مملكة الجِن والبِن ..

عاصف وهو يُحدق إلى الأسوار العالية:

- هل تعتقد أننا سنجد سرابي هنا ؟

- أظن أن هذا ما سوف نعرفه في الساعات القادمة.

- ألديك خطة للوصول إلى القصر الملكي ؟

أساطير وهو يمشي ناحية بوابة السور:

- اتبعني وسترى ..

**

بخطوات واثقة سار أساطير نحو بوابة السور يتبعه عاصف، حتى وصل إلى حرّاس البوابة الخارجية لمملكة الجِن والبِن، وهناك توقف أمام كبير الحرس ورفع يده اليُمنى كاشفًا عن علامة تتوهج عند معصمه، كانت العلامة على هيئة مضلع ذي تسعة أضلاع مرسومة بداخله جبل تتوسطه عين مفتوحة ترمش كأنها عينٌ حقيقية:

- أطلب الدخول إلى قصر الحكم ولقاء رأس السلطة.

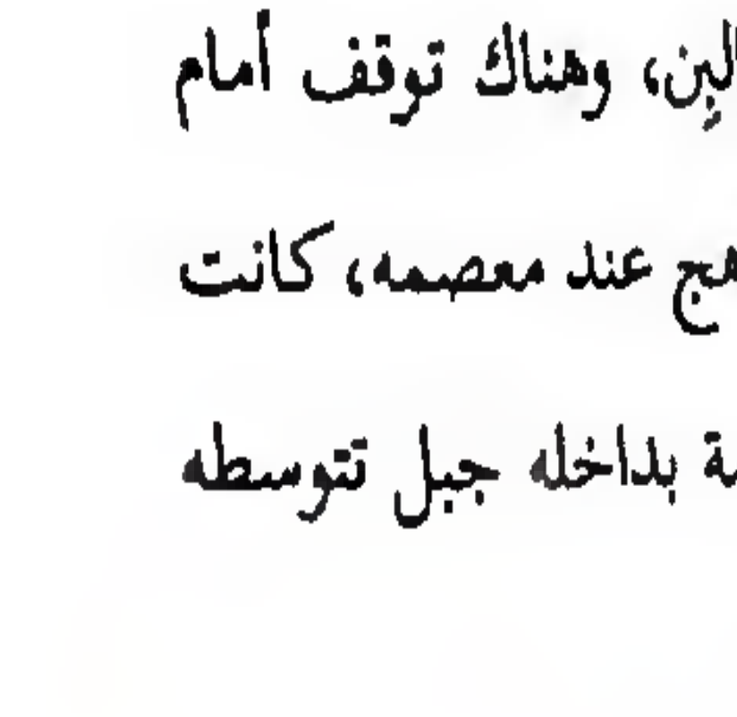

ما إن رأى كبير الحرس تلك العلامة - في معصمه - حتى أعطى الإشارة لحرّاس السور بفتح البوابة وهو يقول آمرًا:

- تسمحوا قلهما قبالدخول، وقخذوهما قإلى قالقصر قالملكيا.[٢٢]

**

كانت هنالك عربة ملكية تنتظرهما بعد البوابة، صعد الاثنان إليها وجلسا على مقاعدها الجلدية متقابلين وعاصف يقول وهو بالكاد يصدق ما جرى:

- الحقيقة هي أنني كنت أظن بأن الأمر سوف يتطلب بعض الخطط والحيل لعبور البوابة ثم الوصول إلى القصر الملكي، لم يخطر ببالي أبدًا أن الأمر سيكون بهذه السهولة.

- جرت عادة الملوك منذ القدم أن يفتحوا أبوابهم دون سؤال عندما يحل أحد جبّابرة الأرض التسعة عليهم ضيفًا؛ فهم يُدركون أننا لا نطرق الأبواب عبثًا ..

---

٢٢ هذه اللغة تُسمى " تراتيل الجن" ثم ذكرها برواية السِنجبل، وهي إحدى لغات العالم السفلي، تعتمد على إضافة حرف القاف قبل الكلمة، وإضافة حرف الألف عند آخر كلمة في الجملة، ترجمتها باللغة العربية: " اسمحوا لهما بالدخول، وخذوهما إلى القصر الملكي "

عاصف وقد تذكر ملاحظة هامة:

- ظننت أنك لن تكشف عن هويتك لأحد بعد أن حذرت عائلة الزمهرير من التعامل معك، ألم تخشَ أن ترفض مملكة الحِن والبِن استقبالك بعد أن يعرفوا بأنك أساطير ابن جبَّار الأباطرة ؟

- قوانين عائلة الزمهرير لا تسري في الأرض السُفلية - وأردف أساطير وكأنه يُصحح ما قاله: أو لنقل بأنها لا تسري بذات الكفاءة التي تسري عليها في ممالك الأرض العلوية؛ وهذا ما جعلني أكشف عن هويتي هنا.

**

الطريق إلى قصر مملكة الحِن والبِن

تحركت بهما العربة الثقيلة على مهل يجرها مخلوقان من سلالة سُفلية ضخمة كأنها ثيران حديدية .. جلس عاصف مقابلًا لأساطير داخل العربة وقد انحنى قليلًا نحو النافذة الصغيرة وأخذ يراقب الحياة الخارجية من خلالها ..

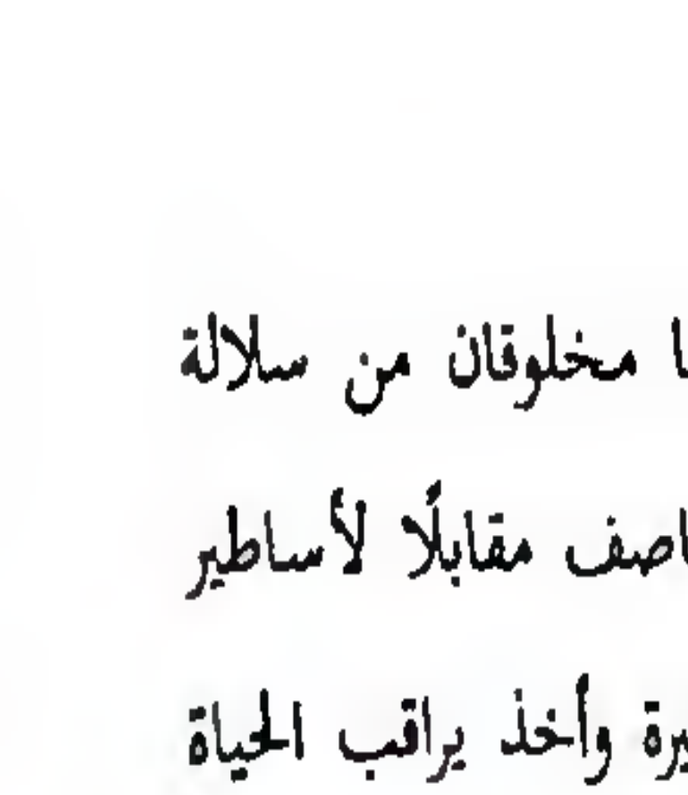

لم تكن المباني والطرقات تختلف كثيرًا عن تلك التي اعتاد عاصف رؤيتها في ممالك العالم العلوي، لكن الشيء الوحيد الذي جذب انتباهه حقًا هو ذلك التجانس الغريب بين الهيئة الشاذة والهيئة المألوفة، بين النشوه والجمال، بين الغرابة والطبيعة في مملكة الجِن والبِن .. حيث كان سكان هذه المملكة مزيجًا لا يُشبه شيئًا رآه من قبل، رأى رجلًا بجسد بشري ورأس حمارٍ ضخم، يفترش الأرض ويبيع الأعشاب بأيدٍ بشرية، إلى جواره إنسية بجلد تمساح تمشي وهي تحمل رضيعًا له أطراف بشرية وذيل حيوان .. أدرك أساطير ما بنفس عاصف من حيرة فقال يوضح له السبب بينما ظلت عيناه - عينا عاصف - معلقتين في زجاج النافذة يُطالع تلك المناظر وكأنه ينظر إلى حُلم يصعب تصديقه فقال يشرح له سِر ذلك التجانس العجيب:

- يُقال إن أحد الملوك الأوائل لشعوب الجِن والبِن، وحين بات عجزه عن مجاراة جيوش الممالك الأخرى يُهدد عرشه، لجأ إلى تجارب سحرية مزج فيها دماء البشر بدماء الحيوانات؛ فأنجب بذلك نسلًا مشوّهًا، لكنه نسل قوي استطاع أن يحمي به عرشه ومملكته، وعلى مدى سنوات طويلة تكاثر ذلك النسل المشوه وأصبح يعيش جنبًا إلى جنب مع بني الإنس الأصليين ليشكل كلا النَسلين خليطًا مميزًا لسكان مملكة الجِن والبِن.

أزاح عاصف بصره عن النافذة ونظر إلى أساطير وهو يساله:

- احقًا ما يُشاع عنك بأنك قتلت زوجتك ؟

أجاب دون مراوغة: نعم صحيح.

- لماذا ؟

- سوف أجيبك بنصيحة كانت والدتي تاج تحب ترديدها كثيرًا حين كانت على قيد الحياة، وهي أن تبقي أنفك مكانه ولا تحشره في شؤون الآخرين.

**

لم يمضِ الكثير من الوقت وهما داخل القُمرة حتى بدأت العربة تُخفض من سرعتها؛ الأمر الذي جعل أساطير ينحني إلى النافذة ويقول:

- استعد، لقد وصلنا ..

ما إن توقفت العربة تمامًا حتى فُتح الباب وظهر لهما كائنٌ بجسد بشري ورأس تيس ضخمة، وعيونٍ صفراء لامعة، كان يلوّح بيديه وهو يبتسم ابتسامة عريضة وكأن الحماس والترحيب شيء من طبيعته قال وهو يؤدي إلى أساطير تحية خاصة:

- أهلًا بك يا سيدي الجبَّار؛ مملكة الجِن والبِن تُرحب دائمًا بجبابرة الأرض.

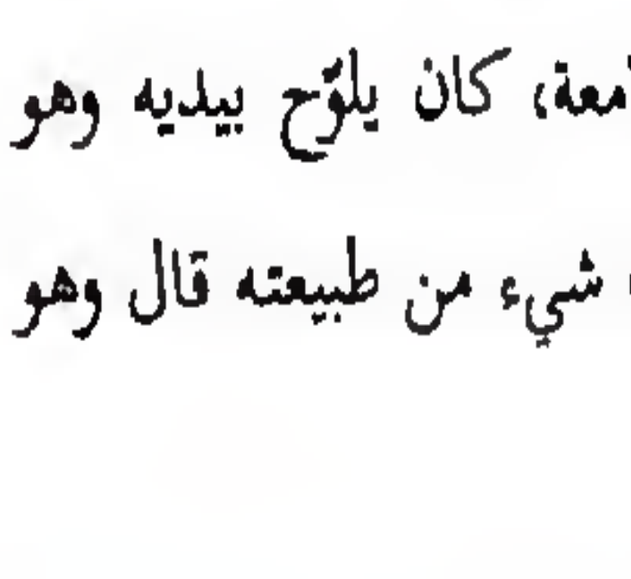

ثم قال وهو يوزع نظره بينهما:

- اسمي ثَعل، وساكون دليلكما إلى مجلس المُلك.

ثم تراجع خطوة إلى الوراء ليُفسح لهما المجال للنزول من العربة، ويشير بيده وهو يقول:

- من هنا أيها السادة.

**

سار أساطير بخطواتٍ واثقة نحو الداخل، وعاصف يتبعه، بينما انغلق باب العربة خلفهما .. كان المدخل المؤدي إلى القصر مفروشًا برخامٍ أسود داكن أما السقوف، فقد تدلّت منها فوانيس صغيرة تبعث إنارة خافتة تكفي لإضاءة الممرات، كانت أنفاس عاصف تتسارع كلما تعمّق في أروقة القصر، وسؤالٌ واحد يتردد في قلبه:

"هل سأراها هنا ؟!"

عند نهاية الممر، توقّف ثَعل أمام بوابة مصنوعة من خشبٍ أحمر، التفت إليهما وابتسم بحماس وهو يسأل:

- مستعدان ؟!

ثم قبل أن يتلقى من أحدهما إجابة قال بحماس وهو يرفع صوته:

- مرحبًا بكما في مجلس حكم مملكة الجن والبن !!

وفي اللحظة التالية، دُفعت البوابة إلى الداخل، وبدأ مجلس الحكم يُكشف أمامهما ..

مجلس حكم مملكة الجن والبن

على جانبي المجلس، اصطف عددٌ من الشخصيات البارزة التي بدا أنها أُحضرت خصيصًا لهذا اللقاء بعد أن تلقى مجلس الحكم نبأ وصول أحد الجبابرة التسعة .. بعضهم - بعض أفراد الحاشية - كان آدميّ الهيئة، والبعض الآخر كان لهم أجسادٌ بشرية ذات أطراف حيوانية، وعند الطرف البعيد من القاعة كان يجلس كبير الوزراء واسمه " مِرياش " وهو رجلٌ حادُّ الملامح، حليق الرأس، له عُنق طويلة ينبت عليها ريش هو أقرب إلى ريش النعام.

ما إن دخل عاصف وأساطير إلى المجلس حتى انسحبت الهمهمات، وساد صمتٌ مشبعٌ بالترقّب .. تقدّم الاثنان بخطىً ثابتة في عمق المجلس المهيب والذي زُينت جدرانه بصور لكائنات بشرية تتقاطع مع مخلوقات حيوانية في تشكيلاتٍ بصرية ساحرة أما السقف، فكان مُقبّبًا، ومُرصّعًا بكريّاتٍ زجاجية تبثّ وهجًا سماويًا متوهّجًا كأنها نُثارة شمس محطمة، واصل الاثنان تقدمهما حتى بلغا منتصف المجلس، وهناك رفع الوزير صوته وهو يقول:

- مرحبًا بك أيها الجبَّار أساطير، ومرحبًا بضيفك، أخبرنا ما الذي جئتما تطلبانه.

- جئنا نطلب رؤية الملكة سرابي.

وما إن نُطق الاسم حتى لاحظ أساطير أن هنالك حزنًا ثقيلًا مباغتًا خيّم على المجلس، تبدّلت الوجوه، انكسرت النظرات .. وبدت على الحاشية نظراتٌ دامعة، صادقة.

- لقد ماتت - قال الوزير بصوت مثقل بالحزن - ماتت في الحرب الأخيرة كما تعلم أيها الجبَّار، ومن بعد رحيلها، تقلّدتُ زمام الحكم نيابةً عنها، حتى يكبر ابنها غَريد ويصبح بكامل الأهلية ليجلس على عرش أبيه وأمّه[٢٣].

---

٢٣ ذكر برواية البِتجيل أن سرابي تزوجت من ملك مملكة الجن والبِن لأجل شرطٍ واحد وهو أن يجعلها أقوى امرأة في الأرض السُفلية؛ كانت تريد أن تحصل على القوة لتعود وتساعد عاصف والأصدقاء في حربهم ضِد طاغين. ولكنها رُزقت بطفل من الملك مَدار؛ قبل أن يموت وتُصبح هي الملكة لتلك المملكة بالنيابة عنه وتتغير كل خطتها.

اندفع عاصف الذي لم تعجبه الإجابة وسأل بتهور:

- واين الجثة، أين جثة سرابي ؟!!

لاحظ أساطير في تلك اللحظة نظرات الحاشية الملكية وهي تتغير، فالوجوه التي كانت تُنصت قبل قليل صارت الآن صلبة ممتلئة باستياء مكتوم؛ فعاصف لم يكن ضيفًا مرحبًا به في هذا القصر؛ فهو العدو الذي كان يُقاتلهم في الحرب الماضية وأزهق أرواح الكثير من رجالهم، وإن كانوا قد وافقوا على استقباله الآن فذلك ليس احترامًا له بل هو احترام لمن جاء معه.

همس عاصف:

- ما بها وجوههم متقززة هكذا كأنهم ينظرون إلى شيء مقرف ؟!

- لأنك كذلك بالنسبة إليهم هذا أولًا - قال أساطير هامسًا - أما ثانيًا فهو لأن سؤالك غبي، أكنت تريدهم أن يُحضروا الجثة ويضعوها أمامك هنا لتتأكد من أنها ميتة ؟!

نظر عاصف نحو الوزير وقال مصححًا:

- لا أقصد أنني أريد رؤية الجثة الآن، ولكنني أقصد لماذا لم يرها أحد حين ماتت في الحرب ؟

قال الوزير معترفًا:

- لقد كان ذلك خطأً فادحًا؛ ففي الحقيقة لم يكن ينبغي على أحد إعلان موتها ذلك اليوم؛ فقد أثار حينها الخبر بلبلة أضعفت الروح القتالية لدى جنودنا - ثم أضاف بصوت وكأنه يلتمس فيه العذر لجنود جيش المملكة:

- ولكن من ذا يلومهم ؟! .. فقد كانت الملكة سرابي محبوبة بين أفراد شعب مملكة الجِن والبِن، وكان رحيلها أكبر من قدرة الجنود على التزام الصمت أو البقاء في مواقعهم؛ فأخذوا جثتها وانسحبوا بها فورًا؛ لكي لا يُدنس أحد من الأعداء طُهر موتها .. وقد قدمنا لها عزاءً يَليق بجلالتها حين عدنا بجثمانها إلى هنا وقمنا بدفنها في المقبرة العُظمى حيث يُدفن الملوك والملكات.

ثم نظر الوزير مِرياش إلى أساطير وقال له:

- يؤسفنا أننا لم نستطع تَلبية حاجتك أيها الجبَّار.

كان أساطير يُصغي ويزن الأمور بعقله، يلتقط النبرات وذبذبات الحزن في المجلس، كل شيء كان يُشير إلى أنهم صادقون: نبرة الوزير المثقلة بالحزن، الوجوم في عيون الحاشية الملكية وعلامات الشعور الصادقة التي لاحت على وجوههم حين ذُكر اسم سرابي .. كل تلك الأمارات جعلت اساطير يلتفت إلى عاصف ويقول:

- ربما يكون الشمالي قد أخطأ في فرضيته؛ ربما تكون سرابي بالفعل قد ماتت.

- ولكنني أشعر بأنها هنا، وأستطيع الاحساس بنظراتها.

- هل نكذب كلامهم، ونصدق إحساسك ؟!

- ارجع وحدك ..

- وأنت ؟

- لن أغادر حتى أُحقق ما جئتُ لأجله.

ثم أخذ شهيقًا عميقًا وصاح بصوت رجَّ به أركان القصر أجمع:

- سراااااااابي أعلم بانهم يكذبون، وأعلم بانكِ ما تزالين حية !!!!

دوت تلك الجملة كضربة طبل مفاجئة،

وقد سرت في المجلس همهمات أفراد الحاشية الملكية الرافضة لذلك التصرف المتهور، حاول أساطير أن يوقفه ولكن عاصف أكمل بصبح غير مكترث بشيء، وعيناه تمتلئان بدموع غزيرة كطفلٍ يبث حزنه إلى نجمة بعيدة:

- لقد عادت أمي إلى الحياة يا سرابي، وقد اختطفها طاغين .. وأنتِ تعلمين بأنني لا أحب أحدًا أكثر منها - ثم رفع صوته من بين أنفاسه الباكية:

- أرجوكِ !! .. وبحق كل شيء كان بيننا .. بحق كل نفسٍ تشاركناه، كل ضحكة، ووعد، وكل حلم رسمناه لمستقبل لم يعد موجودًا .. لا أطلبكِ من أجل نفسي، بل لأجل أمي، ولأجل الحق، أن تساعديني !!

ساد السكون،

حتى الهمسات توقفت،

كما لو أن القاعة بأسرها كانت تحبس أنفاسها، تنتظر شيئًا ما أن يدخل، أن يتغير أو يتحقق .. غير أن وقتًا طويلًا كان قد مضى دون أن يحدث شيء.

تنحنح الوزير مرياش وهو يحدق نحو أساطير قبل أن يقول:

- لقد احترمناك أيها الجبَّار وأدينا واجب استقبالك كما يَليق بشخص في مكانتك .. بل ووافقنا أيضًا على أن يرافقك هذا الشاب على الرغم مما سال بيننا وبينه من دماء وأرواح .. .. لكن أن يُكذبنا، ويرفع صوته في مجلسنا بهذه الطريقة ودون وجه حق؛ فهذا وحق الرب ما لا نقبله ولا نرضاه.

تحرك أساطير ببطء مقتربًا من عاصف،

وقف أمامه ونظر إلى عينيه ليطلب منه الصمت والرحيل،

ولكن ما رآه هناك - في عينيه - كان كافيًا ليجعله يتخذ قرارًا آخر ..

أساطير لم يرَ في عينيه حزن عاشق على من يحب، ولو كان ذلك ما رآه لما حرك فيه شيئًا .. ولكنه رأى حزن المقهور اليتيم عندما يفقد أملًا أخيرًا كان يتمسك به بكلتا يديه، مدَّ أساطير يديه إلى عيني عاصف ومسح دموعه:

- أخبرني أيها المتهور .. أأنت متأكد من شعورك بأنها تنظر إلينا الآن ؟ .. أم أنك سوف تجبرني فقط على أن أقول شيئًا سأندم عليه لاحقًا ؟

- أنا متأكد !!

تمهل أساطير قليلًا وكأنه يفكر فيما هو مقدمٌ عليه، فمن جهة كان كلام الوزير مقنعًا، ولكن الدموع في عيني ابن أخته كان أكثر اقناعًا؛ لذلك لم يكن أمامه إلا أن يلعب بآخر ورقة لديه، الورقة التي كان قد أقسم ألَّا يكشفها مهما كانت الظروف:

- سرابي !!

ثم وأساطير يرفع صوته أكثر:

- سرابي .. إذا كنتِ تسمعينني بالفعل؛ فهنالك ما يجب أن تعرفيه قبل أن تختاري الظهور أو الانسحاب إلى الأبد - عادت الهمهمات المعترضة تسري في المجلس ولكن أساطير صاح عليهم بسُلطة لا يمنحها إليه القانون، بل تمنحها إليه قوته وسطوته:

- ليصمت الجميع، قبل أن أُصمتكم إلى الأبد !!!!

نسكت الجميع خوفًا من ذلك الجبَّار بينما ارتفع صوت دقات قلبه خوفًا من تبعات ذلك السر الذي سيقوله، حتى خُيل إلى الجميع بأن هنالك قلبين ينبضان داخل صدره في دقات بعضها متناغم وبعضها متعاقب ..

قال معترفًا:

- إذا كنتِ تسمعينني فاعلمي بأننا جئنا إليك اليوم لأن عائلة الزمهرير قد حكمت على نسل جبَّار الأباطرة بالموت، وهذا الحكم لا يشملني أنا وعاصف فقط .. بل يمتد أيضًا ويشمل تلك الطفلة التي عندما حاصركِ جنود طاغين فيما مضى قمتِ بوضعها داخل قارب خشبي وألقيتِها في البحر؛ فساقتها يد الريح إلى حيث كنتُ على أطراف ممالك التنين.

هنا تحركت رقبة عاصف بحدة وهو يلتفت نحو أساطير كمن صُفع بحقيقة لا تحتمل التصديق .. اتسعت عيناه وفيهما نظرة رعب عميقة؛ إذًا تلك الصغيرة - نورس - التي طعنته بصدره في الحرب الأخيرة وكادت أن تودي بحياته هي ابنته !! ..

- إذا كنتِ تسمعينني يا سرابي - تابع أساطير - فاعلمي بأن نورس تكون ابنتك؛ وبذلك تكون من نسل الأباطرة. هذه فرصتكِ الأخيرة أيتها الملكة: فإما أن تقفي إلى جوارها بجيشك أو تتركيها لحكم الزمهرير.

**

لحظات مرّت دون ردة فعل،

ثم سُمعت المفاصل الثقيلة للباب وهي تتحرك ببطء؛ انفتح عندها باب داخلي؛ فوقف الحرس بانتباه شديد بينما هنالك شخص يدخل المجلس بخطوات هادئة، رداؤه الأسود الطويل كان يتسحب على البلاط، وكل خطوة كانت محسوبة بدقة الميزان وكأن الذي دخل جاء من عمق الزمان.

••

.. الشخص الداخل ..

ما إن شاهد الجميع - جميع أفراد الحاشية - ملامح الشخص الداخل حتى صمتوا وأحنوا إليه رؤوسهم، حتى الوزير قد بدا عليه الذهول وهو ينظر إلى ذلك الشخص، ووقف له احترامًا ثم أفسح المجال له ليجلس فوق الكرسي، كان منظرها مهيبًا وهي تجلس مكانه، تاجها المثبت فوق رأسها، خواتمها التي تلمع في أصابعها النحيلة الطويلة، شعرها العسلي المنساب بهدوء فوق كتفيها، نظراتها الحادة، أنفاسها المتزنة، وهيئتها التي تنضح بجاذبية طاغية .. كل ذلك كان يجعلها تبدو وكأن لا شيء يليق عليها غير أن تكون ملكة: لقد كانت سرابي التي لولا السِر الذي سمعته للتو لكانت قد واصلت تنفيذ مسرحية الموت التي اتفقت عليها مع أفراد حاشيتها.

لحظات من التوتر طغت على الفراغ قبل أن ترفع الملكة يدها، وتقول بصوت قوي آمر، كأنه قرع معدني:

- قليغادر قأفراد قالحاشية قالملكية قالمجلس قفورًا.[٢٤]

ليغادر أفراد الحاشية الملكية المجلس فورًا

.. انتـهاء الـمهمة الثالثة ..

كانت العربة تسير ببطء فوق الحصى المبعثرة .. العربة التي يجرها مخلوقان من سلالة سُفلية من الثيران الحديدية؛ فيتمايل هيكل العربة بشكل خفيف بينما عاصف يحدق عبر النافذة الصغيرة، ولكنه هذه المرة لم يكن يشاهد سكان مملكة الجِن والبِن ويتأمل في خِلقتهم الغريبة، بل كان يستعيد في ذاكرته مشهد سرابي بعد أن ظهرت وأشارت إلى أفراد حاشيتها بمغادرة المجلس .. كان عاصف حينها - وهو يراها - يشعر بمزيج غريب ما بين أكثر من شعور: إنها حُبه الأول، وعدوه الأخير، هل يُعانقها أم يُبادر بالهجوم ؟! ..

أما سرابي فقد اعتدلت بجلستها وهي ترفع رأسها ببطء، وتحدق نحو عاصف بعينيها اللتين كانتا تُشبهان بحيرة ساكنة تُخفي بأعماقها كنزًا من الأسرار. كل روحٍ في هذه الحياة تُولد ناقصه، فيظل صاحبها طوال عمره يبحث عمن يُكملها، وكانت سرابي هي الروح التي تُكمله، ولكنها قالت بصوت حازم كما لو أنها كانت تقرأ ما يدور بعقل عاصف وقلبه:

- لن أتحدث عن الماضي، ولا عن شيء آخر، ظهرتُ لكما الآن لأنني قررت التدخل، سأقود جيشي إلى الأرض العلوية، وسأتحالف معكما فقط لأحمي ابنتي، ثم تنتهي علاقتنا عند ذلك الحد.

وفجأة - وبينما هو في العربة - وما يزال ينظر من خلال النافذة، تسللت إلى عقله ذِكرى قديمه، عندما قالت له سرابي ذات مرة بأنها غيمته الممطرة عندما تجف كل بحور الأرض ويهلك جميع من في العالم عطشًا، كان يود حينها - وهو ينظر إليها في المجلس - أن يقول لها: " لقد جفت بحور الأرض يا سرابي، وهَلك العالم عطشًا، وغيمتي التي وعدتنا بالسُقيا، خانت وعدها ومضت لتمطر في مكانٍ آخر" .. ولكنه أشفق على نفسه من أن تُهان كرامته أكثر مما أُهينت؛ فأحنى رأسه مكتفيًا بوعد التحالف الذي قطعته لهما، ثم قال وكأنه غريب عنها:

- الذي لنا بالانصراف أيتها الملكة.

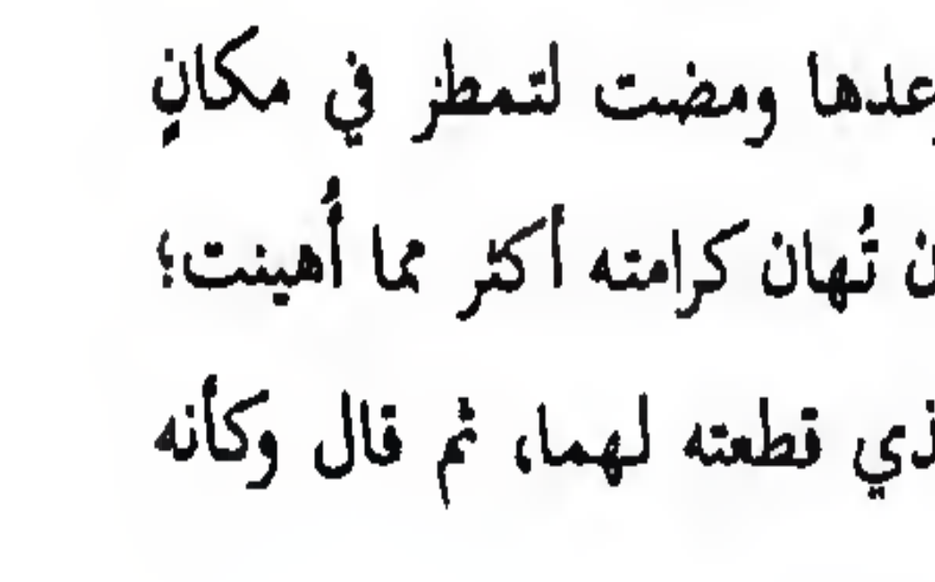

وبينما العربة كانت تمضي بهما في طرقات مملكة الحِن والبِن الوعرة، تكلم أساطير بصوت متهدج يُخبر عاصف بالسر الذي جعله يقتل زوجته حرير؛ لقد قرر أن يكشف ذلك السر الذي لم يخبر به أحدًا من قبل وكأنه بذلك أراد أن يمرر إلى عاصف رسالة ما:

- كان اسمها حرير .. وكانت أكثر ما أحببتُه في حياتي كلها.

ثم أكمل وهو يحدّق من خلال النافذة:

- كانت من نسلٍ مختلف .. من نسل الجليد، لم أخبر والدي بالأمر كنت أعلم أنه سيرفض، وأنني إذا أصريت على الزواج منها فإنه سوف يأمر بانتزاع قوتي ثم يطردني من العائلة؛ ولذلك تركتُ عائلة الأباطرة خلفي دون أن أخبرهم، ومضيتُ معها بعيدًا لأتزوج منها وأُقيم معها بين أهلها مؤمنًا بأنني أخيرًا وجدتُ السلام .. حتى جاء اليوم الذي اكتشفتُ فيه الحقيقة.

هنا توقّف أساطير قليلًا وقد بدا صوته مختنقًا، قبل أن يستجمع قوته ويكمل:

- لم تتزوجني حبًّا بل طمعًا في دمي؛ أرادت مولودًا يحمل في عروقه دماء النار والجليد، لما فيه من خصائص تمنح من يستحمّ بها شبابًا متجددًا وقوة لا تنفد.

خفض رأسه، كأن الكلمة الأخيرة أثقلت كتفيه ثم أردف:

- لقد سمعتُها بالمصادفة تُخبر والدها بأنها ستقدّم له دماء الطفل قربانًا، ثم تدّعي لي بأنه مات لحظة وُلد .. كنت أستطيع قتلها لحظة اكتشاف الحقيقة يا عاصف، لكنني انتظرت حتى وضعت المولود وقتلتها بيدي.

ذلك الاعتراف أخرج عاصف عن صمته وجعله يسأل:

- أصحيح ما يُشاع بأنك أكلت قلبها ؟

- هذا ما ظنّه الجميع، ولكن ذلك لم يكن الوصف الدقيق الذي حدث، لم آكل قلبها .. بل أخذته من صدرها ووضعته إلى جوار قلبي، فمتى يجبرك أحدهم على حبه يا عاصف يصبح قلبه ملكًا لك إلى الأبد.

هنا ارتجف شيء داخل عاصف وقد أدرك الحقيقة؛ فذلك النبض الذي سمعه يتردّد في صدر أساطير - في مجلس حكم مملكة الجِن والبِن قبل أن يكشف عن حقيقة نورس - لم يكن وَهْمًا؛ بل كان حقيقة دامغة؛ فأساطير يملك في جوفه قلبين، قلبه وقلب حرير.

- كان بوسعي أن أعود إلى عائلتي، وأجثو أمام قدمي والدي جبّار وأظهر له الندم وأطلبه المغفرة، ولكنني قررت أن أكون رجلًا وأتحمل نتيجة اختياري.

ثم أردف بنبرة حادة قوية:

- اعلم بأنك تحب سرابي، ولكن عليك أن تكون رجلًا وتتحمل أقدار الحياة، لا تعلق حياتك بشخص قرر أن يتجاوزك مهما كانت أسبابه وجيهة وقوية، لقد اختارت سرابي أن تتجاوزك؛ وعليك أن تكون رجلًا، وتمضي دون أن تلتفت إليها.

كان هنالك شي ما جعل عاصف يسأل:

- وقلبها ؟

- نحن لا نجبر أحدًا على البقاء معنا يا ابن أختي، ولكن أولئك الذين علقونا بهم، وأجبرونا على حبهم، تصبح قلوبهم ملكًا لنا إلى الأبد.

- أتقصد أن تقول ؟!

- نعم؛ متى ما انتهت حربنا مع طاغين، دعها ترحل ولكن بعد أن تأخذ من صدرها ما هو لك.

أغمض عاصف عينيه وأسند رأسه إلى مسند أريكة الجلد التي كان يجلس عليها بينما راحت العربة تواصل طريقها نحو بوابة السور؛ وهو يفكر بنصيحة خاله، ولكن الحقيقة التي لا يعرفها عاصف حتى هذه اللحظة والتي - ربما لن يعرفها أبدًا - هي أن سرابي ما زالت تحبه ولكن هناك ما يمنعها من الاعتراف له .. ودليل استمرار حُبها له هو أنها كانت نفس الشخص الملثم الذي تدخل في اللحظة الأخيرة ليُنقذه ويُنقذ الحكيم والشمالي عندما كانت فرقة الإعدام تتجهز لقتلهم فوق منصة الاعدام التي نصبها لهم طاغين في قرية الجسَّاسة.

**

في هذه الأثناء،

وفي مكان آخر في العالم العلوي،

كانت الحياة تُحيك لعاصف مفاجأة غير متوقعة،

حيث جلست أمه جومانا أمام نافذة طويلة داخل إحدى حجرات قصر مملكة أبابيل .. جلست وحدها هناك تحدق إلى البحر وفي ذهنها شيء واحد: لقد كانت تفكر به.

الباب الخامس

الغابة المظلمة

كان الضباب ينساب بين جذوع الأشجار الضخمة والهدوء يغلف المكان بهالة من السكون، عاصف كان واقفًا إلى جوار جذع مائل يُمسد رأس حصانه سابح، بينما ابنته نورس جلست على الجذع وهي تُحدق إلى الأرض قبل أن ترفع راسها وتسأل:

- ولماذا لم تبحث عني طوال هذه المدة يا .. - وصمتت قليلًا وكأنها مترددة ما بين أن تناديه عاصف أم تناديه أبي ولكنها اختارت في النهاية أن تناديه بالطريقة التي ترتاح إليها: يا عاصف ..

صمت لبعض الوقت وكأنه متردد، فقالت وكأنها قرأت ما يفكر به:

- قل الحقيقة، ولن يضيق صدري منك - وعادت تكرر:

- هل بحثت عني ؟

- في تلك الأثناء يا نورس كنتُ ملكًا على أبابيل بعد أن سلمني جدي جبَّار المُلك من بعده، ولكن طاغين وأتباعه من منظمة الجاثوم هجموا على القصر وسلبوا العرش .. فانهار كل شيء فجأة، ثم لحقت بنا بعد ذلك أحداث مؤلمة: حروب، وخيانات، وفقد .. لقد كنا منشغلين بمحاولة الحفاظ على أرواحنا وسط فوضى لا ترحم، أما أنتِ فقد كانت احتمالية نجاتك من الغرق شبه معدومة، البحر هائج، والرياح عاتية، وأنتِ طفلة وحيدة في زورق صغير تتقاذفه الأمواج. لم أتخيل أنكِ نجوتِ، ولو كنت أعلم ذلك، لجبتُ العالم بحثًا عنكِ.

لم تكن تعرف ما إذا كان عليها أن تحزن لأنه لم يبحث عنها، أم أن تلتمس له العذر وسط تلك الفوضى التي ابتلعتهم جميعًا .. وبين هذا الشعور وذاك آثرت أن تصمت وتطرق برأسها نحو الأرض تُفتش بين الأفكار عن مشاعر لم تُحسم بعد، حتى قاطعها عاصف:

- ولكن هذا لا يعني أنني لم أفكر بكِ.

- كنت تفكر بي كل يوم ؟

- نعم؛ كل يوم.

- وامي ؟ - ثم اردفت وكانها نسيت - ماذا قلت كان اسمها ؟

- سرابي ..

- آه نعم تذكرت، سرابي ..

- ما بها، لماذا تسألين عنها ؟

- ألن تأتيَ من أجل رؤيتي ؟

- لا

- لماذا ؟

- لقد قررت الظهور مع جيشها قبل الحرب بأيام، سوف تتحالف معنا لأجل حمايتك.

- وبعدها ؟ - قالت متسائلة - هل ستعود للعيش معنا ؟

- لا، ولكن قلبها سيكون معنا.

- ماذا تعني بأن قلبها سيكون معنا ؟!

لم يعرف كيف يشرح لها؛ فقال: والدتك قد اختارت حياتها؛ ولا أعتقد أن هنالك مكانًا لكِ أو لي في تلك الحياة التي اختارتها.

- لا بأس؛ لقد عشتُ بدونها، وأستطيع المواصلة بدونها أيضًا.

لقد قالت ذلك من وراء قلبها؛ إذ كانت تتمنى لو أن الحياة تُصالِحها عن كل الأيام التي عاشتْها بلا أم وتَردها إليها؛ فرغم أن غياث لم يُقصِّر يومًا، وكان لها ملاذًا وسندًا، إلا أن لا أحد - كائنًا من كان - يستطيع أن يسد الفراغ الذي تتركه الأم.

- هل أستطيع أن أطلب منكَ شيئًا يا عاصف ؟

ما إن قالت ذلك حتى أحس بشيء ينقبض في صدره؛ نبرة صوتها كانت حادة، وقوية بطريقة لا تُشبه نبرة صوت من هم في مثل سنها، وخاف - وهو الذي لم يكن مستعدًا لفقد آخر - خاف أن تقول له شيئًا مثل:

" كما تخلّت عني أمي، أريدك أنت أيضًا أن تبقى بعيدًا "

ولأنه جبانٌ أمام المشاعر، لا يعرف كيف يواجهها إلا بالهرب، فقد امتطى ظهر حصانه كمن يستعد لأن يختفي في اللحظة التي سوف تطلبه فيها بالرحيل، فقال من فوق ظهر سابح وهو ينظر إليها بثبات:

- اطلبي، وسأفعل أي شيء لأجلك.

- أي شيء .. أي شيء ؟

- نعم، أي شيء.

- أريدك أن تعدني بألّا تموت.

أحس بسعادة لا توصف وهو يستمع لطلبها ذاك، وتمنى أن يُعانقها تلك اللحظة ولكنه لم يكن يعرف كيف يبادر، هو الذي عاش حياته متنقلًا بين حرب وحرب لم يكن يُجيد المبادرة في شيء غير الطعن والقتال ..

- ماذا قلت ؟! .. هل تعدني ؟!

لم تكن عادته أن يقطع وعودًا بالبقاء، لا سيما عندما يتعلق الأمر بخوضه حروبًا قادمة؛ فالوعد قيد؛ والمحارب الحقيقي لا يُحسن القتال بقلبٍ مقيد، لكنه رغم ذلك اختار أن يكسر هذا الاعتقاد لها ومن أجلها؛ فما بينه وبينها عمر كامل من الغياب ووعدٌ واحد يكفيه لأن يبدأ من جديد:

- أعدك بألّا أموت.

هنا ارتمت في حضنه ببراءة الصغار وقد اسقطته من فوق ظهر سابح، ثم قالت وهي تدفن وجهها في قميصه:

- هذا أول وعدٍ أتلقاه منك كأب، ولن أسامحك إذا أخلفته.

كان حضنًا بطعم الحياة، قال وهو يطوق ذراعه عليها ويشعر بسعادة غريبة تغمر قلبه:

- مهما حدث، لن أخلف هذا الوعد.

**

في تلك الأثناء ..

كان أساطير واقفًا خلف إحدى نوافذ قلعة الأباطرة ..

يُراقب المشهد من بعيد: مشهد نورس وهي تُعانق والدها في الغابة، واكتشف بأن قلبه الذي كان يظنه حديدًا، ها هو الآن على وقع ذلك المشهد يتهشم إلى أجزاء صغيرة.

قال يتحدث إلى الشخص الذي كان يجلس وراءه:

- أأكون قد أخطأت عندما كشفت السر ؟

- لا يا سيدي - قالت تارا - لقد فعلت ما كان ينبغي عليك أن تفعله بالضبط.

قال وهو ما يزال يُحدق إليهما من وراء النافذة:

- أتعلمين ما الذي أشعر به الآن ؟

- ماذا ؟

- بذات الضياع الذي اجتاحني في الماضي عندما أدركت فداحة خطئي، الخطأ الذي اقترفته حين هجرت عائلة الأباطرة من أجل الركض وراء شيء لا يستحق .. تُرى من ستختار نورس البقاء إلى جانبه بعد انتهاء الحرب بظنك، هل ستعود معي إلى ممالك التنين أم تختار البقاء هنا مع والدها ؟

مستغلة ذلك الحوار انحرفت تارا بالحديث نحو موضوع كانت وكأنها تنتظر الوقت المناسب لفتحه:

- ما تزال أمامك فرصة لأن تُرزق بنورس أخرى.

التفت إليها ببطء وكأنه صُدم من ذكرها للموضوع:

- أنتِ تعلمين بأنني أغلقت هذا الباب إلى الأبد.

قالت تارا:

- ليس كل النساء مثل حرير - ثم أضافت وهي تتأمله كما لو أنها كانت تريد أن تقيس أثر كلماتها عليه من خلال استجابة ملامحه لما سوف تقوله:

- ريحانة مثلًا ..

قطب حاجبيه وهو يسأل: ما بها ريحانة ؟

- إنها فتاة طيبة ومناسبة لأن ترتبط بها - وأردفت تقول:

- ومع أنها إنسية يا أساطير، إلا أنني لا أظن بأن - وهنا قطعت عبارتها فجأة؛ وكأنها أدركت في اللحظة الأخيرة بأنها كادت أن تفضح سرًا لا يجوز أن يُذاع في هذا الوقت؛ فأعادت ترتيب جملتها بسرعة وكلها رجاء أنه لم ينتبه:

- ومع أنها إنسية إلا أنني أظن بأن الأباطرة لن تمانع زواجك منها.

أساطير لم يعلق واكتفى بأن حول بصره إلى النافذة من جديد مستغرقًا في صمته. أما تارا فقد تنفست الصعداء في الخلف؛ إذ نجت لتوها من زلّة لسان كانت لتكشف الاسم الذي يجب ألّا يُقال، الاسم الذي سوف تتحرك من أجله عائلة الزمهرير بقوة أكبر وغضب أعنف حين يُعرف بأن صاحبه قد عاد إلى الحياة أيضًا.

٢

.. الاحتفاء ..

في ذلك المساء،

وبينما كانت ألسنة النار تتراقص في المواقد، تنثر دفئًا لذيذًا معبأ برائحة الحطب - ساد القلعة - ولأول مرة منذ وقت طويل ضحكٌ حقيقي انبثق من قلوب أثقلتها ثلاث مهمّاتٍ انتهت بنجاحٍ فاق كل التوقعات، نجاح دفع بالحكيم إلى اقتراح إقامة حفلٍ مصغر لأجل الاحتفاء بهذه المناسبة التي كان يراها تستحق الاحتفاء .. في البداية رفضت تارا الفكرة تمامًا، لكنّ بقيّة الأصدقاء اصطفوا خلف اقتراح الحكيم، مما اضطرها في النهاية للرضوخ إلى مطلبهم ولكن بشرطٍ وحيد:

- لا خمور ولا نساء !!!!

ورغم احتجاج الحكيم إلا أنّه لم يجد هذه المرة من يقف معه؛ فاضطر إلى قبول جزئي بالشرط:

- حسنًا، لا خمور ..

فقالت تارا بثبات وكأنها تضع خطًا تحت الشرط الآخر:

- ولا نساء !!

- ولكنني أعرف فتيات صغيرات، يتيمات سيفرحن كثيرًا لو أننا عطفنا الليلة عليهن ودعوناهن لمشاركتنا الاحتفاء.

نورس وقد أشفقت عليهن:

- اسمحي له يا تارا بأن يدعوهن، أرجوكِ !!

التفتت تارا نحو الحكيم وقالت:

- وأين هُن ؟

- يَعملن راقصات في حانة قريبة ..

ارتفعت بعض أصوات الضحكات، بينما قالت تارا:

- لا نساء ولا خمور !!

التفت الحكيم نحو نورس فوجدها وقد قطبت جبينها، فقال على مضض وقد أدرك أنه فقد الداعم الأهم بالنسبة إليه:

- حسنًا، كما تشاؤون يا قتلة المتعة.

جلس الجميع في دائرة حول المائدة الحجرية: نورس، عاصف، أساطير، ريحانة، فرخ التنين رعد، بينما الحكيم يملأ القاعة ضجيجًا وهو يسرد عليهم أحداث مغامرته الكاذبة: ابتداءً من إنقاذه الشمالي ونورس حين كادت السائرات الثلاث أن يفتكن بهما، ثم كيف فتح باب السرداب بذيله، وقاد المهمّة حتى الوصول إلى غرفة جومانا، وكيف أنه - ولولا احترامه لعلاقة صداقته بعاصف - كون تلك المرأة والدته، لكان قد أسقطها في فخ حبه الأبدي .. ورغم علم الجميع بأنه يكذب إلا أنهم كانوا يسألونه عن - أدق - التفاصيل، وكان يرد عليهم بإجابات جاهزة لا تخطر على البال، وكأن الكذب كان يجري في جوفه مجرى الهواء والدم ..

كانت ضحكاتهم في ذلك المساء تعلو وتخفت مع استمرار الحكيم في اختلاق بطولاته، بينما في ركنٍ آخر من القاعة، وقف الشمالي قرب إحدى النوافذ، يُمسك بيده مشروبه الذي يُحب "كوب من الحليب الدافئ الممزوج بخيوط الزعفران والعسل" وعيناه تحدّقان إلى الخارج عبر النافذة، ينظر إلى حيث كان طائر العنقاء إكليل مستقرًا على أحد أسوار القلعة يؤدي واجبات المراقبة دون كلل أو ملل ..

أخذ الشمالي رشفة من كوب الحليب، ثم قال يوجه سؤالًا هامسًا إلى تارا حتى لا يشغل بال البقية ويُخرجهم من جو المرح المؤقت الذي هم فيه:

- كم تبقى أمامنا من وقت على حكم الزمهرير ؟!

تارا وهي تنظر نحو القمر:

- عشرة أيام تقريبًا

- أهنالك أخبار من العين الخاصة بنا داخل القصر ؟

- نعم؛ لقد أبلغني بأنه لاحظ تغيرًا واضحًا على سلوك جومانا؛ وهذا يعني أن حديثكم معها قد بدأ يؤتي ثماره، وما هو إلا وقت قليل حتى تعود إلى رشدها وتهرب إلينا.

**

قصر مملكة أبابيل

.. جناح الحرب ..

كان الليل قد غطّى سماء المملكة في ذلك الوقت،

لكن داخل الجناح العسكري في القصر لم يكن للراحة مكان بعد أن وصلت لطاغين أخبار مؤكدة تشير إلى استعداد تحرك أساطير وعاصف ضده .. عشرات الخرائط مُدت على الطاولة، بينما وقف طاغين متكئًا بيديه على حافتها ومن حوله وقف كبار قادة الإنس والجن يقترحون عليه الخطط ..

قال أحد القادة وهو يشير إلى رموزٍ موضوعة فوق الخريطة:

- لقد رصد المستشرقون استعداد بعض القبائل للتحرك؛ مما يشير إلى أنهم قد استجابوا لدعوة أساطير وعاصف، كما وصلتنا أنباء بنشاط غير معتاد قرب سلسلة الجبال المحرّمة التي تسيطر عليها قبائل الأشاوس.

أوما طاغين برأسه وهو يقول:

- كلما كثرت رؤوسهم، كلما زادت فرصتي في قطعها جميعًا بضربة واحدة.

في تلك اللحظة طرق أحدهم باب الجناح العسكري، فالتفتت الرؤوس تلقائيًا نحو المستشار "آشور" وهو يدخل من الباب ويسير مقتربًا من الطاولة وقد بدا أنه يحمل أخبارًا عاجلة، قال وهو يدنو من الملك ويهمس في أذنه:

- إن سيدتي الملكة مختفية.

لم يشأ طاغين أن يثير قلق البقية، فهمس متسائلًا:

- منذ متى؟

- لم تُشاهد اليوم في جناحها، والخدم يقولون بأنهم لم يشاهدوها منذ الليلة الماضية.

قال وقد بدا عليه القلق:

- أتعني أنها غادرت القصر ؟

- لستُ متأكدًا يا سيدي، ولكنني أظن ذلك.

- ارسلوا من يبحث عنها ..

المستشار وهو يغادر " سمعًا وطاعة " بينما قال طاغين وكان فطنته جعلته يستدرك شيئًا:

- آشور ..

- أمرك يا جلالة الملك ؟

- ارسل من تثق به ليقطع عليها الطريق، في حال أخذتها أقدامها إلى الغابة المظلمة.

النهاية

٣

نهاية الحفلة

في وقت متأخر من الليل،

وبعد انتهاء الحفلة وذهاب الجميع للخلود إلى النوم .. كان هنالك لحاف نوم يتمدد شخص ما أسفله وهو يحدق إلى السقف وفي قلبه ضجيج لا ينام، إنها نورس التي لم تكن نائمة تلك اللحظة ولا مستيقظة، بل كانت - بين بين - في تلك المسافة الرمادية التي تضيع فيها الحدود ما بين العقل والحلم، وسؤال واحد يقضّ مضجعها: أين ستعيش، بعد أن ينتهي كل شيء ؟

هل تعود إلى ممالك التنين مع ريحانة وأساطير، أم أنها سوف تظل هنا مع والدها الحقيقي ؟! .. ذاك الذي بدأت تشعر نحوه بشعور جميل لا تستطيع أن تسميه ..

نعم؛ لقد أحبت عاصف

وأحست بانجذاب فطري نحوه،

إحساس دافئ لا يُشبه شيئًا عرفته من قبل ..

إنها لا تفهمه - لا تفهم هذا الإحساس - ولا يهمها أن تفهمه، كل ما كانت تعرفه هو أن رؤيتها له كانت تُشعرها بالطمأنينة، كان حديثه، نظرته، ونبرة صوته حين قال لها: "أعدكِ بألّا أموت" كل تلك الأشياء كانت توقظ بداخلها إحساسًا خفيًا بالأمان والانتماء.

@ART_OF_BOOK

إكليل، طائر العنقاء ..

الجولة الليلية

بدأ الفجر يتسلل ببطء على سماء المملكة،

وكان النَفس الأول للصباح يُلون الضباب بخيوطه الرمادية الأولى بينما طائر العنقاء يُحلق وحده في الأعالي؛ مؤديًا جولته المعتادة مراقبًا الطرق ويحمي حدود الغابة المظلمة من أي كمين محتمل، وفجأة توقف وهو ينظر هناك:

على الطريق الممتدة نحو الغابة المظلمة شاهد شيئًا !!

كان الشيء الذي شاهده عبارة عن امرأة تركض وهي تتلفت خلفها من حين إلى آخر، بينما هنالك ظلال أربعة داكنة لا يُمكن تمييز ملامحها كانت تندفع في أثرها

ومن ذلك الارتفاع الشاهق،

ومع وجود كل ذلك الضباب الكثيف ..

كان من الصعب عليه أن يتبين بدقة ما الذي كان يحدث؛ فخفض من ارتفاعه ليمنح نفسه رؤية أفضل، وما إن فعل ذلك حتى استطاع أن يرى ملامحها بشكل جيد، وما إن رآها حتى ارتجف جناحاه ودقَّ قلبه بقوة ..

إنها ؟!!

نعم إنها هي !!!

@ART_OF_BOOK

عاصف

كان يركض وحيدًا في أرض محترقة، وثمّة ذئاب جائعة تطارده، وامرأة تناديه باسمه من مكانٍ لا يراه وتحذره مما هو قادم، أراد أن يتحدث مع تلك المرأة ولكن صوته كان محبوسًا في صدره وكأن أحدهم قد انتزع منه حبالة الصوتية، ثم سمع صوتًا خافتًا يُشبه الطرق على الزجاج كان آتيًا من خارج العالم .. وهنا فتح عينيه واستوعب أن كل ما رآه - الركض، الذئاب، وصوت المرأة، وعدم قدرته على الكلام - كل ذلك كان حُلمًا ..

استند على السرير في الغرفة الغارقة في الظلام، والعرق يُبلل جبينه، ولكن صوت الطرق كان ما يزال مستمرًا فالتفت نحو النافذة وشاهد إكليل يطرق الزجاج بمنقاره، بينما كان يقف على حافة الإطار وعيناه تلمعان بقلق، نهض عاصف وفتح النافذة:

- ماذا هناك يا إكليل ؟

- رأيتها ..

- رأيت من ؟!

- امرأة تقترب من الغابة، تركض بخطوات متسارعة، وهنالك أربعة ظلال تطاردها، اعتقد أنها والدتك.

للحظة لم يتحرك عاصف وظل واقفًا مكانه يحدق في وجه إكليل كأنه يحاول أن يتأكد مما سمع، ثم فجأة خرج صوته حادًا بينما انقبض قلبه بقوة:

- أأنت متأكد مما تقول ؟!!

- لم أقترب أكثر، لكنني رأيتها من الأعلى، وأستطيع أن أرجع إلى حدٍ كبير بأن تلك المرأة التي رأيتها تركض نحو الغابة هي ذاتها جومانا ابنة جبّار الأباطرة.

هل يُعقل ذلك ؟!

" هل نجح الشمالي والحكيم ونورس في جعلها تستعيد ذاكرتها أخيرًا وتتذكر ؟!! " .. كان هذا السؤال هو ما دار بعقله وهو يرتدي عباءته الداكنة ثم ينظر إلى إكليل ويقول له:

- لا توقظ أحدًا

- لكن ..

قاطعه عاصف بحزم قبل أن يُكمل:

- قد يُصيبها الفزع إن رأت جمعًا منَّا بانتظارها، يجب أن أكون أول من يراها ووحدي.

هزَّ إكليل رأسه امتثالًا للسمع والطاعة، ثم أضاف:

- سأرشدك إلى المكان، وسأظل هناك، وإن احتاج الأمر سأهاجم من الأعلى ..

أومأ عاصف موافقًا ثم أسرع إلى باب الغرفة فتحه بخفة، وتسلّل إلى الممر الحجري دون أن يُحدث أي صوت قد يُوقظ به أحدًا، هبط سلالم الدرج بسرعة؛ متفاديًا مواضع الخشب الصدئ حتى لا يُصدر صريرًا يكشف تحركه ..

وحين بلغ الباب الخارجي فتحه وانطلق نحو الغابة، عباء مُشتعل نحو الأعلى - حيث إكليل - يقوده إلى المكان الذي شاهد فيه حرمانا.

••

في ذلك الوقت،

كانت نورس جالسة على سريرها،

ما زالت غارقة في دوامة أفكار لا تهدأ، حين لمحت أحدًا يغادر بوابة القلعة !!

اقتربت من النافذة بسرعة، فتحتها، فرأت والدها - عاصف - يركض كالسهم نحو الغابة .. الهواء البارد حرك خصلات شعرها وعيناها اتسعتا بدهشة وهي ترى المخالب الفولاذية قد خرجت من يديه وعينه اليُسرى تتوهج باللون الأحمر.

لم تتردد،

وغادرت القلعة،

ثم بدأت تركض خلفه - لا لتراقبه - بل لأنها لم تستطع أن تدعه يذهب وحده .. لم يكن الفضول ما دفعها، بل كان شيئًا أعمق، شيء يُشبه الخوف عليه.

٦

جومـــانا ابنة جبّـــار الأباطرة

ـ عودة الذا كرة ـ

كان نورُ الصباح لا يزال يتحسّس أطرافَ السماء، حين بدأت الظلال الأربعة تقترب بخطى ثابتة من جومانا، التي كانت تركض بكلّ ما أوتيت من سرعة، محاولةً بلوغ الغابة والاحتماء بتعويذتها القديمة؛ تلك التعويذة التي تمنع أيّ دخيل لا ينتمي إلى نسل الأباطرة من الدخول إليها إلا بإذن الحارسة .. لم يكن أمامها للنجاة من تلك الظلال المهاجمة سوى ذلك الخيار الوحيد: أن تصل إلى الغابة قبلهم.

كانت خطواتها سريعة،

لكن الظلال الأربعة كانت أسرع منها، وكانت تقترب ..

وفي اللحظة التي بدا فيها أن أحدهم قاب قوسين أو أدنى ليمسك بها قبل دخولها الغابة، انبثق من بين الأشجار الخضراء الكثيفة صوتٌ مفاجئ .. صوتُ مخالب تمزّق الهواء، ليقفز عاصف ويُمزق بمخالبه الفولاذية عنق الظل القريب، ثم يستدير نحو الثلاثة الآخرين ويندفع نحوهم في قِتال عنيف ..

لم يكونوا جنودًا عاديين ..

كانوا مَردة من الغيلان ضخام الجسد، غلاظ القلوب،

أعينهم معتمة لا يظهر فيها بريق، وجلودهم متشققة كأنها قُدت من أحجار البراكين .. اشتبك عاصف معهم، جسده يُهاجم ويتراجع ومخالبه تتصدّى لأسلحتهم السوداء .. أحد المردة حاول أن يطوّقه من الخلف، لكن إكليل هجم من السماء بقوة، ليضرب المارد بمخالب من نار؛ فألقى به بعيدًا نحو شجرة ضخمة تكسرت من شدة الاصطدام ..

استدار عاصف للحظة، ولمح أمه تقف بعيدًا وهي خائفة مترددة لا تدري إن كان عليها أن تقتحم المعركة لتقاتل أو تواصل الركض، فصاح عليها آمرًا:

- ادخلي !! .. احتمي بالغابة !!

ترددت لثانية ثم هزّت رأسها، ودخلت دون أن تلتفت خلفها.

**

كان أحد المردة يتلوّى على الأرض بعد ضربة إكليل، فيما بقي اثنان يتقدمان بثقلٍ وغلّ، يحيطان بعاصف من الجانبين، يظنّان أنه لن يتمكن من صدّهما معًا.

لكن عاصف لم يكن في مزاج الدفاع، كان غاضبًا كما لم يكن من قبل؛ فزاد توهج عينه اليُسرى، واشتدت قبضتاه حتى سقطت مخالبه من يده وحلت مكانها مخالب أخرى أكثر صلابة وقوة .. ثم انقض على الأول بهجوم سريع، حاول المارد أن يتفادى الهجمة ولكن عاصف دار حوله كدوامة ثم حين أتت اللحظة المناسبة غرز مخالبة في بطنه رافعًا جسده عن الأرض قبل أن يُسدد إليه باليد الأخرى طعنة في صدره أسقطته بلا حراك !!

استدار نحو الآخر الذي تردّد للحظة، وكان ذلك التردد هو حسن الطالع بالنسبة لعاصف الذي استغل ذلك الأمر وقفز عليه بسرعة؛ فشده من شعره بقوة جعلت رقبته تمتد وغرز مخالبة عميقًا فيها حتى سمع صوت الحنجرة وهي تتهشم أتبعها صوت حشرجة عميقة للروح وهي تُنتزع من جسدها.

ظل عاصف واقفًا بعد أن سقط الجميع، ورياح الصباح تداعب شعره الطويل وثيابه التي بللتها دماء المَردة، نظر نحو الأعلى حيث إكليل وصاح عليه:

- إكليل، ابقَ عندك لتراقب الحدود.

حام طائر العنقاء في الأعلى مراقبًا المنطقة؛ خوفًا من اقتراب فوجٍ آخر من المردة، بينما شق عاصف طريقه داخل الغابة، وحده، حيث دخلت جومانا منذ لحظات ..

اللقاء

كان الضباب يزحف بين الجذوع المتشابكة، والأرض تفوح منها رائحة الطين والمطر .. تسلّل عاصف بين الأشجار بخطواتٍ بطيئة، حتى أبصرها هناك ..كانت جومانا واقفة في منتصف بقعة مضيئة، شعاع شمس بسيط نافذ من بين الأغصان العالية قد سقط عليها، فبدا المنظر كما لو أن الغابة كانت تحني رأسها نحوها، قال بصوت مختنق:

- أمي !!

التفتت جومانا نحوه وثمة ابتسامة جميلة عليها، نظرت إليه طويلًا بعينيها البُندقيتين قبل أن تقول بصوت حنون:

- آسفة، على كل شيء يا بني ..

ثم فتحت ذراعيها إليه ..

**

في تلك اللحظة،

كانت نورس قد وصلت أخيرًا،

واختارت أن تقف بعيدًا خلف جذع شجرةٍ ضخمة،

كانت تتنفس بصعوبة بعد أن أنهكها الركض؛ فقد ضلّت الطريق وتاهت بين ممرات الغابة المتشابكة، قبل أن تهتدي أخيرًا إلى هذا المكان ..

لقد قررت أن تراقب المشهد بصمتٍ من بعيد، لا تريد أن تُفسد اللحظة بين الأم وولدها .. كانت عيناها تلمعان بسعادة خفية وهي ترى والدها وقد نال ما كان يحلم به: لقاءه بأمه.

**

اقترب عاصف من جومانا ..

وعانقها بقوة، بينما شوق بداخله يتفجر دفعة واحدة ..

لكنه في اللحظة التي عانقها فيها رأت نورس أسوأ منظر تراه في حياتها كلها: لقد رأت يد جومانا وهي ترتفع في الهواء وفي قبضتها تكونت طاقة لامعة من معدنٍ حاد عكس نصله ضوء الشمس المتسلل من بين الأغصان قبل أن تدفعه ليغوص بقوة هائلة في ظهر عاصف الذي شهق والنصل الحاد يغوص عميقًا في لحمه، فارتخت يداه اللتان كانتا تُعانقانها، ثم سقط على ركبتيه أرضًا وعيناه تنظران إليها برعب كمن يحاول أن يفهم لماذا، لكن جومانا لم تكتفِ بذلك فحسب بل مدت كفها الآخر فتكوّن فيه نصل آخر من نفس الطاقة غرسته في صدره كما لتتأكد من أنه سوف يموت هذه المرة لا محالة، ثم انحنت إليه وهمست في أذنه بآخر شيء سوف يسمعه:

- من أجل طاغين.

ظلّ ينظر إليها، وعيناه تملؤهما الدهشة، والخوف، الحُب، والندم، الخذلان والأمل، بينما بدأت روحه تُنازع للخروج من جسده، وشفتاه تنفرجان قائلة بسؤال وحيد:

- هل يُجيب الرب أي دعوة يا أمي ؟

كانت هذه المرة الأولى التي يوجه إليها ذلك السؤال وهي تنظر إليه بصمت ولا تجيب .. ورغم كل شيء إلا أنه ابتسم وعيناه تُغمضان بينما نبضات قلبه تتراخى شيئًا فشيئًا .. ابتسم لأن وجهها الجميل ذو العيون البُندقية كان آخر شيء ينظر إليه.

••

هناك ..

خلف جذع تلك الشجرة،

كانت نورس ترتجف وهي تشاهد منظر نهاية والدها، وصوتها الباكي يهمس:

- ولكنك وعدتني بألَّا تموت !!

ثم أخذت نفسًا عميقًا لتطلق صرخة غضب واستغاثة، إلا أن يدًا ذات عروق بارزة امتدت تلك اللحظة لتُغلق فمها، وصوت امرأة عجوز يهمس في أذنها:

- لا تصدقي وعدًا يقطعه لكِ رجل.

@ART_OF_BOOK

تستمر أحداث رواية أبابيل في الجزء القادم والأخير ..

من سلسلة ملحمة الطين والنار ..

" الأباطرة "

المؤلف: أحمد ال حمدان

" قصـــر مملكـــة أبابـيـل "

داخل قاعة حكم المملكة، وتحديدًا فوق منصة العرش، ركع الملك طاغين مطأطأ الرأس أمام شخص مهيب كان يجلس بثبات فوق عرش المملكة

وطاغين يقول له بصوت الخاضع:

ـ كل شيء سار كما خططتَ إليه يا سيدي.

جاءه صوت الجالس فوق العرش:

ـ لقد أثبتْ إلينا يا طاغين أننا لم نخطئ حين ثبتناك ملكًا على العرش، أبابيل لك، ولن يأخذها الأباطرة؛ طالما أنك في خدمتنا.

همس طاغين دون أن يجرؤ على رفع بصره:

ـ أنا في خدمتك، وخدمة سيدنا السَرمد إلى النهاية.

للحظة انزاح الظل عن العرش؛ فانكشف وجه الجالس فوقها؛ لقد كان الشخص هو الرجل ذو اللحية المُبصرة، والذي لم يكن الملك طاغين منذ البداية إلا واحدًا من عبيده.

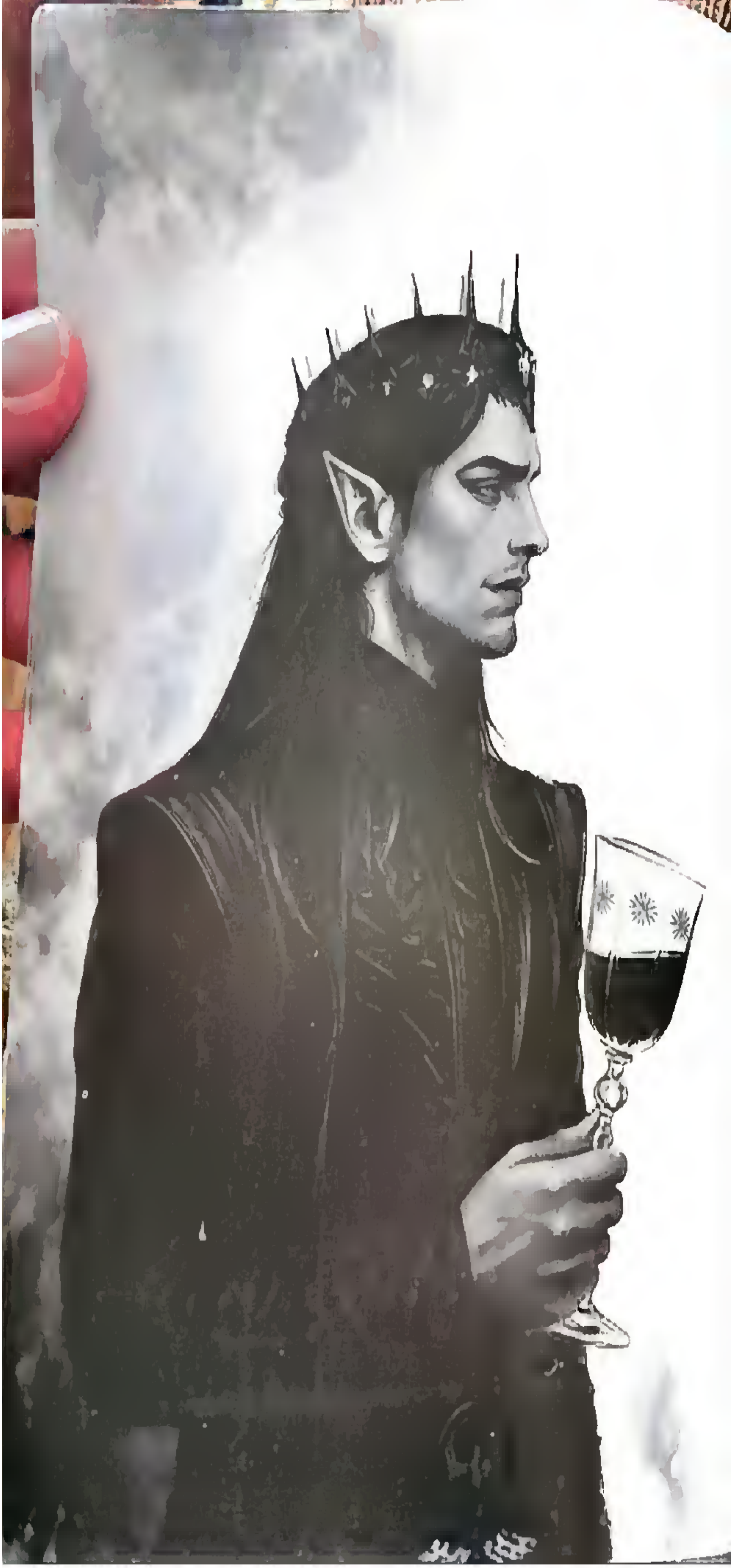

الزمهرير

إن صحت الأقاويل وعادت جومانا إلى الحياة، فهذا يعني أن قانونًا من المحرمات قد كُسر، الأمر الذي سوف يدفع بالزمهرير إلى التحرك.

@ART_OF_BOOK

H اهداء الى , by : by: the best

9786038457992

أحمد آل حمدان
l_ab
erlaa_pd
erlaa_pd
erlaa_pd
www.erlaa.com.sa
إرفا